الإمام الخميني



معراج السالكين

الآداب المعنوية للصلاة

ترجمة السيد عباس نورالدين



مركز بـاء للدراسـات

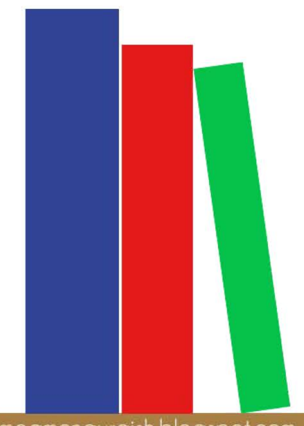
الإمـام
الخميني

معراج السالكين

الآداب
المعنوية
للصلاة



مركز بـاء للدراسـات



بسم الله الرحمن الرحيم



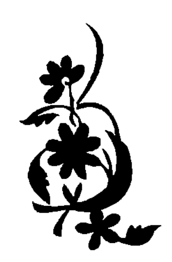
الكتاب: معراج السالكين ترجمة كتاب آداب الصلاة

الكاتب: الإمام الخميني قدس سره

المترجم: السيد عباس نورالدين

الناشر: بيت الكاتب للطباعة والنشر

الطبعة: الأولى - بيروت - 2009 م



بيت الكاتب للطباعة والنشر

www.baabooks.com

01 477233

معراج السالكين

الآداب المعنوية للصلاة

الإمام الخميني

ترجمة : السيد عباس نور الدين

مركز بقية الله للدراسات
قسم الدراسات الأخلاقية والسلوكية



مقدمة الناشر

الحمد لله مالك كل شيء وصاحب كل توفيق وإليه المصير والصلاة على رسوله الأكرم وآله الطاهرين.

ها هو كتاب آداب الصلاة للامام الخميني قدس سره يصدر وللمرة الأولى بترجمته الكاملة والمعربة عن النص الأصلي لتكون هدية لعشاق طريق العرفان الأصيل الذي رفع لواءه هذا الامام العظيم. وكان كتاب قد صدر في الماضي وقبل عدة عقود تحت عنوان العروج إلى الملكوت ونشر في ايران على أنه للامام الخميني وهو يحتوى على مطالب من كتاب آداب الصلاة الذي كتبه الامام مع توضيحات وتصرفات كما ذكرت مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني. وأغلب الظن أن الترجمة العربية التي صدرت تحت عنوان الآداب المعنوية للصلاة كانت من الكتاب المنشور. لأننا عندما قارنا مخطوطة الامام والتي صدرت كاملة أيضا تحت عنوان آداب الصلاة مع ما نشر بالعربية وجدنا العديد من مواضع الاختلاف ناهيك عن كثرة الأخطاء التي يرجح أنه من سقطات سهو المصحح أو غيره.



لقد قام جانب فضيلة السيد عباس نورالدين وهو الذي له باع طويل في اللغة الفارسية وفنونها مع تخصصه وتبحره في العرفان النظري ومباني مدرسة الامام الخميني بإعادة ترجمة الكتاب بالاعتماد على النص المطبوع من قبل مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخمينيؒ ومراجعة المخطوطة أيضا. وهو يشير إلى دقة هذه الطبعة الفارسية ما خلا موضعا أو موضعين خالفت الطباعة المخطوطة مخالفة طفيفة لكن مؤثرة.

أملنا أن يطّلع قراؤنا الأعزاء وطلاب مدرسة العرفان والمعنويات على النص الأصلي والترجمة الدقيقة له نظرا لوجود الكثير من الاخطاء في الطبعات العربية المنتشرة. وإن حرصنا على عرض فكر الامام وآثاره كما هي يحتم علينا أن نقوم بهذا العمل مع ما فيه من صعوبات وتحديات.

وتعتبر هذه الطبعة بداية مشروع كبير لخدمة هذا الكتاب الذي يعد بحق أفضل مدرسة عرفانية قدمت لأمثالنا نحن المحجوبين، وأروع منهاج علمي للباحثين وأمتن نص للمتعلمين.

سنعمل بإذن الله تعالى على كشف كنوزه في سلسلة من الكتب المرتبطة ذات الأهداف والمستويات المتعددة لأننا نؤمن بمركزية هذا الكتاب في التعاليم الإسلامية، ومحوريته الكبرى في المفاهيم الدينية، ودوره الحساس في إحداث التحول العميق في نفوس الباحثين عن الحق والحقيقة، والتائقين لإضفاء الروح والمعنى على حياتهم ونفوسهم.

إن مركز بـــاء للدراسات الذي يتحمل مسؤولية نشر الآثار العظيمة للعرفان الاسلامي يعد القراء الاعزاء أنه سيبقى على نهجه في استخراج الكنوز العظيمة لهذا التراث الملهم ونشرها بأفضل الحلل لتكون مفخرة لهذا الدين واتباعه. سائلين المولى تعالى أن يتقبل عمل فضيلة السيد عباس نورالدين والفريق المساعد له في التحرير والتدقيق والتصحيح والإخراج الفني.

والحمدلله رب العالمين





مقدمة المترجم

بسم الله خير الاسماء والحمد لله رب الأشياء والصلاة والسلام على خير الأنبياء محمد وعلى آله أفضل الأوصياء.

تعود معرفتي بكتاب آداب الصلاة إلى حوالي ربع قرن حين أحضره لي صديق شهيد من خارج لبنان بطبعته العربية التي صدرت تحت عنوان الآداب المعنوية للصلاة. ومن يلتفت إلى هذا التاريخ ربما يتذكر أو يطلع أنه زمن كانت أمتنا تعيش في أحلك الظروف وأشد الصعاب فجاء الكتاب ليكون بلسما لجراحات النكبة ومؤنسا في أزمنة الوحشة ومخرجا لمضيقة كبرى.

وصار هذا الكتاب حديث القلب والروح ومنارة درب الحياة ومصدر المعرفة والوعي وسببا متصلا بيننا وبين الإمام، هو أعظم بكثير من السبب السياسي والثوري. لقد تجلى لنا الإمام بنوره الذي ظننا أنه الأتم في هذا الكتاب، وفتح أعين قلوبنا على عالم من العرفان والمعنويات واسع وعظيم وأكد في نفوسنا ووعينا ضرورة السلوك.

في أيام قليلة، تحول الكتاب، إلى الملهم الأكبر ومرجعنا الدائم في معرفة

الدين، وقدم لنا إطارا مشرقا للنظر إلى المعارف الإسلامية والأفكار الدينية.. لقد كان في ذلك الزمن كواحة خضراء مترعة وسط صحراء قاحلة.. صار الكتاب بالنسبة لنا كل شيء.

شربنا أفكاره وارتوينا مرارا وما شبعنا.. وفاضت معارفه على ألسنتنا حيث أقمنا دروسا ومحاضرات وندوات وحوارات، وتحولت أفكاره إلى مركز تنطلق منه إشعاعات المعنويات وسط السيل العظيم لحركة الجهاد والإيمان. وأضحت مقاطعه شعارات ومنارات ننطق بها في براءة الانتماء وبساطة المودة. ونحن في خضم بحره الذي لا يتناهى غافلين عن الأخطاء الطباعية بأعيننا الراضية، وغافلين أيضا عما يثيره من تحديات للذين لم يرضوا يوما بالعرفان وحمَلَته.

لكن الدروس صارت معاهد ومؤسسات، والتحديات تشكلت بصورة المدارس والتيارات، فبرزت أهمية الاعتناء الفائق به ومراجعة نصوصه والتدقيق في عباراته. وقد وفقت قبل أكثر من عشر سنوات للحصول على المخطوطة التي طبعتها مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام؛ وأثناء تدريسي للكتاب وقيامي بالمقارنة المباشرة هالني حجم الأخطاء وعدد المحذوفات فعزمت من وقتها على إعادة ترجمته ومنعني عن ذلك إنشغالات وسيئات.

إلى أن ألقى الرب المتعال في همتي عزما، وأُعطيت من فضل قوّته طاقةً، وأيّدت من روح أوليائه روحا، للقيام بهذا العمل الذي أرجو أن يكون لروح الامام رضى وسرورا؛ عله يشملني بشفاعته يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا.

وصحيح أن آداب الصلاة الذي سيصدر تحت عنوان معراج السالكين لتمييزه عن الطبعة العربية المنتشرة في الأسواق، هو كتاب يتمحور حول الصلاة لكن بعد مطالعته يدرك القارئ أنه أوسع وأكبر



موضوعا من الصلاة رغم جامعيتها.

فهو كتاب في السير والسلوك والتوحيد والمعارف العقائدية، ومنهج محكم في تهذيب النفوس، وباب مهم للدخول إلى عالم العرفان الأصيل يتضمن من المعارف ما يضفي عليه صفة الموسوعية رغم صغر حجمه. ومن المؤكد بالتجارب أنه يمثل منهاجا دراسيا يكاد يصل إلى حد الاكتفاء الذاتي. فهو وحده إذا فُهم جيدا يصنع الشخصية الاسلامية الواعية العميقة والشاملة الوثيقة.. إنه باختصار لب مدرسة الامام وروح نهجه الذي نبحث عنه في عشرات الكتب الأخرى..

لا أدّعي أن ترجمتي ستكون خالية من الأخطاء. فمثل هذا الإدعاء لا يصدر عن مترجم خبير، فكيف بي وأنا لا زلت في بداية الطريق.. لكنني سعيت جهدي لتتطابق ترجمتي مع النص الأصلي، طالبا من أهل هذا الفن وخبرائه أن ينظروا إلى عملي بعين النقد والتصحيح، علنا نصل إلى أقرب نص أراده الإمام، ليعبّر عن مكنون أفكاره.

السيد عباس نورالدين
anourdin@gmail.com





إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي كتاب "آداب الصلاة" ـ الذي لم أجنِ منه سوى الأسف على القصور والتقصير في ما خلا من الأيام التي كنت قادراً فيها على بناء النفس، والحسرة والندامة في مرحلة الشيخوخة يدي خالية وحملي ثقيل والسفر بعيد والبلاء شديد ونداء الرحيل يتردد في سمعي ـ إلى ولدي العزيز أحمد لعله إن شاء الله ينتفع ـ وهو يتمتع بقوة الشباب ـ بمحتواه. جمعته من كتاب الله والسنّة المطهرة وما أُوثر عن الأولياء العظام لأجل أن يرتقي ـ مستفيداً من إرشادات أهل المعرفة ـ المعراج الحقيقي، ويستنقذ قلبه من هذه الظلمة، ويوفق لبلوغ مقصد الإنسانية الأصلي الذي سلكه أنبياء الله العظام وأولياؤه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم وأهل الله، ودعوا الآخرين إليه.



بني: اسع للعثور على نفسك المعجونة بفطرة الله، واستنقذها من مستنقع الضلالة وأمواج العجب والأنانية، واركب "سفينة نوح" التي هي "ولاية الله" "**فإن من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك**".

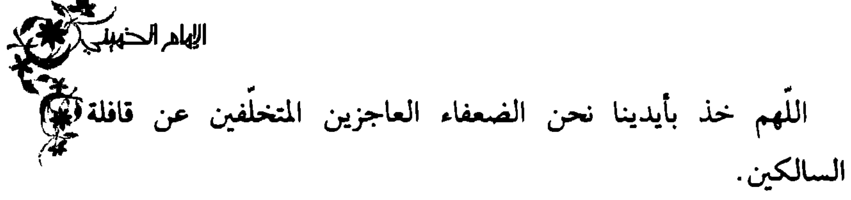
بني: إجهد أن يكون سيرك في "الصراط المستقيم". صراط الله وإن كان ذلك بخطى وئيدة بطيئة، واسعَ أن تكون حركات قلبك وسكناته وسائر جوارحك في إطار التسامي والارتباط بالله، واحرص على السعي في خدمة الخلق لأنهم خلق الله، فرغم أن أنبياء الله العظام والخواص من أوليائه تعالى كانوا يمارسون الأعمال كالآخرين، فإنهم لم يتعلقوا بالدنيا قط. وذلك لأن شغلهم كان بالحق وللحق، إلا أنه رُوي عن خاتم النبيين ﷺ قوله: "**إنه ليغان على قلبي واني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة**" ولعله كان يرى أن رؤية الحق في الكثرة كُدورة.

بني: تهيأ بعدي لمواجهة مختلف مشاعر الجفاء والضغائن التي أكنّتها الصدور لي، فسوف تنعكس عليك. وإذا كان حسابك مع ربك سليماً، وتحصّنت بذكر الله؛ فإنك لن تخشى الخلق. فأمر الخلق وحسابهم هينٌ سريع الانقضاء، ويبقى الحساب أمام الحق تعالى.

بني: قد تُعرضُ عليك بعدي المناصب، فإن كانت نيتك خدمة الجمهورية الإسلامية والإسلام العزيز فلا ترفض، ولكن إذا كانت نيتك - لاقدّر الله - إطاعة هوى النفس وإرضاء الشهوات، فاجتنب القبول إذ لا قيمة للمقامات والمناصب الدنيوية كي تضيع نفسك من أجلها.

اللّهم مُنَّ على أحمد وذريته وأهل بيته - وهم عبادك ومن نسل رسولك الأكرم صلواتك عليه وعلى آله - بالسعادة في الدنيا والآخرة، واحفظهم من شر الشيطان الرجيم.





اللّهم خذ بأيدينا نحن الضعفاء العاجزين المتخلّفين عن قافلة السالكين.

اللّهم عاملنا بفضلك، ولا تعاملنا بعدلك.

والسلام على عباد الله الصالحين

23ربيع الأول 1405هـ

روح الله الموسوي الخميني





مدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

اللهم إن قدم سيرنا عاجزة عن الوصول إلى جناب قدسك، وأيدينا قاصرة عن ذيل أنسك، وقد حجبت حجب الشهوات والغفلة بصائرنا عن جمالك الجميل، وإن الاستار الكثيفة لحب الدنيا والشيطنة أبعدت قلوبنا عن التوجه إلى عز جلالك؛ إن صراط الآخرة لدقيق وإن طريق الانسانية لحديد، ونحن المساكين في فكرنا كالعنكبوت قديد، حائرون كدود القز قد نسجنا حول أنفسنا من سلاسل الشهوات والآمال وأغمضنا عيوننا تماما عن عالم الغيب ومحفل الأنس، اللهم إلا أن تنور أبصار قلوبنا ببارقة إلهية وتصعقنا بجذوة غيبية.

إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير

أرواحنا معلقة بعز قدسك.

وبعد ففي الأيام الخالية أعددت رسالة وأودعت فيها ما تيسر من أسرار الصلاة؛ وحيث إنها لا تناسب أحوال العامة، خطر ببالي أن أضع في سلك التحرير شطرا من الآداب القلبية لهذا المعراج الروحاني، علّها تكون للأخوة في الايمان ذكرا وتترك في قلبي القاسي أثرا، وأعوذ بالله تعالى من تصرّف الشيطان وحصول الخذلان، إنه ولي قدير.

ورتبتها على مقدمة وعدة مقالات وخاتمة.

أما المقدمة

فاعلم أن للصلاة غير هذه الصورة لمعنى ولها دون هذا الظاهر باطنا؛ وكما أن لظاهرها آدابا يؤدي عدم رعايتها إلى بطلان الصلاة الصورية أو نقصانها، فإن لباطنها آدابا قلبية باطنية يلزم من عدم رعايتها بطلان أو نقص في الصلاة المعنوية، كما أنه برعاية تلك الآداب تكون الصلاة ذات روح ملكوتي. ومن الممكن أن ينال المصلي بعد المراقبة والاهتمام بالآداب الباطنية القلبية نصيبا من السر الإلهي لصلاة أهل المعرفة وأصحاب القلوب الذي هو قرة عين أهل السلوك وحقيقة المعراج إلى قرب المحبوب. وما قيل من أن للصلاة باطنا وصورة غيبية مضافا إلى انه موافق لضرب من البرهان ومطابق لمشاهدات أصحاب السلوك والرياضة، تدل عليه آيات وأخبار كثيرة عموما وخصوصا. ونحن نذكر بعضا منها لمباركة هذه الأوراق.

منها قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾. فالآية الشريفة تدل على أن كل أحد يرى أعماله خيرها وشرها حاضرة ويشاهد صورتها الباطنية الغيبية. كما أنه يقول في الآية الشريفة الأخرى: ووجدوا ما عملوا حاضرا وفي آية ثالثة: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .. الخ﴾ تدل على أن



النفس تعاين الاعمال.

وأما الأحاديث الشريفة في هذا المقام فهي أكثر من أن تحتويها هذه الصفحات؛ ونحن نكتفي بذكر بعضها.

منها ما في الوسائل بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: من صلى الصلوات المفروضات في أول وقتها وأقام حدودها رفعها الملك إلى السماء بيضاء نقية تقول حفظك الله كما حفظتني استودعتني ملكا كريما ومن صلاها بعد وقتها من غير علة ولم يقم حدودها رفعها الملك سوداء مظلمة وهي تهتف به ضيعتني ضيعك الله كما ضيعتني ولا رعاك الله كما لم ترعني.

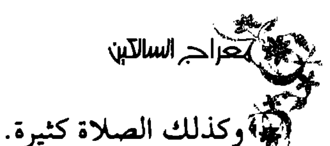
فإن هذه الرواية تدل على أن ملائكة الله سبحانه ترفع الصلاة إلى السماء إما بصورة نقية بيضاء - وهي ما إذا أتى بها المصلي في أول وقتها ولاحظ آدابها - فتدعو له بالخير؛ وإما بصورة سوداء مظلمة، وذلك إذا أخّرها من غير عذر عن وقتها ولم يقم حدودها فتدعو حينئذ عليه. وهذا الحديث، بالاضافة إلى أنه يدل على الصور الغيبية الملكوتية، يدل على حياتها أيضا. كما أن البرهان أيضا قام بهذا، والآيات والأخبار تدل عليه كقول الحق تعالى: وإن الدار الآخرة لهي الحيوان. وقد وردت روايات أخر تدل بمضمونها على ما تضمنته الرواية المذكورة وذكرها يوجب التطويل.

وعن الامام الصادق عليه السلام:

"إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مظل عليه ويتنحى الصبر ناحية فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبر دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه".

وهذا الحديث الشريف رواه في الكافي الشريف بطريقين ورواه الشيخ الصدوق رحمه الله في ثواب الأعمال. ودلالته على الصور الغيبية البرزخية وحياتها وشعورها واضحة. والاحاديث في أن القرآن يتمثل بصورة ملكوتية





وكذلك الصلاة كثيرة.

وأما ما قيل بأن للصلاة وسائر العبادات آدابا قلبية غير هذه الآداب الصورية تكون الصلاة بدونها ناقصة أو غير مقبولة أصلا من جنابه تعالى فسيذكر عند عد الآداب القلبية إن شاء الله.

ولكن ما لا بد من التنبيه إليه ها هنا أن من أعلى مراتب الخسران والضرر الاكتفاء بصورة الصلاة وقشرها والحرمان من بركاتها وكمالاتها الباطنية التي توجب السعادات الأبدية، بل جوار رب العزة ومرقاة العروج إلى مقام الوصول إلى وصال المحبوب المطلق الذي هو غاية آمال الأولياء ومنتهى أمنية أصحاب المعرفة وأولي القلوب، بل هو قرة عين سيد الرسل صلى الله عليه وآله. ويا لها من حسرة تعجز عقولنا عن إدراكها ولا تدركها إلا بعد الخروج من هذه النشأة والورود في الحساب الإلهي. وما دمنا في حجاب عالم الملك وخدر الطبيعة فإننا لا نقدر أن ندرك شيئا من ذاك العالم، وإنما مددنا أيدينا إلى النار من مكان بعيد. فأي حسرة وندامة وضرر وخسران أعلى من أن ما هو وسيلة لكمال وسعادة الانسان ودواء داء النقائص القلبية وهو في الحقيقة الصورة الكمالية الانسانية، يصير بعد تعبنا فيه أربعين سنة أو خمسين سنة دون فائدة روحية ويصير سببا للكدورة القلبية والحجب الظلمانية. وما كان قرة عين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يصبح موجبا لضعف بصيرتنا يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله.

أيها العزيز شمّر ذيل الهمة وابسط يد الطلب وأصلح حالاتك مهما تتطلب ذلك من التعب والمشقة، وحصّل الشرائط الروحية لصلاة أهل المعرفة، واستفد من هذا المرهم الإلهي الذي تحقق بالكشف المحمدي التام لمعالجة جميع أمراض النفوس ونقائصها وارتحل ما دامت الفرصة متاحة عن منزل الظلمة والحسرة والندامة والجب العميق من البعد عن الساحة الربوبية المقدسة وتخلص منها، وأوصل نفسك إلى معراج الوصال وقرب



الكمال؛ فإن هذه الوسيلة إذا ضاعت انقطع غيرها من الوسائل **"إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها"**.

ونحن نبيّن الآداب الباطنية لهذا السلوك الروحاني بالمقدار الميسور والمقتضى، فلعل أحدا من أهل الايمان ينال منها نصيبا؛ ولعل هذا بذاته يكون موجبا للرحمة الإلهية والتوجه الغيبي إلى هذا المتخلّف عن طريق السعادة والإنسانية والمغلول في سجن الطبيعة والأنانية. إنه ولي الفضل والعناية..



المقالة الأولى

في الآداب التي تكون ضرورية في جميع حالات الصلاة

بل في جميع العبادات والمناسك

وفيها اثنا عشر فصلاً





الفصل الأول

في التوجّه إلى عزّ الربوبية وذلّ العبودية

من الآداب القلبية في العبادات والوظائف الباطنية لسالك طريق الآخرة التوجّه إلى عزّ الربوبية وذلّ العبودية، وهو بالنسبة للسالك من منازل السلوك المهمّة بحيث تكون قوّة سلوك أي إنسان بحسب قوة هذا التوجه والنظر، بل الكمال والنقص في الإنسانية يكون تابعا لنقصانه وكماله. وكلما كان النظر إلى الإنّية والأنانية ورؤية النفس وحبّها في الإنسان غالبا كان بعيدا عن كمال الإنسانية ومهجورا من مقام القرب الربوبي، وأن حجاب رؤية النفس وعبادتها لأضخم الحجب وأظلمها، وخرق هذا الحجاب أصعب من خرق جميع الحجب التي يعد خرقها مقدمة له. بل إن مفتاح مفاتيح الغيب والشهادة وباب أبواب العروج إلى كمال الروحانية هو خرق هذا الحجاب. وما دام الإنسان قاصر النظر إلى نفسه وكماله وجماله الموهوم فهو محجوب وبعيد عن الجمال المطلق والكمال الصرف. والخروج من هذا المنزل هو أول شرط للسلوك إلى الله بل هو الميزان في حقانية الرياضة وبطلانها. فكل سالك يسلك بقدم الأنانية ورؤية النفس ويطوي منازل السلوك في حجاب الإنيّة وحب النفس تكون رياضته باطلة.

ولا يكون سلوكه إلى الله بل إلى النفس (نفسك هي أمّ الأصنام) (مصراع بيت للعارف الرومي المشهور) قال تعالى: ﴿**ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**﴾. فالهجرة الصورية وصورة الهجرة عبارة عن الهجرة بالبدن الذي



هو "المنزل الصوري "إلى الكعبة أو إلى مشاهد الأولياء عليهم السلام، والهجرة المعنوية هي الخروج من بيت النفس ومنزل الدنيا إلى الله ورسوله، والهجرة إلى الرسول والولي هي أيضاً هجرة إلى الله. و ما دام التعلق بالنفس والتوجّه إلى الإنيّة موجودين، فلا يكون مسافرا، وما دامت بقايا الأنانية أمام نظر السالك، وجدران مدينة النفس غير مختفية، وأذان إعلان حبّ النفس مسموعا، فهو في حكم الحاضر لا المسافر ولا المهاجر.

وفي مصباح الشريعة قال الصادقعليه السلام: **"العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية، وما خفي من الربوبية أصيب في العبودية"**.

فمن سعى بخطوة العبودية ووسم ناصيته بسمة ذلّها سيجد سبيل الوصول إلى عزّ الربوبية، وطريق الوصول إلى الحقائق الربوبية هو السير في مدارج العبودية؛ فما فقد من الإنيّة والأنانية في عبوديّته يجده في ظّل حمى الربوبية، حتى يصل إلى مقام يكون الحق تعالى سمعه وبصره ويده ورجله، كما ورد في الحديث الصحيح المشهور عند الفريقين. فإذا أسقط العبد تصرفاته وسلّم مملكة وجوده كلها إلى الحق وخلّى بين البيت وصاحبه وفني في عزّ الربوبية، فحينئذ يكون المتصرف في الدار صاحبها فتصير تدبيراته تدبيرات إلهية، فيكون بصره بصراً إلهياً وينظر ببصر الحق، ويكون سمعه سمعاً إلهياً فيسمع بسمع الحق. وبمقدار ما تزداد ربوبية النفس ويكون عزّها غاية في نظره، ينقص من عزّ الربوبية، لأن هذين متقابلان **"الدنيا والآخرة ضرتان"**.

فمن الضروري أن يدرك السالك مقام ذلّه، ويضع ذلّ العبودية وعزّ الربوبية نصب عينيه. وكلما قوي هذا النظر زادت روحانيته في العبادة وكانت روح العبادة أقوى؛ حتى إذا تمكن العبد بنصرة الحق وأوليائه الكُمّل عليهم السلام من الوصول إلى حقيقة العبودية وكنهها، أدرك



لمحة من سرّ العبادة. وهذان المقامان ـ أعني مقام عزّ الربوبية الذي هو الحقيقة ومقام ذلّ العبودية الذي هو رقيقته ـ مرموزان في جميع العبادات وبالأخص في الصلاة التي لها مقام الجامعية، ومنزلتها بين العبادات منزلة الإنسان الكامل ومنزلة الإسم الأعظم بل هي عينه. وللقنوت الذي هو من الأعمال المستحبة، وللسجدة الواجبة اختصاص بهذه الخصوصية وسنشير إليها فيما يأتي إن شاء الله.

وليعلم أن العبودية المطلقة من أعلى مراتب الكمال وأرفع مقامات الإنسانية، وليس لأحد فيها نصيب بالأصالة سوى الأكمل من خلق الله محمد صلى الله عليه وآله، ولأولياء الله الكمّل بالتبعية. وأما بقية العباد فهم في طريق العبادة عُرج وعبادتهم وعبوديّتهم عليلة. ولا يُنال المعراج الحقيقي المطلق إلا بقدم العبودية ولهذا قال الله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده**﴾ فقد أسرى الله سبحانه بتلك الذات المقدسة إلى معراج القرب والوصول بقدم العبودية والجذبة الربوبية.

وفي التشهد الصلاتي الذي هو رجوع من الفناء المطلق الذي يحصل للمصلّي في السجدة، نجد التوجّه إلى العبودية أيضاً قبل التوجه إلى الرسالة.

ويمكن أيضا أن يكون إشارة إلى أن مقام الرسالة هو نتيجة لجوهرة العبودية. ولهذا المطلب ذيل طويل خارج عن نطاق هذه الأوراق.





الفصل الثاني

في مراتب مقامات أهل السلوك

اعلم أن لأهل السلوك في هذا المقام وسائر المقامات مراتب ومدارج لا تحصى. ونحن نذكر بعض هذه المراتب على النحو الكلّي. وأما الإحاطة بجميع الجوانب وإحصاء جميع المراتب فخارج عن عهدتي أنا اللاشيء، فإن "الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق".

فمن تلك المراتب مرتبة "العلم". وهي أن يثبت بالسلوك العلمي والبرهان الفلسفي ذلة العبودية وعزة الربوبية. وهذا من لباب المعارف حيث اتضح في العلوم العالية والحكمة المتعالية أن كل ما في دار التحقق وتمام دائرة الوجود إنما هو صرف الربط والتعلّق ومحض الفقر والفاقة. أما العزّة والملك والسلطان فمختصة بذاته المقدس الكبريائي وليس لأحد نصيب من حظوظ العزة والكبرياء. وإن ذل العبودية والفقر قد ثبت في ناصيتهم وفي حاقّ حقيقتهم. وإنما حقيقة العرفان والشهود ونتيجة الرياضة والسلوك هي رفع الحجاب عن وجه الحقيقة ورؤية ذل العبودية وأصل الفقر والتدلي في النفس وفي جميع الموجودات، ولعل في الدعاء المنسوب إلى سيّد الكائنات صلى الله عليه وآله: **"اللهم أرني الأشياء كما هي"**، إشارة إلى هذا المقام بمعنى أنه صلى الله عليه وآله سأل الله سبحانه أن يشهده ذل العبودية المستلزم لشهود عزّ الربوبية.

فسالك طريق الحقيقة ومسافر سبيل العبودية إذا قطع هذا المنزل بالسلوك العلمي ومركب السير الفكري، يقع في حجاب العلم ويكون قد وصل إلى المقام الأول للإنسانية. ولكن هذا الحجاب من الحجب الغليظة



وقد قالوا أن العلم هو الحجاب الأكبر. وعلى السالك ألا يبقى في هذا الحجاب بل يخرقه. ولعله إذا اقتنع بهذا المقام وسجن قلبه في هذا القيد يقع في الاستدراج. والاستدراج في هذا المقام هو أن يشتغل بالتفريعات العلمية الكثيرة، ويشغل فكره في البحث عن البراهين الكثيرة لهذا المقصد، فيحرم من المنازل الأخر، ويتعلق قلبه بهذا المقام، ويغفل عن النتيجة المطلوبة وهي الوصول إلى فِناء الله، ويصرف عمره في حجاب البرهان وشعبه. وكلما كثرت الفروع يزداد الحجاب و يشتد الاحتجاب عن الحقيقة.

فعلى السالك ألاّ يغترّ بمكايد الشيطان في هذا المقام، فيحتجب بكثرة العلم وغزارته وقوة البرهان عن الحق والحقيقة ويتأخر عن السير في الطلب. بل يشمّر ذيل همّته، ولا يغفل عن الجدّ في طلب المطلوب الحقيقي حتى ينال المقام الثاني.

وهو أن يكتب كل ما أدركه عقله بقوة البرهان والسلوك العلمي بقلم العقل على صحيفة قلبه، ويوصل حقيقة ذل العبودية وعزّ الربوبية إلى القلب، ويتحرر من القيود والحجب العلمية، وسنشير إلى ذلك المقام عما قريب إن شاء الله. فنتيجة المقام الثاني إذاً هي حصول الايمان بالحقائق.

والمقام الثالث هو مقام الاطمئنان وطمأنينة النفس، وهو في الحقيقة المرتبة الكاملة من الإيمان. قال تعالى مخاطبا خليله ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي﴾ ولعلّنا نشير إلى تلك المرتبة أيضاً فيما بعد.

المقام الرابع مقام المشاهدة. وهو نور الهي وتجلّ رحماني يظهر في سرّ السالك تبعا للتجليات الأسمائية والصفاتية، وينوّر جميع قلبه بنور شهوديّ ولهذا المقام درجات كثيرة لا تتسع هذه الأوراق لذكرها.

وفي هذه المقام يبرز أنموذج من قرب النوافل المعبّر عنه بـ "كنت سمعه وبصره".

ويرى السالك نفسه مستغرقا في البحر اللامتناهي ومن ورائه بحر



عميق في غاية العمق تنكشف له فيه نبذة من أسرار القدر.

ولكلٍ من هذه المقامات استدراج يختص به، وللسالك فيه هلاك عظيم.

ولا بدّ للسالك في جميع هذه المقامات من تخليص نفسه من الأنانية والتخلص من رؤية نفسه وحبّها، فإنهما منبع أكثر المفاسد سيّما للسالك. وسنشير إلى ذلك المطلب إن شاء الله.

الفصل الثالث

في بيان الخشوع

إن من الأمور اللازمة للسالك في جميع عباداته ولا سيما في الصلاة التي هي رأس العبادات ولها مقام الجامعية، الخشوع. وحقيقته عبارة عن الخضوع التام الممزوج بالحب أو الخوف. وهو يحصل من إدراك عظمة الجلال والجمال وسطوتهما وهيبتهما.

وتفصيل هذا الإجمال هو أنّ قلوب أهل السلوك بحسب الجِبِلّة والفطرة متنوعة:

فبعض منها عشقّي ومن مظاهر الجمال، وتتوجه إلى جمال المحبوب بحسب الفطرة. فهؤلاء إذا أدركوا في سلوكهم ظل الجميل، أو شاهدوا أصل الجمال تمحوهم العظمة المختفية في سرّ الجمال فتصعقهم، لأنّ في كل جمال جلالا مختفيا وفي كل جلال جمالا مستورا.

ولعله إلى ذلك أشار مولى العارفين وأمير المؤمنين والسالكين صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين حيث قال:

"سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته، واشتدت نقمته لأعدائه في سعة رحمته" فتغشاهم هيبة الجمال وعظمته،



ويأخذهم الخشوع في حيال جمال المحبوب.

وهذه الحالة في أوائل الأمر توجب تزلزل القلب والاضطراب، وبعد التمكين تحصل للسالك حالة الأنس، وتتبدل حالة الوحشة والاضطراب المتولدة من العظمة والسطوة إلى الأنس والسكينة وتحصل له حالة الطمأنينة، كما كانت حالة قلب خليل الرحمن.

وبعض القلوب خوفّي ومن مظاهر الجلال، وهي تدرك على الدوام العظمة والكبرياء والجلال، وخشوعها يكون من الخوف، ومن تجلي الأسماء القهرية والجلالية عليها؛ كما كان حال يحيى، على نبيّنا وآله وعليه السلام. فالخشوع يكون ممزوجا تارة بالحب وأخرى بالخوف والوحشة، وان كان في كل حبّ وحشة، وفي كل خوف حبّ.

ومراتب الخشوع تكون بحسب مراتب إدراك العظمة والجلال والحسن والجمال. وحيث أن أمثالنا على هذه الحال من الحرمان من نور المشاهدات، فلا بد أن نكون بصدد تحصيل الخشوع من طريق العلم أو الإيمان. قال تعالى:

﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ فجعل الخشوع في الصلاة من حدود الإيمان وعلائمه. فمن لم يكن خاشعا في الصلاة فهو خارج زمرة أهل الإيمان طبقا لما قاله ذات الحق المقدس تعالى شأنه. قال الصادق عليه السلام **"إذا دخلت في صلاتك فعليك بالتخشّع والإقبال على صلاتك فإن الله تعالى يقول: "الذين هم في صلاتهم خاشعون"**.

وبما أن صلواتنا ليست مشفوعة بالخشوع، فإن ذلك ناجم إمّا عن نقص الإيمان أو فقدانه. ولإن الاعتقاد والعلم مغايران للإيمان، فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وسائر المعارف الإلهية الظاهرة منا، مغاير للإيمان وليس بإيمان.

والدليل على ذلك إن الشيطان كما شهد له الحق المقدس عالم بالمبدأ والمعاد ومع ذلك فهو كافر، لأنه يقول: **﴿ خلقتني من نار وخلقته من**



طين﴾ فهو إذاً يعترف بالحق تعالى وخالقيته، ويقول أيضاً: ﴿أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ فيعتقد بالمعاد، وهو كذلك عالم بالكتب والرسل والملائكة، ومع ذلك كله، خاطبه الله سبحانه بلفظ الكافر، وأخرجه من زمرة المؤمنين.

فإذاً يمتاز أهل العلم عن أهل الايمان. وليس كل من هو من أهل العلم أهل للإيمان. فيلزم للسالك أن يدخل نفسه في سلك المؤمنين بعد سلوكه العلمي، ويوصل إلى قلبه عظمة الحق وجلاله وبهاءه وجماله جلّت عظمته كي يخشع قلبه، فمجرد العلم لا يوجب خشوعا؛ كما ترون في أنفسكم، فمع كونكم معتقدين بالمبدأ والمعاد، ومع اعتقادكم بعظمة الله وجلاله ليست قلوبكم خاشعة. وأما قوله تعالى:

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾

فلعلّ المراد منه هو الايمان الصوري أي الايمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله. وإلا فالإيمان الحقيقي يتلازم مع مرتبة من الخشوع لا محالة. أو أن المراد من الخشوع في هذه الآية، هو الخشوع بمراتبه الكاملة، كما أن العالم ربما يطلق على من انتقل من حد العلم إلى حد الايمان، ويحتمل أن تكون الآية الشريفة ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ إشارة إلى هؤلاء.

وقد أطلق العلم والايمان والإسلام في الكتاب والسنة على المراتب المختلفة منها، وبيانها خارج عن وظيفة هذه الأوراق.

وبالجملة على سالك طريق الآخرة ـ وخصوصا من يسلك بقدم المعراج الصلاتي ـ أن يجعل قلبه خاشعا بنور العلم والإيمان، وان يثبّت هذه الرقيقة الإلهية والبارقة الرحمانية في قلبه بمقدار ما يمكنه، فلعله يستطيع أن يحافظ على هذه الحالة في كل الصلاة.

وحالة التمكّن والاستقرار وان كانت لا تخلو في أول الأمر من صعوبة وإشكال لأمثالنا، ولكنها مع الممارسة والارتياض القلبي أمر ممكن جدّا.



عزيزي، أن تحصيل الكمال وزاد الآخرة يستدعي طلبا وجدا، وكلما كان المطلوب أعظم فهو أحرى بالجدّ.

ومن الواضح أن معراج القرب الألوهي ومقام جوار رب العزة، لا يتيسر مع هذا التراخي والفتور والتساهل، فيلزمك القيام بفتوّة حتى تصل إلى المطلوب. وطالما أنك تؤمن بالآخرة، وتعلم بأن النشأة الآخرة لا يمكن أن تقاس بهذه النشأة من حيث السعادة والكمال أو من حيث الشقاء والوبال - لأن تلك النشأة عالم أبدي دائم لا موت فيه ولا فناء والسعيد فيه في راحة وعزة ونعمة أبدية وهي راحة لا يوجد لها شبيه في هذا العالم، وعزة وسلطنة إلهية ليس لهما نظير في هذه النشأة، و نِعَمٌ ما خطرت على مخيّلة أحد. وكذلك الأمر في جانب الشقاوة، فإن عذابها ونقمتها ووبالها ليس لها في هذا العالم مثيل ولا نظير - وتعلم أن طريق الوصول إلى السعادة إنما هو إطاعة رب العزة، و أنه ليس في العبادات ما يضاهي هذه الصلاة، فإنها مرهم إلهي جامع يتكفل بسعادة البشر (وان قبلت قبلت جميع الأعمال). فلا بدّ لك من الجدّ التام في طلبها ولا تتضايق في السعي إليها ومن تحمل المشاق في سبيلها، مع أنه ليس فيها مشقة بل انك إذا واظبت عليها مدة يسيرة، وحصل لقلبك الأنس بها لتجدنَّ وأنت في هذا العالم من المناجاة مع الحق تعالى شأنه لَذّات لا يقاس بها لذّة من لذّات هذه الدنيا، كما يظهر من السير في أحوال أهل المناجاة مع الله سبحانه.

وبالجملة، فخلاصة ما ذكرنا في هذا الفصل أنه إذا علم الإنسان بالبرهان أو ببيان الأنبياء عليهم السلام عظمة الله وجماله وجلاله، فلا بدّ إن يذكّر القلب بها حتى يدخل الخشوع شيئا فشيئا في القلب بواسطة التذكّر والتوجه القلبي والمداومة على ذكر عظمة الله وجلاله وتحصل النتيجة المطلوبة. ولا بد للسالك ألاّ يقنع في حال من الأحوال بالمقام الذي هو فيه، فإنه مهما كانت المقامات لأمثالنا، فلا تساوي أصغر نقد في سوق أهل



المعرفة، ولا تقابل في سوم أصحاب القلوب حبة خردل.

فليتذكر السالك في جميع حالاته نقائصه ومعايبه، فلعلّه ينفتح له طريق إلى السعادة من هذه السبيل. والحمد لله.

الفصل الرابع

في بيان الطمأنينة

من الآداب القلبية المهمة للعبادات ـ وخصوصا العبادات الذكرية ـ الطمأنينة. وهي غير الطمأنينة التي اعتبرها الفقهاء رضوان الله عليهم في خصوص الصلاة. وهي عبارة عن أن يأتي السالك بالعبادة مع سكون القلب واطمئنان الخاطر، لأن العبادة إذا أتي بها حال اضطراب القلب وتزلزله، فلا ينفعل القلب بها، ولا يحصل أثر منها في ملكوت القلب ولا تصير حقيقة العبادة صورة باطنية له.

في حين أن من إحدى نكات تكرار العبادات وتكثير الأذكار والأوراد أن يتأثر القلب بها وينفعل حتى يتشكل باطن السالك شيئا فشيئا من حقيقة الذكر والعبادة، ويتحد قلبه بروح العبادة. وطالما لم يكن للقلب اطمئنان وسكون وطمأنينة ووقار، لا يكون للأذكار والنسك فيه تأثير، ولا يسري أثر العبادة من ظاهر البدن وملكه إلى ملكوته وباطنه ولا يؤدي إلى القلب حظوظه من العبادة. وهذا من الأمور الواضحة التي لا تحتاج إلى بيان، ويعلم بأدنى تأمّل، وإذا كانت العبادة بهذه الكيفية بحيث لا يشعر القلب بها أصلا ولا يظهر منها أثر في الباطن، وهي غير محفوظة في سائر العوالم، ولا تصعد من نشأة الملك إلى نشأة الملكوت، ومن الممكن أن تمحى صورتها بالكلية عن صفحة القلب ـ ونعوذ بالله ـ عند شدائد مرض الموت وسكراته المهيبة والأهوال والمصائب التي تكون بعد الموت، فإن صورتها قد تمحى بالكامل من



على صفحة القلب، ويقدم الانسان على الله صفر اليدين.

فمثلا، إذا قال أحد الذكر الشريف: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بسكينة القلب وإطمئنانه، وراح يعلّم القلب هذا الذكر الشريف، فإن لسان القلب ينطق بالتدريج، حتى يصبح لسان الظاهر تابعا للسان القلب. ففي البداية يكون القلب ذاكراً ثم يتبعه اللسان، وإلى هذا المعنى أشار الإمام الصادق عليه السلام، على ما في رواية مصباح الشريعة قال:

"فاجعل قلبك قبلة للسانك لا تحركه إلا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضى الإيمان".

ففي أول الأمر ما لم ينطق لسان القلب، فعلى سالك طريق الآخرة أن يعلّمه النطق ويلقنه الذكر مع طمأنينة وسكون، فإذا انفتح لسان القلب بالنطق يكون القلب قبلة للّسان ولسائر الأعضاء. فإذا شرع القلب في الذكر تكون مملكة وجود الإنسان بأسرها ذاكرة.

وأما إذا قال هذا الذكر الشريف بلا سكون في القلب ولا طمأنينة منه ومع العجلة والاضطراب وتشتت الحواس، فلا يكون منه أيّ تأثير في القلب ولا يتجاوز حدّ اللسان والسمع الحيواني الظاهري إلى الباطن والسمع الإنساني، ولا تتحقق حقيقته في باطن القلب، ولا يصير صورة كمالية له غير ممكنة الزوال. فإن إصابته الأهوال والشدائد، وبالخصوص أهوال الموت وسكراته وشدائد نزع الروح الإنساني، ينسى الذكر كليا، وينمحي الذكر الشريف عن صحيفة قلبه، بل حتى اسم الله سبحانه وتعالى واسم الرسول الخاتم ودين الإسلام الشريف، والكتاب الإلهي المقدس والأئمة الهداة وسائر المعارف التي لم يوصلها إلى القلب؛ فينساها كلها. وعند سؤال القبر لا يحير جوابا؛ ولن يكون التلقين مفيدا لحالته، لأنه لا يجد في نفسه عندها، من حقيقة الربوبية والرسالة وسائر المعارف أثراً. وما قاله بلقلقة لسانه مما لم يكن له صورة في القلب قد انمحى من ذاكرته، فلا يكون له نصيب من الشهادة بالربوبية والرسالة وسائر المعارف.



وفي الحديث أن طائفة من أمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إذا أوردوهم النار ونظروا إلى مالك خازن جهنم نسوا اسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هيبته، مع أنهم عدوا في نفس الحديث من أهل الإيمان وقلوبهم ووجوههم كانت ساطعة ومتلألئة بالايمان.

قال المحدّث العظيم الشأن المجلسي، رحمه الله، في مرآة العقول في شرح الحديث الشريف: (كنت سمعه وبصره) ما حاصله أن من لم يصرف بصره وسمعه وسائر أعضائه في سبيل إطاعة الحق تعالى لم يكن له بصر وسمع روحاني وهذا البصر والسمع الملكي الجسماني لا ينتقل إلى ذاك العالم ويكون الإنسان في عالم القبر والقيامة بلا سمع ولا بصر، والميزان في السؤال والجواب في القبر تلك الأعضاء الروحانية (انتهى ملخصا).

وبالإجمال، فإن الأحاديث الشريفة في هذا النحو من الطمأنينة وآثارها كثيرة، ومن هذه الجهة أمر بترتيل القرآن الشريف، وفي الحديث: عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: **"من نسي سورة من القرآن مُثّلَت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة، فإذا رآها قال من أنت ما أحسنك ليتك لي، فتقول: أما تعرفني، أنا سورة كذا وكذا لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا المكان"**.

وفي الحديث قال: **"من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بدمه ولحمه"**.

والسّر في ذلك أنّ اشتغال القلب وتكدّره في أيام الشباب أقل. لذا يتأثر بالقرآن أكثر وأسرع ويكون أثره أيضاً أبقى. وفي هذا الباب أحاديث كثيرة نذكر بعضها في باب القراءة إن شاء الله. وفي الحديث الشريف: **"ما من شيء أحبّ إلى الله عزّ وجل من عمل يداوم عليه وإن قلّ"**؛ ولعل السر العمدة فيه أنه مع المداومة يصبح العمل صورة باطنية للقلب كما ذكرنا.



الفصل الخامس

في بيان الحفاظ على العبادة من تصرف الشيطان

من الآداب القلبية المهمة للصلاة وسائر العبادات: الحفاظ عليها من التصرفات الشيطانية، وهو في الوقت نفسه من أمهات الآداب القلبية والقيام به من عظائم الأمور وأدق الدقائق. ولعل الآية الشريفة في وصف المؤمنين الذين هم على صلواتهم يحافظون إشارة إلى جميع مراتب الحفظ التي تكون إحداها بل أهمها الحفاظ عليها من تصرفات الشيطان.

وتفصيل هذا الإجمال أن من الواضح عند أصحاب المعرفة وأرباب القلوب كما أن للابدان غذاء جسمانيا تتغذى به، ولا بد أن يكون الغذاء مناسبا لحالها وموافقا لنشأتها حتى تتيسر لها التربية الجسمانية والنمو النباتي، كذلك فإن للقلوب والأرواح غذاء لا بد أن يكون مناسبا لحال كل منها وموافقا لنشأتها، كي تتربى به وتتغذى منه وتنمو نموا معنويا وترقى ترقيا باطنيا. والغذاء المناسب لنشأة الأرواح هو المعارف الإلهية اعتبارا من مبدأ مبادئ الوجود إلى منتهى نهاية نظام الوجود، كما قال أعاظم أرباب الصناعة الفلسفية في تعريف الفلسفة "هي صيرورة الإنسان عالما عقليا مضاهيا للعالم العيني في صورته وكماله". وهذا القول يشير إلى هذا التغذي المعنوي، في حين أن تغذي القلوب يستمد من الفضائل والمناسك الإلهية.

وليعلم أن كلا من هذه الأغذية إذا خلص من تصرف الشيطان وأعدّ بيد الولاية للرسول الخاتم وولي الله الأعظم صلوات الله عليهما وآلهما،



يتغذى الروح والقلب منه وينالا الكمال اللائق بالإنسانية ومعراج القرب إلى الله. ولا يحصل الخلاص من تصرف الشيطان الذي هو مقدمة للإخلاص بحقيقته إلا أن يكون السالك في سلوكه طالباً لله. ويضع حب النفس وعبادتها، الذي هو منشأ المفاسد كلها وأمُّ الأمراض الباطنية تحت قدميه. وهذا لا يتيسر بتمام معناه في غير الإنسان الكامل وبتبعه في خُلَّص أوليائه عليهم السلام، وأما سائر الناس فغير ميسّر لهم هذا الخلاص. ولكن على السالك إلاّ ييأس من الألطاف الباطنية لله سبحانه فإن اليأس من روح الله رأس كل برودة وفتور، ومن أعظم الكبائر. وما هو ممكن من الإخلاص لصنف الرعايا هو أيضاً قرّة العين لأهل المعرفة.

فعلى سالك طريق الآخرة لزوما حتما أن يخلص معارفه ومناسكه من تصرف الشيطان والنفس الأمارة مهما بلغ من الجهد، وان يغوص في حركاته الباطنية وتغذياته الروحية، ولا يغفل عن حيل النفس والشيطان وحبائل النفس الأمارة وإبليس؛ وان يسيء الظن بشكل كامل في جميع حركاته وأفعاله، ولا يدع نفسه على رسلها آنا ما، فربما تتغلب عليه إذا تسامح معها وتصرعه وتسوقه إلى الهلاك والفناء، لأن الأغذية الروحانية إذا لم تكن خالصة من تصرف الشيطان وتدخلت يده في أعدادها، فمضافا إلى أنه لا تتربى بها الأرواح والقلوب، ولا تصل إلى الكمال اللائق بها، يحصل لها النقصان الفاحش أيضاً، ولعلها تجعل صاحبها منسلكا في سلك الشياطين والبهائم والسباع. وما كان سببا للسعادة ورأسمال كمال الإنسانية والوصول إلى المدارج العالية ليعطي النتيجة المعكوسة ويسوق الإنسان إلى هاوية الشقاء المظلمة؛ كما رأينا في بعض أهل العرفان الاصطلاحي أشخاصا انتهت بهم هذه الاصطلاحات والغور فيها إلى الضلالة، وجعلت قلوبهم منكوسة وبواطنهم مظلمة، وصار الإشتغال في المعارف موجبا لقوة أنانيتهم وإنيتهم حتى صدرت منهم



الدعاوى غير اللائقة والشطحات غير المناسبة. وكذلك رأينا في أرباب الرياضات والسلوك أفرادا أدت رياضتهم واشتغالهم بتصفية النفس إلى جعل قلوبهم أكدر وباطنهم أظلم؛ وكل ذلك لم يكن إلا لأنهم لم يحافظوا على سلوكهم المعنوي الإلهي ومهاجرتهم إلى الله، وكان سلوكهم العلمي وارتياضهم بتصرف الشيطان والنفس وإلى الشيطان والنفس.

وكذلك رأينا في طلاب العلوم النقلية الشرعية أفرادا أثّر فيهم العلم الأثر السيئ وزاد في مفاسدهم الأخلاقية. والعلم الذي لابد أن يكون موجبا لفلاحهم ونجاتهم، صار سببا لهلاكهم ودعاهم إلى الجهل والمماراة والاستطالة.

وكذلك في أهل العبادة والمناسك والمواظبين على الآداب والسنن أشخاص جعلت العبادة والنسك - التي هي رأسمال إصلاح الأحوال والنفوس - قلوبهم كدرة و مظلمة وحملتهم على العجب ورؤية النفس والكبر والتغمّز وسوء الخلق وسوء الظن بعباد الله، وهذا كله أيضاً من عدم المواظبة على هذه المراهم الإلهية. ومن المعلوم أن مرهما هُيئ وأعدّ بيد العفريت الخبيث وبتصرف النفس الطاغية، لا يتولد منه إلا الخلق الشيطاني. وحيث أن القلب يتغذى من تلك الأغذية على أي حال وتصير الأغذية صورة باطنية للنفس، فبعد أن يداوم عليها مدة يصير الإنسان من مواليد الشيطان وقد تربى على يديه، ونشأ ونما تحت تصرفه. فإذا أغمض عينه الملكية وانفتحت عينه الملكوتية، يرى نفسه من الشياطين، فلا نتيجة في تلك الحال سوى الخسران، ولا تغني عنه الحسرات والندامات شيئا.

فعلى سالك طريق الآخرة في كل فرع من الفروع الدينية، وفي كل طريق من الطرق الالهية:

أولاً - أن يراقب حاله بكمال الانتباه والدقة، كطبيب رفيق ورقيب شفيق، ويفتش بالدقة عن عيوب سيره وسلوكه.



ثانياً ـ ألا يغفل خلال هذه المراقبة والتفتيش عن الاستعاذة بالذات المقدسة الحق جلّ وعلا في خلواته والتضرع والاستكانة إلى جنابه الأقدس ذي الجلال.

اللهم انك تعلم ضعفنا ومسكنتنا، وتعلم أنّنا لا نستطيع الفرار من هذا العدو القوي القدير الذي طمع في التسلط على الأنبياء العظام والكمّل من الأولياء الرفيعي المقام، فإن فقدنا بارقة لطفك ورحمتك أوقعنا هذا العدو القوي في مصارعتنا إيّاه أرض الهلاك والبوار، وصيّرنا تائهين في الظلمة والشقاوة، فأسألك بالخاصة في جنابك والمحارم في حضرتك أن تأخذ بيدنا نحن المتحيرين في وادي الضلالة، والحائرين في صحراء الغواية وان تطهّر قلوبنا من الغلّ والغش والشرك والشك، انك وليّ الهداية.

الفصل السادس

في بيان النشاط والبهجة

ومن الأداب القلبية للصلاة وسائر العبادات وله نتائج حسنة بل هو موجب لفتح بعض الأبواب وكشف بعض أسرار العبادات، أن يجتهد السالك في أن تكون عبادته عن نشاط وبهجة في قلبه وفرح وانبساط في خاطره، ويحترز احترازا شديداً من الإتيان بالعبادة مع الكسل وأدبار النفس. فعليه أن يختار وقت العبادة بحيث يكون للنفس إقبال ونشاط وحيوية بعيدا عن التعب والفتور. لأنه إذا حمل النفس على العبادة في حين الكسل والتعب، يمكن أن تترتب عليه آثار سيئة، منها:

أن يتضجر الإنسان من العبادة ويزيد تكلفه وتعسّفه، ويوجب ذلك بالتدريج تنفر طباع النفوس منها. وهذا، مضافاً إلى أنه من الممكن أن يصرف الإنسان بالكامل عن ذكر الحق، ويؤذي الروح من مقام العبودية التي هي



منشأ جميع السعادات، ينتج عنه ألا يحصل للعبادة مع هذه الحالة نورانية القلب، ولا ينفعل باطن النفس منها، ولا تصير صورة العبودية صورة باطنية للقلب. وقد ذكرنا من قبل أن المطلوب في العبادات هو أن ينطبع باطن النفس بصورة العبودية.

والآن نقول:

إن من أسرار العبادات والرياضات ونتائجهما أن تكون إرادة النفس في ملك البدن نافذة، وتكون دولة النفس منقهرة ومضمحلة في كبريائها، وتسيطر الإرادة على القوى المبثوثة والجنود المنتشرة في ملك البدن وتمنعها من العصيان والتمرد والأنانية، وتكون القوى مسلمة لملكوت القلب وباطنه، بل تصير جميع القوى بالتدريج فانية في الملكوت، ويطبق أمر الملكوت في الملك وينفذ فيه، وتقوى إرادة النفس، ويفلت زمام المملكة من يد الشيطان والنفس الأمارة، وتساق جنود النفس من الإيمان إلى التسليم ومن التسليم إلى الرضا ومن الرضا إلى الفناء. وفي هذه الحالة تجد النفس رائحة من أسرار العبادة، ويحصل لها شيء من التجليات الفعلية. وما ذكرنا لا يتحقق إلا بأن تؤدى العبادات عن نشاط وبهجة ويحترز فيها من التكلف والتعسف والكسل احترازا تامّا، كي تحصل للعابد حالة المحبة والعشق لذكر الحق ولمقام العبودية، ويحصل له الأنس والتمكّن.

وان الأنس بالحق وذكره من أعظم المهمات؛ ولأهل المعرفة بهما عناية شديدة وفيها يتنافس المتنافسون من أصحاب السير والسلوك. وكما أن الأطباء يعتقدون بأن الطعام إذا أكل بالسرور والبهجة يكون أسرع في الهضم، كذلك يقضي الطب الروحاني بأن الإنسان إذا تغذى بالأغذية الروحانية بالبهجة والاشتياق محترزا من الكسل والتكلف، يكون ظهور آثارها في القلب وتصفية باطنه بها أسرع.

وقد أشير إلى هذا الأدب في الكتاب الإلهي الكريم والصحيفة



الربوبية القويمة، حينما قال تعالى في مقام تكذيب الكفار والمنافقين: **ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾**. وقد فسرت آية **﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾** في حديث بأن المراد من سكارى كسالى.

وأشير في الروايات أيضا إلى هذا الأدب ونحن نذكر بعضا منها كي تفخر هذه الأوراق به.

محمد بن يعقوب باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **"لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة"**.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **"يا عليّ انّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك"**.

وفي الحديث عن العسكري عليه السلام: **إذا نشطت القلوب فأودعوها وإذا نفرت فودّعوها**.

وهذا دستور جامع منه عليه السلام بأن أودعوا في القلوب في وقت نشاطها، وأما في وقت نفارها فخلّوها تستريح. فلا بد في كسب المعارف والعلوم أيضاً من رعاية هذا الأدب، وألا يحمل القلوب على الكسب مع الكراهة والنفور.

ويستفاد من هذه الأحاديث وأحاديث أُخَر أدب آخر وهو أيضاً من المهمات في باب الرياضة وهو أدب الرعاية.

وكيفيته أن يراعي السالك في أي مرتبة كان فيها، سواء في الرياضات والمجاهدات العلمية أم النفسانية أم العمليّة، حاله ويتعامل مع نفسه بالرفق والمداراة ولا يحمّلها أزيد من طاقتها وحالها. ورعاية هذا الأدب بالنسبة إلى الشباب وحديثي العهد من المهمات، فإنه إذا لم يعامل الشباب أنفسهم بالرفق والمداراة ولم يؤدّوا الحظوظ الطبيعية إلى أنفسهم بمقدار حاجتها من



الطرق المحللة يوشك أن يقعوا في خطر عظيم لا يتيسر لهم جبرانه، وهو أن النفس ربما تصير بسبب الضغط عليها وكفها عن مشتهياتها أكثر من العادة مطلقة العنان في شهواتها ويخرج زمام الاختيار من يد صاحبها. واقتضاءات الطبيعة إذا تراكمت ونار الشهوة الحارّة إذا وقعت تحت ضغط الرياضة الزائدة عن الحد، فإنها تستعر لا محالة وتحرق كل المملكة. وإذا صار السالك لا سمح الله مطلق العنان أو أصبح الزاهد بلا اختيار، فإنه يقع في هاوية لا يرى وجه النجاة منها أبداً ولا يعود إلى طريق السعادة والفلاح بتاتا.

فعلى السالك أن يجس نبضه في أيام سلوكه كطبيب حاذق ويعامل نفسه على أساس مقتضى الأحوال وأيام السلوك. وفي أيام اشتعال نار الشهوة وغرور الشباب لا يمنع طبيعته من حظوظها كليا. وعليه أن يخمد نار الشهوة بالطرق المشروعة. فإن في إطفاء الشهوة بطريق الأمر الإلهي إعانة كاملة على سلوك طريق الحق. فلينكح وليتزوج فإنه من السنن الإلهية الكبرى؛ ومضافا إلى أنه مبدأ بقاء النوع الإنساني، فإن له دوراً كبيرا أيضاً في سلوك طريق الآخرة. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله "**من تزوّج فقد أحرز نصف دينه**" وفي حديث آخر: "**من أحب أن يلقى الله مطهّراً فليلقه بزوجة**".

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال "**أكثر أهل النار العزّاب**".

وعن عليّ عليه السلام قال "**إن جماعة من الصحابة كانوا حرّموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل فأخبرت أم سلمة رسول الله فخرج إلى أصحابه فقال: أترغبون عن النساء؟ إني آتي النساء، وآكل بالنهار، وأنام بالليل، فمن رغب عن سنّتي فليس مني. وأنزل الله "لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا**



يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيّبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون".

وبالجملة، على سالك طريق الآخرة (رعاية) حالات إدبار النفس وإقبالها، فكما أنه لا يجوز له الكف عن الحظوظ مطلقا فإنه منشأ لمفاسد عظيمة، لا ينبغي له أن يزعج نفسه في العبادات والرياضات العملية، وألا يجعلها تحت الضغوط، خصوصاً في أيام الشباب وابتداء السلوك فإنه أيضاً يكون منشأ لتضجر النفس ونفورها وربما ينصرف الإنسان به عن ذكر الحق.

والإشارة إلى هذا المعنى في الأحاديث كثيرة، ففي الكافي الشريف:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **"اجتهدت في العبادة وأنا شابّ فقال لي أبي يا بنيّ دون ما أراك تصنع فإن الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبدا رضي منه باليسير"**.

وعن أبي جعفر قال: قال رسول الله: **"إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبتّ الذي لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى"**.

وفي حديث آخر **"ولا تبغّض إلى نفسك عبادة الله"**.

وبالجملة، الميزان في باب المراعاة أن يكون الإنسان ملتفتا إلى أحوال النفس، ويسلك معها بحسب قوتها وضعفها. فإذا كانت النفس قوية في العبادات والرياضات وتقدر على المقاومة، فليجدّ ويسعى في العبادة. وأما الذين طووا أيام عنفوان الشباب، وانطفأت نائرة الشهوات شيئا ما فيهم، فالمناسب لهم أن يجدّوا في الرياضات النفسانية أكثر ويدخلوا في السلوك والرياضة بفتوّة. فكلما عوّدوا النفس على الرياضات، فتح لهم باب آخر إلى أن تغلب النفس القوى الطبيعية وتصير القوى الطبيعية مسخّرة تحت كبرياء النفس.

وما ورد في الأحاديث الشريفة: من الأمر بالجدّ والسعي في العبادة،



وما ورد فيها من مدح الذين يجتهدون في العبادة والرياضة، وما ورد في عبادات أئمة الهدى عليهم السلام من جهة، وما ورد من هذه الأحاديث الشريفة المادحة للاقتصاد في العبادة من جهة أخرى، مبنيّ على اختلاف أهل السلوك ودرجات النفوس وأحوالها، والميزان الكلّي هو نشاط النفس وقوّتها أو نفورها وضعفها.

الفصل السابع
في بيان التفهيم

ومن الآداب القلبية للعبادات ـ وخصوصا العبادات الذكرية ـ التفهيم، وكيفيته:

إن يعتبر الإنسان قلبه في أول الأمر كطفل ما انفتح لسانه، وهو يريد أن يعلّمه كلاّ من الأذكار والأوراد والحقائق وأسرار العبادات بكمال الدقة والعناية، و يفهّمه الحقيقة التي أدركها في أيّ مرتبة كان فيها.

فإذا لم يكن من أهل فهم معاني القرآن والأذكار وليس له نصيب من أسرار العبادات، فيفهّم القلب المعنى الإجمالي وهو أن القرآن كلام الله والأذكار مذكرات بالحق تعالى والعبادات إطاعة لأمر الربّ. ويفهم القلب هذه المعاني الإجمالية.

وإن كان أهل فهم المعاني الصورية للقرآن والأذكار، فيفهّم القلب المعاني الصورية من الوعد والوعيد والأمر والنهي وعلم المبدأ والمعاد بالمقدار الذي أدركه.

وان كشفت له حقيقة من حقائق المعارف، أو كشف له سرّ من أسرار العبادات، فيعلّم القلب ذاك المكشوف بجدّ واجتهاد.



ونتيجة هذا التفهيم هو أنه بعد مدة من المواظبة، ينفتح لسان القلب ويصبح القلب ذاكراً ومتذكرا. ففي أول الأمر كان القلب متعلما واللسان معلّما، وكان القلب ذاكرا بذكر اللسان وتابعا له في الذكر. وأما بعدما انفتح لسان القلب يصبح الأمر معكوسا، فيكون القلب ذاكرا أوّلا ويتبعه اللسان في الذكر والحركة.

بل ربما يتفق للإنسان في حالة النوم أن يكون لسانه ذاكرا تبعا للذكر القلبي، لأنّ الذكر القلبي لا يختصّ بحال اليقظة. فإذا كان القلب متذكرا، يكون اللسان التابع له أيضاً ذاكرا، ويسري الذكر من ملكوت القلب إلى الظاهر ﴿**قل كلّ يعمل على شاكلته**﴾.

وبالجملة، ففي أول الأمر لابد أن يلاحظ الإنسان هذا الأدب: أي التفهيم؛ حتى ينفتح لسان القلب الذي هو المطلوب الحقيقي. وعلامة انطلاق لسان القلب أن يرتفع تعب الذكر ومشقته ويحصل النشاط والفرح، ويرتفع الملل والألم؛ كشأن الإنسان إذا أراد أن يعلّم طفلا لم يشرع في التكلم، فما دام الطفل لم يتعلم النطق، فإن المعلم يكون في تعب وملالة؛ فإذا انفتح لسان الطفل وأدّى الكلمة التي علّمها إياها ارتفعت ملالة المعلم. بل نجد المعلم يؤدي الكلمة تبعا لأداء الطفل من دون ألم وتعب.

فالقلب أيضاً في أول الأمر طفل ما انفتح لسانه بالكلام، ولابدّ له من التعلّم وتلقّن الأذكار والأوراد. فإذا انفتح لسان القلب، يكون تابعا له وترتفع مشقة الذكر وتعب التعليم وملالة الذكر. وهذا الأدب بالنسبة إلى المبتدئين ضروري جدا.

وليعلم أن من نكات تكرار الأذكار والأدعية ودوام الذكر والعبادة أن ينفتح لسان القلب فيكون ذاكراً وداعياً وعابداً. وما دام هذا الأدب المذكور غير ملحوظ لا ينفتح لسان القلب. وقد أشير إلى هذا المعنى في الأحاديث الشريفة كما في الكافي الشريف عن الصادق عليه السلام أن



علياً عليه السلام قال في ضمن بيان بعض آداب القراءة: "**ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة**". وفيه أيضاً أن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال لأبي أسامة: "**يا أبا أسامة أوعوا قلوبكم ذكر الله واحذروا النكت**".

وحتى الكمل من أولياء الله كانوا يلاحظون هذا الأدب أيضا. كما في الحديث أن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كان في صلاته فغشي عليه، فلمّا أفاق سئل عن سببه فقال: **مازلت أردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته.**

وروي عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة يردّد قوله تعالى: "**إن تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**".

وبالجملة، فحقيقة الذكر والتذكر هي الذكر القلبي. أما الذكر اللساني بدونه فهو بلا لبّ وساقط عن درجة الاعتبار تماما. كما أشير إلى ذلك في الأحاديث الشريفة في غير مرة، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال لأبي ذرّ: "**يا أبا ذرّ ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب لاه (ساه)**".

وروي عنه صلى الله علية وآله أيضاً "**أن الله سبحانه لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم**".

وسيأتي في أحاديث حضور القلب أنه يقبل من الصلاة بقدر ما أقبل بقلبه. وكلما كان القلب غافلا فبمقدار الغفلة تكون الصلاة غير مقبولة. وما لم يلاحظ الأدب المذكور لا يحصل الذكر القلبي، ولا يخرج القلب من السهو والغفلة.

وفي الحديث أن الصادق عليه السلام قال:

"**فاجعل قلبك قبلة للسانك لا تحركه إلا بإشارة القلب**". ولا يتحقق



كون القلب قبلة و تبعية اللسان وسائر الأعضاء له إلا بملاحظة هذا الأدب. وان اتفق في مورد ما حصول الأمور المذكورة بدون هذا الأدب فهو من النوادر ولا يجوز للإنسان أن يغترّ به.

الفصل الثامن

في بيان حضور القلب

من الآداب القلبية المهمة الذي يمكن أن يكون كثير من الآداب مقدمة له والعبادة بدونه ليس لها روح، وهو بنفسه مفتاح قفل الكمالات وباب أبواب السعادات وقلّما ذكر في الأحاديث الشريفة شيء بهذه المثابة، وقلّما اهتمّ بشيء من الآداب كهذا الأدب: حضور القلب. ونحن وان ذكرنا في رسالة سر الصلاة، وكذلك في كتاب الأربعين قدرا مستوفى منه وبيّنا درجاته ومراتبه، ولكن نذكر في هذا المقام أيضاً شيئا منه تتميما للفائدة وتحرزا عن الإحالة فنقول:

كما ذكرنا سابقا بأن العبادات والمناسك والأذكار والأوراد إنما تنتج نتيجة كاملة إذا صارت صورة باطنية للقلب، وتخمّر باطن ذات الإنسان بها، وتصوّر قلب الإنسان بصورة العبودية وخرج عن الهوى والعصيان؛ وذكرنا أيضاً أن من أسرار العبادات وفوائدها أن تتقوى إرادة النفس وتتغلب النفس على الطبيعة، وتكون القوى الطبيعية مسخّرة تحت قدرة النفس وسلطنتها، وتكون إرادة النفس الملكوتية نافذة في ملك البدن بحيث تكون القوى بالنسبة إلى النفس كملائكة الله بالنسبة إلى الحق تعالى **﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾**، **﴿وهم بأمره يعملون﴾**.

ونقول الآن: إن من أسرار العبادات وفوائدها المهمة التي تكون بقية



الفوائد مقدمة لها، أن تكون مملكة البدن بجميعها، ظاهرها وباطنها، مسخّرة تحت إرادة الله ومتحركة بتحريك الله تعالى، وتكون القوى الملكوتية والملكية للنفس من جنود الله، وتكون كلها كملائكة الله. وهذه من المراتب النازلة لفناء القوى والارادات في إرادة الحق. ويترتب على هذا بالتدريج النتائج العظيمة ويصبح الإنسان الطبيعي إلهيا؛ وتكون النفس مرتاضة بعبادة الله، وتنهزم جنود ابليس بشكل نهائي وتنقرض، ويكون القلب مع قواه مسلّما للحق، ويبرز الإسلام ببعض مراتبه الباطنية في القلب، وتكون نتيجة هذا التسليم لإرادة الحق في الآخرة أن الحق تعالى ينفذ إرادة صاحب هذا القلب في العوالم الغيبية، ويجعله مثلا أعلى لنفسه. فكما أنه تعالى وتقدس يوجد كل ما أراد بمجرد الإرادة، يجعل إرادة هذا العبد أيضاً كذلك؛ كما روى بعض أهل المعرفة عن النبي صلى اله عليه وآله في وصف أهل الجنة أنه يأتيهم ملك فيستأذن للدخول عليهم وبعد الاستئذان يدخل فيبلّغ السلام من الله تعالى عليهم ويعطي كلا منهم رسالة مكتوباً فيها:

من الحي القيوم الذي لا يموت إلى الحي القيوم الذي لا يموت أما بعد فإني أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون، فقال صلى الله عليه وآله: فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلا ويكون".

وهذه هي السلطنة الإلهية التي تعطى للعبد لأجل تركه إرادة نفسه وترك سلطنة الأهواء النفسانية وإطاعة ابليس وجنوده، ولا تحصل كل من هذه النتائج المذكورة إلا بالحضور الكامل للقلب. وإذا كان القلب في وقت العبادة غافلا وساهيا لا تكون عبادته حقيقية بل تشبه اللهو واللعب، ولا يكون لمثل هذه العبادة أثر في النفس البتة، ولا تتجاوز العبادة من الصورة والظاهر إلى الباطن والملكوت، كما أشير إلى ذلك في الأحاديث، ولا تكون القوى النفسانية بمثل تلك العبادة مسلمة للنفس ولا تظهر سلطنة النفس لها، كذلك القوى الظاهرية والباطنية لا تكون مستسلمة لإرادة الله ولا



تنقهر المملكة تحت كبرياء الحق كما هو واضح جدا. ولذا ترون أنه بعد مضيّ أربعين أو خمسين سنة لا يحصل أثر في أنفسنا، بل تزداد يوما فيوما ظلمة القلب وتعصّي القوى، ويزيد اشتياقنا إلى الطبيعة وإطاعتنا للأهواء النفسانية والوساوس الشيطانية آنا فآناً. وليس هذا كله إلا من جهة ان عبادتنا قشور بلا لبّ وفاقدة للشرائط الباطنية والآداب القلبية. هذا، في حين أننا نرى كتاب الله سبحانه قد نصّ على أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهذا النهي ليس صوريا البتة، بل لا بد من مصباح يزهر في القلب، ويضيء نور في الباطن يهدي الإنسان إلى عالم الغيب، ويوجِد زاجرا إلهيا ينهى الإنسان عن العصيان والتمرد.

وها نحن أولاء نحسب أنفسنا في زمرة المصلين، وقد مضت علينا سنون ونحن مشتغلون بهذه العبادة العظيمة ومع ذلك لا نرى في أنفسنا هذا النور ولا نجد في باطننا هذا الزاجر والمانع.. فواهٍ لنا يوم نُعطى صور أعمالنا وصحيفة أفعالنا في ذلك العالم بأيدينا ويقال ﴿ **كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ وانظر هل تليق تلك العبادات بالقبول من جنابه، وهل هذه الصلاة مع هذه الصورة المشوّهة الظلمانية مقرّبة لك إلى بساط الحضرة الكبريائية؟ وهل ينبغي لك أن تسلك مع هذه الأمانة الإلهية ووصية الأنبياء هذا السلوك؟ وهل يجوز أن تسمح ليد خيانة الشيطان الرجيم الذي هو عدو الله أن يتدخل فيها؟ ولماذا صارت الصلاة التي هي معراج المؤمن وقربان المتقين مبعدة لكم عن الساحة المقدسة وعن جناب القرب الإلهي؟ فهل لنا في ذلك اليوم سوى الحسرة والندامة والشقاوة والخجلة من نصيب؟ يا لها من حسرة وندامة ليس لها في هذا العالم شبيه، ويا لها من خجلة وندامة لا نقدر أن نتصور لها نظيرا. فإن الحسرات في هذا العالم مهما بلغت ممزوجة بآلاف أنواع الرجاء، وكذلك الندامات في هذه النشأة سريعة الزوال؛ وهذا بخلاف ذلك العالم فإنه يوم بروز الحسرة والندامة كما قال تعالى ﴿



﴿وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر﴾.. فالأمر المنقضي لا يُجبر والعمر التالف لا يُستعاد؛ فواحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله.

فيا أيها العزيز: اليوم يوم الامهال والعمل. وقد جاء الانبياء وأتوا بالكتب والدعوات مع كل هذه المقدمات والترغيبات، ومع تحملهم الآلام والشدائد كي يوقظونا من نوم الغفلة وينبهونا من سكر الطبيعة، ويوصلونا إلى عالم النور ونشأة البهجة والسرور، وإلى الحياة الابدية والنعم السرمدية واللذائذ الدائمة، وينجونا من الهلاك والشقاوة والنار والظلمة والحسرة والندامة. وكل ذلك لأجلنا ومن دون أن تعود عليهم ـ سلام الله عليهم ـ نتيجة، ومن دون أن تكون لتلك الذوات المقدسة حاجة لإيماننا وأعمالنا. ومع ذلك ما أثّرت فينا دعوتهم، وقد أخذ الشيطان بمسامع قلوبنا وتسلط على باطننا وظاهرنا بحيث لم يؤثر فينا شيء من مواعظهم أيّ أثر، بل لم يصل إلى سمع قلوبنا شيء من الآيات والاخبار، وما تجاوز ظاهر السمع الحيواني.

وبالجملة أيها القارئ المحترم الذي تطالع هذه الاوراق، لا تكن ككاتبها خاليا من جميع الانوار وصفر اليد من جميع الاعمال الصالحة، ومبتلىً بالاهواء النفسانية.. وارحم نفسك واكتسب من عمرك نتيجة وانظر بعين الدّقة في حال الانبياء والاولياء الكمّل، وارم الرغبات الكاذبة والوعود الشيطانية وراء ظهرك، ولا تغترّ بغرور الشيطان ولا تنخدع بخدع النفس الأمّارة، فإن تدليسات الشيطان والنفس دقيقة للغاية، وانهما ليعميان على الانسان كل أمر باطل فيراه بصورة الحق، ويخدعانه:

فأحياناً بصورة الأمل بالتوبة في آخر العمر حتى ينتهي أمر الانسان إلى الشقاوة. مع أن التوبة في آخر العمر وعند تراكم ظلمات المعاصي وكثرة مظالم العباد وكثرة حقوق الله أمر صعب للغاية. ففي هذا اليوم تكون إرادة الانسان قوية والقوى الشبابية على حالها وشجرة العصيان لم تشتد بعد، وسلطنة الشيطان في النفس لم تستحكم، والنفس جديدة العهد بالملكوت



وقريبة الافق إلى فطرة الله، وشرائط حصول التوبة وقبولها سهلة، فهما لا يدعان الانسان يقدم على التوبة ويقتلع هذه الشجرة الواهنة من جذورها، ويقضي على هذه السلطنة غير المستقلة، ويعدانه بالتوبة في أيام الشيب التي تكون الارادة فيها ضعيفة والقوى هزيلة والاشجار المختلفة للمعاصي ذات جذور عميقة وقوية وسلطنة ابليس في الظاهر والباطن مستقلة ومستقرة، وألفة الانسان للطبيعة شديدة، والبعد عن الملكوت أزيد ونور الفطرة خافتا ومنطفئا، وشرائط التوبة صعبة ومرّة. وليس هذا إلا الغرور والافتتان.

وحيناً آخر يبعدان الانسان بوعد شفاعة الشافعين عليهم السلام عن ساحة قدسهم، ويجعلانه من شفاعتهم محروما. فإن الانغماس في المعاصي يجعل القلب بالتدريج مظلما ومنكوسا، ويجرّ أمر الانسان إلى سوء العاقبة. وإنّما طمع الشيطان في أن يسرق إيمان الانسان. وهو يجعل التوغل في المعاصي مقدمة لذلك، حتى يصل إلى غايته. فهذا الانسان إن كان طمعه في شفاعة الشافعين، فلا بدّ له أن يسعى ويجتهد في هذا العالم للحفاظ على الرابطة بينه وبين الشافعين، وأن يتفكر في حال شفعاء يوم الحشر كيف كان حالهم في العبادة والرياضة. ولو فرضنا أنكم ترتحلون من هذه الدنيا مع الايمان بالله ولكن مع أثقال من الذنوب والمظالم كثيرة فيمكن ألا يُشفع فيكم في أنواع الذنوب عند البرزخ والقبر؛ كما نقل عن الصادق عليه السلام من **"أن البرزخ على عهدتكم"**. وعذاب البرزخ لا يقاس بعذاب هذه الدنيا، وطول مدة البرزخ لا يعلمه إلا الله، ولعله يمتد لملايين السنين.

ومن الممكن أن ننال يوم القيامة، ولكن بعد فترات مديدة وأنواع العذاب التي لا تطاق، تلك الشفاعة، كما ورد مثل هذا المعنى في الاحاديث أيضاً. فهذا الغرور من الشيطان يمنع الانسان من العمل الصالح، ويخرجه من الدنيا، إما بلا إيمان أو مع أثقال ذنوب كثيرة ويبتليه بالشقاوة والخسران.

وربما يعد الشيطان الانسانَ بالرحمة الواسعة لأرحم الراحمين، وبنفس



هذا الوعد يقطع الشيطانُ يد الانسان عن ذيل الرحمة. وهذا الانسان غافل عن أن بعث الرسل وإرسال الكتب وإنزال الملائكة والوحي والالهام على الانبياء والهداية إلى طريق الحق كل ذلك من شؤون رحمة أرحم الراحمين، وقد اتسعت الرحمة الواسعة لجميع العالم ونحن على شفا عين الحياة نهلك من الظمأ.

هذا القرآن هو أكبر رحمة إلهية. فان كنت تطمع في رحمة أرحم الراحمين وتأمل رحمته الواسعة فاستفد من هذه الرحمة. فانه قد فتح طريق الوصول إلى السعادة وبيّن طريق الهداية من الضلالة، وأنت تلقي بنفسك في بئر الهلاك وتنحرف عن الطريق المستقيمة. فأين النقصان في الرحمة! ولو كان من الممكن أن يُري الله الانسان طريق الخير والسعادة بطريقة أخرى لكان سبحانه أراه إيّاه بمقتضى سعة رحمته. ولو كان من الممكن أن يوصل الانسان إلى السعادة إكراها لكان الانبياء يوصلونه. لكن هيهات، ان طريق الاخرة لا يمكن ان يسعى فيها الا بقدم الاختيار، وان السعادة لا تحصل بالجبر، وان الفضيلة والعمل الصالح بلا اختيار ليسا فضيلة ولا عملا صالحا، ولعل هذا معنى الآية الشريفة ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾. نعم ما يمكن أن يُعمل فيه الاكراه والاجبار هو صورة الدين الالهي لا حقيقته، وان الانبياء عليهم السلام كانوا مأمورين أن يفرضوا على الناس صورة الدين ما استطاعوا، وبأي نحو ممكن، حتى تصبح صورة العالم صورة العدل الالهي. ولكنهم بالنسبة إلى الباطن ليس لهم إلا مجرّد الارشاد، حتى يمشي الناس في هذه الطريق بأنفسهم وينالوا السعادة باختيارهم.

وبالجملة، هذا الوعد بالرحمة الواسعة لأرحم الراحمين هو أيضاً من غرور الشيطان ليقطع يد الانسان عن الرحمة بطمع الرحمة.



الفصل التاسع
أحاديث في الترغيب في حضور القلب

في ذكر باقة من أحاديث أهل البيت العصمة والطهارة سلام الله عليهم في الترغيب في حضور القلب، ونحن نكتفي هنا بذكر بعضها:

فعن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله: "**اعبد الله كأنك تراه، وان لم تكن تراه فإنه يراك**"، يستفاد من هذا الحديث مرتبتان من مراتب حضور القلب؛ الأولى: أن السالك يكون مشاهدا جمال الجميل، ومستغرق في تجليات حضرة المحبوب على نحو تكون جميع مسامع قلبه مسدودة عن سائر الموجودات، وتكون بصيرته مفتوحة على جمال ذي الجلال الطاهر ولا يشاهد غيره. وبالجملة يكون مشغولا بالحاضر وغافلا عن المحضر والحضور. والمرتبة الثانية التي هي دون تلك المرتبة أن يرى السالك نفسه حاضرا في محضره، ويلاحظ أدب الحضور والمحضر. فكأن الرسول الاكرم يقول ان كنت تستطيع أن تكون من أهل المقام الأول وتأتي بعبادة الله على ذلك النحو فافعل، والا فلا تغفل عن أنك في المحضر الربوبي. ولمحضر الحق تعالى أدب تكون الغفلة عنه لا محالة بعدا عن مقام العبودية. وإلى هذا أشير في الحديث الذي رواه أبو حمزة الثمالي رضي الله عنه، قال: "**رأيت علّيا بن الحسين عليه السلام يصلي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتى فرغ من صلاته، قال: فسألته عن ذلك، فقال: ويحك أتدري بين يديّ من كنت؟**".

وفي حديثٍ أيضاً عن الرسول صلى الله عليه وآله "**إنّ الرجلين من**



أمتي يقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتهما مابين السماء والأرض".

وقال النبي صلى الله عليه وآله: "اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه إلى حمار".

وقال صلى الله عليه وآله: "من صلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ذنوبه".

وعنه صلى الله عليه وآله "ان من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر وان منها لما تلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها "وان "ما لك في صلاتك الا ما أقبلت عليه بقلبك".

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "اذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله اليه، أو قال أقبل الله عليه حتى ينصرف وأظلّته الرحمة من فوق رأسه إلى أفق السماء والملائكة تحفّه من حوله إلى أفق السماء ووكل الله به ملكا قائما على رأسه يقول أيها المصلّي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفتّ ولا زلت من موضعك أبدا".

وقال الصادق عليه السلام: "لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلا وجبت له الجنة فإذا صلّيت فأقبل بقلبك إلى الله عزّ وجلّ فإنه ليس من عبد يقبل بقلبه على الله عزّوجلّ في صلاته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنة". وعن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أنهما قالا: "إن ما لك في صلاتك إلا ما أقبلت عليه منها فإن أوهمها كلها أو غفل عن أدائها لفت فضرب بها وجه صاحبها".

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: "ان العبد ليرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها فما يرفع منها له إلا ما أقبل عليه منها



بقلبه وإنما أمرنا بالنافلة ليتمّ لهم بها ما نقصوا من الفريضة".

وعن الصادق عليه السلام **"اذا أحرمت في الصلاة فأقبل اليها لأنك ان أقبلت أقبل الله إليك وإن أعرضت أعرض الله عنك فربّما لا يرفع من الصلاة الا ثلثها أو ربعها أو سدسها بقدر ما أقبل المصلّي إليها وان الله لا يعطي الغافل شيئا"**.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **"يا أبا ذر ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه (لاه)"** والاحاديث في هذا الباب كثيرة؛ وهذا المقدار كاف لارباب القلوب اليقظة وأصحاب الاعتبار.

الفصل العاشر

في طريق تحصيل حضور القلب

اذا عرفت الآن فضيلة حضور القلب وخصائصه عقلا ونقلا، وفهمت الاضرار الكبيرة من تركه، فلا يكفي العلم وحده، بل هو يجعل الحجة عليك أتمّ. فشمّر ذيل الهمّة، وكن بصدد تحصيل ما علمته وأخرج علمك إلى مرحلة العمل، كي تستفيد منه وتربح. فتفكر قليلا في أن قبول الصلاة شرط لقبول سائر الاعمال بحسب أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين هم معادن الوحي وأقوالهم وعلومهم من الوحي الالهي والكشف المحمّدي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وان الصلاة إذا لم تكن مقبولة فلا ينظر إلى سائر الاعمال أصلا، وإن قبول الصلاة بإقبال القلب. فلو لم تكن الصلاة مشتملة عليه فهي ساقطة من درجة الاعتبار ولا تليق بمحضر الحق تعالى ولا تُقبَل، كما عُلم من الاحاديث السابقة. فمفتاح خزينة الأعمال وباب أبواب جميع السعادات هو حضور القلب؛ فيه يفتح باب السعادة للإنسان، ومن



دونه تسقط جميع العبادات من درجة الاعتبار.

فالآن تفكّر قليلا معتبرا، وانظر بعين البصيرة إلى أهمية المقام وعظمة الموقف، وقم بالامر بجدّ تامّ. فإن مفتاح باب السعادة وأبواب الجنة ومفتاح باب الشقاوة وجهنم لفي جيبك وأنت في هذه الدنيا. فتستطيع أن تفتح أبواب الجنة والسعادة لنفسك وتستطيع أن تكون على خلاف ذلك؛ فزمام الأمر بيدك ولله الحجة البالغة قد هدى سبيل السعادة والشقاوة وأعطى التوفيقات الظاهرية والباطنية. فما منه تعالى ومن أوليائه قد تمّ، وقد حان الآن دورنا في الإقدام؛ فإنهم الهادون إلى الطريق ونحن السائرون فيه. وقد قضوا ما عليهم على الوجه الاحسن، ولم يتركوا لنا عذرا، ولم يقصّروا ولو للمحة.. فانتبه أنت أيضاً من نومك واطْوِ طريق السعادة واستفد من عمرك وقوّتك، فإن الوقت إذا انقضى وفاتك العمر الحاضر و الشباب الموجود وفقدت كنز القدرة والقوة، فلا مجال للجبران أبدا. فإن كنت الآن في عهد الشباب فلا تؤخر أمرك إلى الشيب، فإن للشيب مصائب لا يعلمها إلا الشيّب وأنت في غفلة عنها. ان الاصلاح في حال الشيب والضعف لمن الامور الصعبة جدا. وان كنت شايبا فلا تدع بقية العمر تفوت منك، فإنك مادمت في هذا العالم فلك طريق إلى السعادة، ولك منها باب مفتوح.. فلا سمح الله إذا أغلق هذا الباب، وانسدّ هذا الطريق، يخرج زمام الاختيار من يدك، ولا يبقى لك نصيب سوى الحسرة والندامة والأسف على ما مضى.

فأنت أيها العزيز ان كنت تؤمن بما ذكر من قول الأنبياء عليهم السلام، وهيّأت نفسك لتحصيل السعادة وسفر الآخرة، وعلمت بلزوم حضور القلب الذي هو مفتاح كنز السعادة، فقم بتحصيله.. وطريقه: أن ترفع أولا موانع حضور القلب، وتقتلع أشواك طريق السلوك من جذورها. وبعد رفع الموانع تُقدم على تحصيل حضور القلب.

أما مانع حضور القلب في العبادات فهو تشتّت الخواطر وكثرة الواردات



القلبية. وهذه ربما تحصل من الامور الخارجية ومن طرق الحواس الظاهرية؛ كأن يسمع في حال العبادة شيئا فيتعلق ذهنه به، ويكون مبدأ للتخيلات والتفكرات الباطنية، وتتصرف فيه الواهمة والمتصرفة فيطير خياله من غصن إلى غصن.

أو أن ترى عين الانسان شيئا ويكون منشأ تشتّت الخاطر وتصرُّف المتصرفة، أو أن سائر حواس الانسان تدرك شيئا، فتحصل منه انتقالات خيالية.

وقيل أن طريق علاج هذه الامور، برفع هذه الاسباب. كأن يصلي في غرفة مظلمة أو مكان خال ويغمض عينيه، ولا يصلي في المواضع التي تشد النظر، كما نقل الشهيد السعيد رضوان الله عليه: "كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر ما يمكن الصلاة فيه ليكون أجمع للهمّ".. ولكن من المعلوم أن هذا لا يرفع المانع ولا يقتلع المادة، لان العمدة هي تصرّف الخيال، الذي يعمل لأدنى سبب. بل ربما يكون تصرف الخيال والواهمة في البيت المظلم والصغير وفي حال الوحدة أكثر، فيتمسكا لاجل الدعابة واللهو بأسباب أخرى. فيتوقف حينئذ قلع المادة كلياً على اصلاح الخيال والوهم، ونحن نشير بعد ذلك إليه. أجل، هذا النحو من العلاج ربما لا يكون في بعض النفوس بلا تأثير وخال من الاعانة. ولكننا بصدد العلاج القطعي وقلع السبب الحقيقي، وهو لا يحصل بما ذكر.

وربما يكون تشتت الخاطر والمانع عن حضور القلب من الامور الباطنية. وهذا على نحو كلّي له منشآن أساسيان، ترجع معظم الأسباب إليهما:

الأول: ان طائر الخيال هو بنفسه فرّار، كعصفور يقفز من غصن إلى غصن ويطير من افريز إلى افريز. وهذا ليس مرتبطا بحب الدنيا والتوجه إلى الأمور الدنيّة والمال الدنيوي. بل كون الخيال فرّارا مصيبة يبتلى بها حتى التارك للدنيا. وتحصيل سكون الخاطر وطمأنينة النفس وتوقف الخيال من الامور



المهمة التي يحصل بإصلاحها العلاج القطعي. ونحن نشير إليه بعد ذلك.

المنشأ الآخر هو حب الدنيا وتعلق الخاطر بالحيثيات الدنيوية التي هي رأس الخطايا وأم الامراض الباطنية، وهو شوك طريق أهل السلوك ومنبع المصيبات. وما دام القلب متعلقا، ومنغمساً في حب الدنيا، فالطريق لاصلاح القلوب مسدود، وباب جميع السعادات في وجه الانسان مغلق. وسوف نشير إلى رفع هذين المنشأين العظيمين والمانعين القويين ضمن فصلين ان شاء الله.

الفصل الحادي عشر

في بيان الدواء النافع في علاج فرارية الخيال الذي يحصل منه حضور القلب أيضا

فاعلم أن كلا من القوى الظاهرية والباطنية من النفس قابل للتربية والتعليم بارتياض خاص. فعين الانسان مثلا لا تقدر أن تنظر إلى نقطة معيّنة أو إلى نور شديد كنور عين الشمس مدة طويلة من دون أن تغمض. ولكن إذا درّبها، كبعض أصحاب الرياضات الباطلة لأغراض ما، فيمكن أن تنظر إلى عين الشمس لساعات مديدة من دون أن تغمض أو يجد فيها تعبا. وكذلك يمكن له أن ينظر إلى نقطة معيّنة ساعات عدة من دون أي حركة، وكذلك سائر القوى حتى حبْس النفس، فإن في أصحاب الرياضات الباطلة أفرادا يحبسون أنفاسهم مدة زائدة عما هو متعارف عليه.

ومن القوى التي تقبل التربية قوة الخيال وقوة الواهمة. فإنهما قبل التربية كطائر فرار ومتحرك بلا حد، يطير من غصن إلى غصن ويتحرك من شيء إلى شيء آخر بحيث أن الإنسان اذا تابعه دقيقة واحدة يرى أنه انتقل



من شيء إلى شيء متسلسلا إلى اشياء بمناسبات ضعيفة جدا وأسباب غير مترابطة، حتى ظنّ الكثيرون أن حفظ طائر الخيال وترويضه من الامور الخارجة عن حيّز الامكان وملحق بالمحالات العادية. ولكن الامر ليس كذلك، ويمكن تطويعه بالرياضة والتربية والمواظبة مدة، بحيث يكون طائر الخيال في قبضته لا يتحرك إلا بإرادته واختياره فيحبسه متى ما أراد في أي مقصد أو أي مطلب بحيث يبقى في ذلك المقصد ساعات.

والطريق العمدة لهذا التطويع هو العمل على الخلاف. وطريقه ان الانسان حينما يريد ان يصلي يعدّ نفسه بأن يحفظ خياله في الصلاة ويحبسه في العمل. وبمجرد أن يريد هذا الخيال الفرار من قبضة الإنسان، يسترجعه فورا. ويلتفت إلى حاله في جميع حركات الصلاة وسكناتها وأذكارها وأعمالها، ويترصده ولا يدعه بحاله. وهذا في أول الأمر ربما يبدو أمرا صعباً. ولكنه بعد مدة من السعي والدقة والعلاج يصير طائعا حتما ويرتاض. فلا تتوقع أن تتمكن في أول الأمر من حفظ طائر الخيال في كل الصلاة. فإن هذا أمر غير ممكن ومحال البتة. ولعل الذين ادّعوا استحالة هذا الأمر كانوا يتوقّعون ذلك. ولكن هذا الأمر لابد أن يكون بكمال التدريج والتأنّي والصبر والتأمل. فيمكن أن يحبس الخيال في أول ألامر في عشر الصلاة، ويحصل حضور القلب في هذا العشر. وهكذا بالتدريج، إذا كان الانسان بصدد العلاج، ويرى نفسه محتاجا إليه يحقق نتيجة أكبر. وشيئا فشيئا يتغلّب على شيطان الوهم وطائر الخيال، حتى يمسك بزمامهما في معظم الصلاة. ولا ينبغي للإنسان أن ييأس في كل أحواله، فإن اليأس هو منبع كل ضعف ووهن، ونور الرجاء هو الذي يوصل الانسان إلى كمال سعادته.

ولكن العمدة في هذا الباب هو حسّ الاحتياج الذي هو فينا قليل، وان قلوبنا لم تؤمن بأن رأس المال في سعادة العالم الآخر ووسيلة العيش



في الايام غير المتناهية هو الصلاة. نحن نحسب ان الصلاة حملا مفروضا علينا ونراها تكليفا وثقلا.

إن حبّ الشيء يحصل من إدراك نتائجه. فنحن نحب الدنيا لأننا أدركنا نتيجتها، وآمنت قلوبنا بها. ولهذا لا نحتاج في اكتساب الدنيا إلى الدعوة والوعظ والاتعاظ.

وانّ الذين يظنّون ان لدعوة النبي الخاتم والرسول الهاشميّ صلى الله عليه وآله جهتين دنيوية وأخروية، ويحسبون هذا فخرا لصاحب الشريعة وكمالا لنبوّته، ليس لديهم معرفة بالدين، وهم عن مقصد النبوّة ودعوتها في تمام البعد.

ان الدعوة إلى الدنيا خارجة عن مقصد الانبياء العظام بالكلّية، ويكفي في الدعوة إلى الدنيا حسّ الشهوة والغضب والشيطان الباطن والظاهر دون حاجة إلى بعث الرسل. إن إدارة الشهوة والغضب لا تحتاج إلى القرآن والنبي، وإنما بعث الانبياء لينهوا الناس عن الدنيا ولتقييد إطلاق الشهوة والغضب وتحديد موارد المنافع. والغافل يظن أنهم يدعون إلى الدنيا. ان الانبياء يقولون إن المال لا يجوز تحصيله كيفما كان، ونار الشهوة لا يجوز إطفاؤها بأيّ نحو بل لا بدّ من إطفائها من طريق النكاح وتحصيل المال بواسطة التجارة والصناعة والزراعة. مع أن في أصل الشهوة والغضب إطلاقا. فالانبياء يقفون بوجه إطلاقهما، لا إنهم يدعون إلى الدنيا. فروح الدعوة إلى التجارة هو التقييد والنهي عن التكسّب الباطل، وروح الدعوة إلى النكاح هي تحديد الطبيعة والنهي عن الفجور وعن إطلاق قوة الشهوة.

أجل، هم (عليهم السلام) ليسوا مخالفين بشكل مطلق، لأن هذا مخالف للنظام الأتمّ.

وبالجملة نحن لما شعرنا بالاحتياج إلى الدنيا ووجدناها رأسمال الحياة ومنبع اللّذات، توجّهنا اليها وسعينا لتحصيلها. فاذا آمنّا بالحياة الآخرة،



وشعرنا أنّا محتاجون إلى عيشها، وأدركنا أن العبادات كلها والصلاة خصوصا هي رأسمال العيش في ذلك العالم وأصل سعادة تلك النشأة، فسنسعى لا محالة في تحصيلها، ولن نجد في أنفسنا من هذا السعي والاجتهاد أي تعب أو مشقة أو تكلّف. بل نكون في صدد تحصيله مع الاشتياق والشوق الكامل ونحصّل شرائط حصوله و قبوله بإقبال من أرواحنا وقلوبنا.

إن هذه البرودة الموجودة فينا إنما هي من برودة أشعة الايمان، وهذا الوهن الذي نجده إنما هو من وهن أساس الايمان. ولو أحدثت أخبار الأنبياء والأولياء عليهم السلام وبراهين الحكماء والعرفاء عليهم الرضوان في أنفسنا مجرد الإحتمال، لكان اللازم علينا أن نقوم بالامر ونجتهد في تحصيله بأحسن مما نحن فيه. ولكن مع آلاف التأسفات، إن الشيطان قد تسلّط على باطننا وتصرّف بمجامع قلوبنا ومسامع باطننا وهو لا يدع كلام الحق وأنبيائه وكلمات العلماء ومواعظ الكتاب الالهي تصل إلى سمعنا، فسمعنا الان إنما هو السمع الحيواني الدنيوي ومواعظ الحق تعالى لا تتجاوز الحد الظاهر، ولا تصل إلى الباطن، وذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومن الوظائف المهمة للسالك إلى الله والمجاهد في سبيل الله ان يرفع اليد تماماً أثناء مجاهدته وسلوكه عن الاعتماد على نفسه، ويتوجه بجبلته إلى مسبّب الاسباب، ويتعلق بفطرته بمبدأ المبادئ، ويطلب من ذاته المقدسة العصمة والحفظ، ويعتمد على تأييد ذاته الاقدس ويتضرع في خلواته إلى حضرته، ويطلب إصلاح حاله مع كمال الجد في الطلب منه تعالى، فانه لا ملجأ دون ذاته المقدسة والحمد لله.



الفصل الثاني عشر

في الاشارة إلى أن حب الدنيا منشأ لتشتت الخيال ومانع من حضور القلب وفي بيان علاجه بالمقدار الميسور

فليعلم ان القلب بحسب فطرته إذا تعلّق بشيء وأحبه يكون ذاك المحبوب قبلة لتوجّهه. وان شغله أمر ومنعه من التفكر في حال المحبوب وجمال المطلوب، فبمجرّد أن يخفّ الاشتغال ويرتفع ذلك المانع، يطير القلب شطر محبوبه فورا ويتعلق بذيله، فأهل المعارف وأرباب الجذبة الالهية إذا كانت قلوبهم قوية وكانوا متمكنين في الجذبة والحب يشاهدون في كل مرآة جمال المحبوب وفي كل موجود كمال المطلوب ويقولون: "ما رأيت شيئا الا ورأيت الله فيه ومعه".

وإذا قال سيدهم: **"انه لَيُغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة"** فذلك لأنّ مشاهدة جمال المحبوب في المرآة خصوصا المرائي الكدرة، كمرآة ابي جهل هي بنفسها موجبة للكدورة في قلوب الكمّل. وإذا كانت قلوبهم غير قوّية وكان الاشتغال بالكثرات مانعا من الحضور، فبمجرد أن يقلّ الاشتغال تطير قلوبهم إلى وكر قدسه وتتعلق بجمال الجميل.

وبالنسبة لطلاب غير الحق، الذين هم عند أهل المعرفة طلاب دنيا، فإن كل ما يطلبونه يتوجهون إليه ويتعلّقون به. فهؤلاء ان كانوا مفرطين في حب محبوبهم، وكان حب الدنيا آخذا بمجامع قلوبهم، فلا يُسلبون عن التوجه إليه في أي وقت ويعيشون مع جمال محبوبهم في كل حال ومع كل شيء.

وامّا إذا كان حبّهم قليلاً، فإن قلوبهم في وقت الفراغ سترجع إلى

محبوبها. أولئك الذين يكون في قلوبهم حب المال والرياسة والشرف، فإنهم يشاهدون مطلوبهم في المنام ايضاً، ويتفكرون في محبوبهم في يقظتهم. وما داموا مشغولين بالدنيا فهم في عناق مع محبوبهم. فاذا حان وقت الصلاة وحصل للقلب فراغ، فانه يتعلق بمحبوبه فورا. فكأنما تكبيرة الإحرام هي مفتاح دكان أو رافعة للحجاب بينه وبين محبوبه، فيتنبّه وقد سلّم في صلاته وما توجّه اليها أصلا، وقد كان في تمام الصلاة معانقا همّ الدنيا.

فلهذا نرى صلاتنا على مدى أربعين أو خمسين سنة لم تؤثر في قلوبنا غير الظلمة والكدورة.. وما هو معراج قرب جناب الحق ووسيلة الانس بذلك المقام المقدس قد صار سببا لهجرنا ساحة القرب وأبعدنا عن العروج إلى مقام الانس مسافات طويلة. ولو كان في صلاتنا رائحة من العبودية، لكانت ثمرتها المتربة والتواضع، لا العجب والكبر والافتخار، التي يكون كل واحد منها سببا مستقلا لهلاك الانسان وشقاوته.

وبالجملة، فإن قلوبنا لما كانت مختلطة بحب الدنيا، وليس لها مقصد ولا مقصود غير تعميرها، فلا محالة أن يكون هذا الحب مانعا من فراغ القلب وحضوره في ذلك المحضر القدسيّ، وعلاج هذا المرض المهلك والفساد المبيد هو العلم والعمل النافعان.

أما العلم النافع لهذا المرض فهو التفكر في ثمراته ونتائجه والمقارنة بينها وبين مضاره ومهالكه الحاصلة منه. وكاتب هذه الاوراق قد كتب في "شرح الاربعين" شرحا في هذا الباب وفسّر الموضوع فيه بالمقدار الميسور، ونكتفي هنا بشرح بعض من أحاديث أهل بيت العصمة.

ففي الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **"رأس كل خطيئة حب الدنيا"**. والروايات بهذا المضمون كثيرة مع اختلاف في التعبير.

ويكفي للانسان اليقظان هذا الحديث الشريف. ويكفي لهذه الخطيئة العظيمة المهلكة أنها منبع جميع الخطايا وأساس جميع المفاسد. فبقليل



من التأمل يُعلم أن جميع المفاسد الخُلقية والعملية تقريباً من ثمرات هذه الشجرة الخبيثة. فما أسّس في العالم دين كاذب ولا مذهب باطل، وما حدث في هذه الدنيا من فساد الا بواسطة هذه الموبقة العظيمة. وإنّ القتل والنهب والظلم والتعدي هي نتائج هذه الخطيئة. وان الفجور والفحشاء والسرقة وسائر الفجائع وليدة هذه الجرثومة المفسدة. والانسان الذي وقر فيه هذا الحب مجانب لجميع الفضائل المعنوية، وان الشجاعة والعفّة والسخاء والعدالة التي هي مبدأ جميع الفضائل النفسانية لا تجتمع مع حب الدنيا. وان المعارف الالهية والتوحيد في الاسماء والصفات والافعال والذات وطلب الحق ورؤية الحق متضادة مع حب الدنيا؛ وان طمأنينة النفس وسكون الخاطر واستراحة القلب التي هي روح السعادة في العالمين لا تجتمع مع حب الدنيا؛ وان غنى القلب والكرامة وعزّة النفس والحرية كلها من لوازم عدم الاعتناء بالدنيا؛ كما أن الفقر والذلّة والطمع والحرص والاستعباد والتملّق من لوازم حب الدنيا. وان العطف والرحمة والتواصل والمودة والمحبة متعارضة مع حب الدنيا؛ وان البغض والحقد والجور وقطع الرحم والنفاق وسائر الاخلاق الفاسدة وليدة أم الامراض هذه.

وفي مصباح الشريعة قال الصادق علية السلام "**الدنيا بمنزلة صورة رأسها الكبر وعينها الحرص وأذنها الطمع ولسانها الرياء ويدها الشهوة ورجلها العجب وقلبها الغفلة وكونها الفناء وحاصلها الزوال فمن أحبها أورثته الكبر ومن استحسنها أورثته الحرص ومن طلبها أوردته إلى الطمع ومن مدحها ألبسته الرياء ومن أرادها مكّنته من العجب ومن اطمأنّ إليها أولته الغفلة ومن أعجبته متاعها أفنته ومن جمعها وبخل بها ردّته إلى مستقرها وهي النار**".

وروي الديلمي في إرشاد القلوب عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج ممّا خاطب الله به نبيه "**يا أحمد**



لو صلّى العبد صلاة أهل السماء والأرض وصام صيام أهل السماء والأرض وطوى من الطعام مثل الملائكة ولبس لباس العابدين ثم أرى في قلبه من حب الدنيا ذرة أو سمعتها أو رياستها أو حليتها أو زينتها لا يجاورني في داري ولأنزعنّ من قلبه محبّتي ولأظلمنّ قلبه حتى ينساني ولا اذيقه حلاوة محبّتي ".

والاحاديث في هذا الباب أكثر من أن تسعها هذه الأوراق.

فاذا عُلم أن حبّ الدنيا هو مبدأ ومنشأ جميع المفاسد، فعلى الانسان العاقل المعتني بسعادته أن يقتلع هذه الشجرة من جذورها من القلب.

وأما طريق العلاج العملي فهو التعامل بالضدّ. فاذا كان متعلقا بالمال والمنال، فليقطع جذورها من القلب ببسط اليد والصدقات الواجبة والمستحبة. وإن من اسرار الصدقات تقليل التعلق بالدنيا، ولهذا يستحبّ للانسان أن يتصدّق بالشيء الذي يحبّه ويتعلق قلبه به، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**لن تنالوا البّر حتى تنفقوا مما تحبّون**﴾.

وان كان متعلقا بالتفاخر والتفوق على غيره والرئاسة والاستطالة، فليعمل ضدّها ويرغم أنف النفس بالتراب حتى تصير إلى الصلاح.

وليعلم الانسان أن مثل الدنيا كلّما اتبعها وكان في صدد تحصيلها أكثر كان تعلّقه بها أشد ويكون أسفه على فقدانها أزيد. فكأنّ الانسان طالب لشيء لا يناله. فهو يظن أنه طالب للحد الفلاني من الدنيا، فما دام فاقدا لذلك الحد، يطلبه ويتحمل في سبيل تحصيله المشقات ويلقي بنفسه إلى المهالك. وبمجرد أن ينال ذلك الحد من الدنيا يغدو في نظره أمرا عاديا. ويرتبط عشقه وتعلقه بشيء آخر فوق ذلك الحد، فيتعب نفسه لأجله ولا تنطفيء نار عشقه أبداً، بل تزداد اتّقادا يوما بعد يوم ويشتدّ تعبه ومشقّته أكثر. وليس لهذه الفطرة والجبلة توقف أبدا. وأهل المعرفة قد أثبتوا بهذه الفطرة الكثير من المعارف؛ مما يكون بيانها خارج مجال هذه الأرواق، وقد



أشير إلى بعض هذه المطالب في الاحاديث الشريفة، كما في الكافي الشريف عن باقر العلوم عليه السلام:

"مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القزّ كلما ازدادت من القزّ على نفسها لفّا كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً".

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: **"مثل الدنيا كماء البحر كلما شرب العطشان منه ازداد عطشاً حتى يقتله"**.

تتمة: في إعراض النفس عن الدنيا

فأنت يا طالب الحق والسالك إلى الله إذا طوّعت طائر الخيال وقيّدت شيطان الواهمة، وخلعت نعليَ حبّ النساء والأولاد وسائر الشؤون الدنيوية، واستأنست بجذوة نار العشق لفطرة الله، وقلت اني آنست نارا، ورأيت نفسك خاليا من موانع السير، وهيّأت أسباب السفر، فقم من مكانك واهجر هذا البيت المظلم للطبيعة والمعبر الضيق المظلم للدنيا، واقطع سلاسل الزمان وقيوده، وانج بنفسك من هذا السجن، وحلق بطائر القدس إلى محفل الانس.

(تنادي من العرش العظيم ولا أدري   لماذا مقيم أنت في ذلك الفخ)

فقو عزمك وأحكم إرادتك؛ فإن أول شرط للسلوك هو العزم؛ وبدونه لا يمكن أن يُسلك أي طريق أو ينال أي كمال. والشيخ الأجلّ الشاه آبادي (روحي فداه) كان يعبّر عنه بلبّ الانسانية. بل يمكن أن يقال أن من احدى الجهات المهمة للتقوى والتجنّب عن المشتهيات النفسانية وترك أهوائها والرياضات الشرعية والعبادات والمناسك الالهية تقوية العزم وانقهار القوى الملكية تحت ملكوت النفس، كما ذكر من قبل. ونحن نختم هذه المقالة بالتحميد والتسبيح للذات المقدسة الكبريائية جلّ وعلا وبالثناء على السيد المصطفى والنبي المجتبى وآله الاطهار عليهم سلام الله، ونستمدّ لهذا السفر الروحاني والمعراج الايماني من تلك الذوات المقدسة.





المقالة الثانية

في مقدمات الصلاة وذكر بعض آدابها القلبية
وفيها عدة مقاصد

المقصد الأول
في الطهارة وفيه عدة فصول





الفصل الأول

في البيان الإجمالي للطهور

كما أشرنا سابقا أن للصلاة غير هذه الصورة حقيقة، وغير هذا الظاهر باطنا. فكما أن لظاهرها آدابا وشروطا صورية، كذلك لباطنها أيضا آداب وشروط لا بد للسالك من مراعاتها. فللطهارة صورة وآداب صورية بيانها خارج عن وظيفة هذه الأوراق. وفقهاء المذهب الجعفري أعلى الله كلمتهم ورفع الله درجتهم قد بيّنوها. وأما الآداب الباطنية والطهور الباطني فنحن نبيّنها على نحو الاجمال:

فليعلم أنه طالما كانت حقيقة الصلاة هي العروج إلى مقام القرب والوصول إلى مقام حضور الحق جلّ وعلا، فللوصول إلى هذا المقصد الاعلى والغاية القصوى يلزم طهارات غير هذه الطهارات. وأشواك هذا الطريق وموانع هذا العروج هي قذارات لا يتمكن السالك مع اتصافه بإحداها من الصعود إلى هذه المرقاة والعروج بهذا المعراج. وما يكون من قبيل هذه القذارت فهو موانع الصلاة ورجس الشيطان؛ وما يكون معينا للسالك في السير، ومن آداب الحضور فهو من شروط هذه الحقيقة. ويلزم للسالك إلى الله في بدء الامر رفع الموانع والقذارات كي يتّصف بالطهارة ويتيسّر له حصول الطهور الذي هو من عالم النور. وما لم يتطهّر من جميع القذارات الظاهرية والباطنية والعلنيّة والسرية، لا يكون للسالك أي حظ من المحضر والحضور.

فأول مرتبة من مراتب القذارات هي تلوّث الآلات والقوى الظاهرية للنفس بلوث المعاصي وتقذّرها بقذارة التمرد على وليّ النعم. وهذا هو الفخ الصوري الظاهري لإبليس. وما دام الانسان أسير هذا الفخ فهو من



فيض المحضر وحصول القرب الالهي محروم. ولا يظنّن أحد أنه يمكن أن يرقى إلى مقام حقيقة الانسانية، أو يستطيع أن يطهّر باطن قلبه من دون تطهير ظاهر مملكة الانسانية. فهذا غرور الشيطان ومن مكائده العظيمة؛ وذلك لان الكدورات والظلمات القلبية تزداد بالمعاصي التي هي غلبة الطبيعة على الروحانية. وما دام السالك لم يفتتح المملكة الظاهرية فهو محروم بالكامل من الفتوحات الباطنية التي هي المقصد الاعلى، ولا ينفتح له طريق إلى السعادة. فأحد الموانع الكبيرة لهذا السلوك هو قذارات المعاصي التي لابدّ أن تطهّر بماء التوبة النصوح الطاهر الطهور.

وليُعلم أن جميع القوى الظاهرية والباطنية التي أعطانا الله إياها وأنزلها من عالم الغيب، هي أمانات إلهية كانت طاهرة من جميع القذارات، وكانت طاهرة مطهّرة، بل كانت متنورة بنور الفطرة الالهية وبعيدة عن ظلمة تصرّف ابليس وكدورته. فلما نزلت إلى ظلمات عالم الطبيعة وامتدت يد تصرّف شيطان الواهمة ويد الخيانة الابليسية اليها، خرجت عن الطهارة الاصلية والفطرة الاولية، وتلوّثت بأنواع القذارات والارجاس الشيطانية. فالسالك إلى الله إذا أبعد يد الشيطان بالتمسك بذيل عناية وليّ الله، وطهّر المملكة الظاهرية وردّ الامانات الالهية كما أخذها فهو ما خان الامانة حينئذ. وإن صدرت منه خيانة فهو مورد للغفران والستارية، فيستريح خاطره من ناحية الظاهر. ويقوم بتخلية الباطن من أرجاس الاخلاق الفاسدة؛ وهذه هي المرتبة الثانية من القذارات التي فسادها أكثر وعلاجها أصعب، وعند أصحاب الارتياض أهم. لانه ما دام الخلق الباطني للنفس فاسدا والقذارات المعنوية محيطة بها، لا تليق بمقام القدس وخلوة الانس بل مبدأ فساد المملكة الظاهرية للنفس هو الاخلاق الفاسدة والملكات الخبيثة. وما دام السالك لم يبدّل الملكات السيئة بالملكات الحسنة فليس مأمونا عن شرور الاعمال. واذا وُفّق للتوبة، فإن الاستقامة عليها ـ التي هي



من المهمات ـ لا تتيسّر له. فتطهير الظاهر أيضا متوقف على تطهير الباطن، مضافا إلى أن القذارات الباطنية موجبة للحرمان من السعادة ومنشأ لجهنم الاخلاق التي هي كما يقول "أهل المعرفة" أشدّ حرّاً من جهنم الاعمال، وقد أشير كثيراً إلى هذا المعنى في أخبار أحاديث أهل بيت العصمة.

فيلزم للسالك إلى الله هذه الطهارة أيضا. وبعد أن غسل عن لوح النفس التلوث بالاخلاق الفاسدة بماء العلم النافع الطاهر الطهور، وبالارتياض الشرعي الصالح، عليه أن يشتغل بتطهير القلب الذي هو أم القرى، وبصلاحه تصلح الممالك كلها، وبفساده تفسد كلها. وقذارات عالم القلب مبدأ القذارات كلها؛ وهي عبارة عن التعلّق بغير الحق والتوجّه إلى النفس وإلى العالم. ومنشؤها جميعا حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وحبّ النفس الذي هو أمّ الامراض. وما دامت جذور هذه المحبة في قلب السالك لا يحصل فيها أثر من محبة الله، ولا يهتدي طريقا إلى منزل المقصد والمقصود. ومادام للسالك في قلبه بقايا من هذه المحبة، لا يكون سيره إلى الله، بل يكون إلى النفس و إلى الدنيا و إلى الشيطان، فالتطهير من حب النفس والدنيا هو أول مراتب تطهير السلوك إلى الله في الحقيقة. لانه قبل هذا التطهير لا يكون السلوك سلوكا، وانما يطلق السلوك والسالك على سبيل المسامحة.

وبعد هذا المنزل منازل المدن السبعة لعشق العطار يظهر أنموذج منها للسالك. وذاك القائل السالك رأى نفسه في أول منعطف من زقاقها (اشارة إلى الشعر المعروف للعارف الرومي يقول فيه:

هفت شعر عشق را عطّار كَشت ماهنوزاندرخم يك كوجه ايم

يعنى أن عطّار النيشابوري (العارف المعروف) سار ودار في المدن السبعة التي هي مدن العشق وبلاده.

ولكنّا مع الاسف إلى الان لم نتجاوز منعطف زقاق واحد لتلك المدن.)

ونحن وراء الاسوار والحجب الضخمة، ونحسب تلك البلاد وأمراءها



من الاساطير.

أنا لا دخل لي بالشيخ العطار أو ميثم التمّار، ولكن لا أنكر المقامات من أصلها، وأطلب صاحبها بالقلب والروح، وأرجو الفرج في هذه المحبة. وأنت كن كما شئت، واتصل بمن شئت:

مدّعي خواست كه آيد بتماشاكه راز

دست غيب آمد وبرسينه نا محرم زد

ولكن لن أكون خائنا للاحباء العرفانيين في الاخوة الايمانية والخلة الروحانية، ولا أضيق من النصيحة لهم، وهي من حقوق المؤمنين.

فإن أعظم القذارات المعنوية التي لا يمكن تطهيرها بسبعة أبحر، وأعجزت الانبياء العظام هي قذارة الجهل المركب، الذي هو منشأ ذاك الداء العضال الا وهو انكار مقامات أهل الله وأرباب المعرفة ومبدأ سوء الظنّ بأصحاب القلوب. وما دام الانسان ملوّثا بهذه القذارة، لا يتقدّم خطوة إلى المعارف. بل ربما تطفىء هذه الكدورة نور الفطرة الذي هو مصباح طريق الهداية، وتنطفئ بها نار العشق التي هي براق العروج إلى المقامات وتخلّد الانسان في أرض الطبيعة.

فاللازم على الانسان أن يغسل هذه القذارة من باطن القلب بالتفكر في حال الانبياء والاولياء الكمل صلوات الله عليهم وتذكر مقاماتهم، وألاّ يقنع بالحدّ الذي هو فيه. فإن التوقف عند الحد والقناعة في المعارف، من التلبيسات العظيمة لإبليس والنفس الامّارة نعوذ بالله منهما. وحيث أن هذه الرسالة كتبت وفق مذاق العامة، فقد أمسكنا عن التطهيرات الثلاثة للاولياء والحمد لله.



الفصل الثاني

في الاشارة إلى مراتب الطهور

اعلم أن الانسان مادام في عالم الطبيعة ومنزل المادة الهيولانية فهو تحت تصرفات جنود الهية وجنود ابليسية. والجنود الالهية هي جنود الرحمة والسلامة والسعادة والنور والطهارة والكمال. وجنود إبليس في مقابلها. وحيث أن الجهات الربوبية غالبة على الجهات الابليسية، ففطرة الانسان في البداية تكون نورا وسلامة وسعادة وفطرة الهية؛ كما صرّح بذلك في الاحاديث الشريفة وأشير اليه في الكتاب الالهي الشريف. وما دام الانسان في هذا العالم، فهو قادر على أن يجعل نفسه باختياره تحت تصرّف أحد هذين الجندين. فإذا لم يكن لابليس من أول الفطرة إلى آخرها تصرّف في فطرته، فهو انسان إلهي لاهوتي، وهو من قرنه إلى قدمه نور وطهارة وسعادة. فقلبه نور الحق ولا يتوجّه لغير الحق، وقواه الباطنية والظاهرية نورانية وطاهرة، ولا يتصرف فيها سوى الحق، وليس لابليس فيها حظ ولا لجنوده فيها تصرّف. ومثل هذا الموجود الشريف طاهر مطلقا ونور خالص، وما تقدم من ذنبه وما تأخّر فهو مغفور له، وهو صاحب الفتح المطلق والواجد لمقام العصمة الكبرى بالاصالة، وبقية المعصومين واجدون لذاك المقام تبعا لذاته المقدسة. وهو صاحب مقام الخاتمية الذي هو الكمال على الاطلاق، وحيث أن أوصياءه مشتقّون من طينته ومتصلون بفطرته، فهم أصحاب العصمة المطلقة بتبعه ولهم التبعية الكاملة. وأما بعض المعصومين من الانبياء والأولياء عليهم السلام فليسوا أصحاب العصمة المطلقة، ولم يكونوا خالين من تصرّف الشيطان. كما أن توجّه آدم عليه السلام إلى

الشجرة كان من تصرفات إبليس الكبير ابليس الابالسة، مع أن تلك الشجرة شجرة جنة إلهية؛ ومع ذلك فلها الكثرة الاسمائية التي تنافي مقام الادمية الكاملة، وهذا أحد معاني الشجرة المنهى عنها أو إحدى مراتبها.

وإذا تلوّث نور الفطرة بالقذارات الصورية والمعنوية، فبمقدار التلوّث يبعد عن بساط القرب ويهجر حضرة الانس؛ حتى يصل إلى مقام ينطفئ فيه نور الفطرة بشكل تام، وتصير المملكة شيطانية كلها، ويكون ظاهرها وباطنها وسرّها وعلنها في تصرّف الشيطان. فيكون الشيطان قلبه وسمعه وبصره ويده ورجله، وتكون جميع أعضائه شيطانية. واذا وصل أحد ـ والعياذ بالله ـ إلى هذا المقام، فهو الشقّي المطلق ولا يرى وجه السعادة أبدا. وبين هاتين المرتبتين مقامات ومراتب لا يحصيها الا الله. وكل من يكون إلى أفق النبوة أقرب فهو من أصحاب اليمين، وكل من كان إلى أفق الشيطان أقرب فهو من أصحاب الشمال.

وينبغي أن تعلم أن تطهير الفطرة بعد تلوثها أمر ممكن. وما دام الانسان في هذه النشأة فإن التحرر من تصرف الشيطان أمر مقدور له وميسّر، وكذلك الدخول في حزب ملائكة الله الذين هم جنود رحمانيون إلهيون. وحقيقة جهاد النفس الذي هو بقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أفضل من مجاهدة أعداء الله، وهو الجهاد الأكبر، هو الخروج من تحت سلطة جنود إبليس والدخول في تصرف جنود الله.

فأول مرتبة للطهارة هي الاستنان بالسنن الإلهية وإطاعة أوامر الحق.

والمرتبة الثانية هي التحلي بفضائل الاخلاق وفواضل الملكات.

والمرتبة الثالثة هي الطهور القلبي الذي هو عبارة عن تسليم القلب للحق. وبعد هذا التسليم يصبح القلب نورانيا؛ بل يكون بذاته من عالم النور ودرجات النور الإلهي. وتسري نورانية القلب إلى سائر الأعضاء والجوارح والقوى الباطنة وتصبح كل المملكة نور، ونور على نور حتى يصل الأمر إلى



حيث يصبح القلب إلهيا لاهوتيا وتتجلى حضرة اللاهوت في جميع مراتب الباطن والظاهر. وفي هذه الحالة، تفنى العبودية كليا وتختفي وتظهر الربوبية وتتجلى. فيعرض على قلب السالك في هذه الحالة الطمأنينة والأنس، ويصبح العالم كله محبوبه وتأخذه الجذبات الإلهية وتغفر خطاياه وزلاته، وتستتر في ظل التجليات الحبية، وتحصل له بدايات الولاية ولياقة الورود إلى محضر الأنس. ومن بعدها منازل لا يتناسب ذكرها وهذه الأوراق.

الفصل الثالث

في الآداب القلبية للسالك حينما يتوجه إلى الماء للطهارة

ونذكر في المقام الحديث الشريف لمصباح الشريعة كي يحصل للقلوب الصافية لاهل الايمان منه نورانية.

ففي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: **"اذا أردت الطهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلاً على بساط خدمته، وكما أن رحمة الله تطهّر ذنوب العباد كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير"، قال الله تعالى: ﴿وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء مـاء طهورا﴾. وقال الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون﴾. فكما يحيي به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك برحمته وفضله جعل حياة القلوب الطاعات. وتفكر في صفاء الماء ورقّته وطهارته وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء واستعمله في تطهير الاعضاء التي أمرك الله بتطهيرها، وأت بآدابها في فرائضه وسننه فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة، فاذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عيون فوائده عن قريب ثم عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالاشياء**

يؤدي كل شيء حقّه ولا يتغير معناه، معتبرا القول رسول الله صلى الله عليه وآله مثل المؤمن المخلص الخالص كمثل الماء، ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهورا وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء".

وفي هذا الحديث لطائف ودقائق وإشارات وحقائق تحيي قلوب أهل المعرفة وتهب الحياة للارواح الصافية لأصحاب القلوب.

ومن نكات تشبيه الماء بل تأويله برحمة الحق أن الماء أحد المظاهر العظيمة لرحمة الحق التي أنزلها في عالم الطبيعة وجعله سببا لحياة الموجودات. بل أهل المعرفة يعبّرون بالماء عن الرحمة الالهية الواسعة التي نزلت من سماء "رفيع الدرجات" لحضرة الاسماء والصفات وأحيى بها أراضي تعيّنات الاعيان. وحيث أن تجلّي الرحمة الالهية في الماء الملكي الظاهري أكثر من سائر الموجودات الدنيوية، جعله الله تعالى لتطهير القذارات الصورية ومفتاح باب قربه ومناجاته والهادي إلى بساط خدمته الذي هو باب أبواب الرحمة الباطنية. بل ماء رحمة الحق تعالى اذا نزل وظهر في كل نشأة من نشآت الوجود وفي كل مشهد من مشاهد الغيب والشهود يطهّر ذنوب عباد الله وفقا لتلك النشأة وبما يناسب ذلك العالم.

فبماء الرحمة النازل من سماء الأحدية تطهر ذنوب غيبة تعينات الاعيان. وبماء الرحمة الواسعة النازلة من سماء الواحدية تطهر ذنوب عدمية الماهيات الخارجية. وفي كل مرتبة من مراتب الوجود طبقا لتلك المرتبة. وفي مراتب نشآت الانسانية أيضا لماء الرحمة ظهورات مختلفة، كما أنه بالماء النازل من حضرة الذات إلى التعينات الجمعية البرزخية تطهر ذنوب السر الوجودي "وجودك ذنب لا يقاس به ذنب". وبالماء النازل من حضرات الاسماء والصفات وحضرة التجلِي الفعلي تطهر رؤية الصفة والفعل. وبالماء النازل من سماء حضرة الحكم العدل تطهر القذارات



الخُلقية الباطنية. وبالماء النازل من سماء الغفارية تطهر ذنوب العباد. وبالماء النازل من سماء الملكوت تطهر القذارات الصورية. فعُلم أن الحق تعالى جعل الماء مفتاح قربه ودليل بساط رحمته.

ثم يعين عليه السلام في الحديث الشريف وظيفة أخرى ويفتح طريقا آخر لأهل السلوك والمراقبة.

يقول عليه السلام: "**تفكَّرْ في صفاء الماء ورقته وطهره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء واستعمله في تطهير الاعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وأت بآدابها في فرائضه وسننه فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة فاذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عيون فوائده عن قريب**".

أشار عليه السلام في هذا الحديث الشريف إلى مراتب الطهارة بشكل عام. وبيّن مراتبه الكليّة الأربع؛ أحدها ما ذكر في الحديث الشريف وهو تطهير الاعضاء. وأشار عليه السلام إلى أنّ أهل المراقبة والسلوك إلى الله يلزم الاّ يتوقّفوا عند صور الاشياء وظواهرها، بل لابدّ أن يجعلوا الظاهر مرآة للباطن ويستكشفوا من الصور الحقائق ولا يقنعوا بالتطهير الصوري، فإن القناعة بالتطهير الصوري فخّ ابليس. فينتقلوا من صفاء الماء إلى تصفية الاعضاء، ويصفوها بأداء الفرائض والسنن الالهية، ويرققوا الاعضاء برقة الفرائض والسنن ويخرجوها من غلظة التعصي، ويسروا الطهور والبركة في جميع الاعضاء، ويدركوا من لطف امتزاج الماء بالاشياء كيفية امتزاج القوى الملكوتية الالهية بعالم الطبيعة، ولا يدعوا قذارات الطبيعة تؤثّر فيها. فاذا تلبست أعضاؤهم بالسنن والفرائض الالهية وآدابها، تظهر فوائدها الباطنية بالتدريج، وتتفجر عيون الاسرار الالهية وتنكشف لهم لمحة من أسرار العبادة والطهارة.

ولما فرغ عليه السلام من بيان المرتبة الاولى من الطهارة وكيفية تحصيلها شرع في بيان الوظيفة الثانية وقال: ثم عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالاشياء



يؤدي كل شيء حقه ولا يتغّير عن معناه معتبرا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله "**مثل المؤمن المخلص (الخالص) كمثل الماء**".

فبيّن عليه السلام في الحكم الاول ما يرتبط بتعامل الانسان السالك مع قواه الداخلية وأعضائه. والحكم الثاني الذي هو في هذه الفقرة من الحديث الشريف يرتبط بتعامل الانسان مع خلق الله. وهذا حكم جامع يبيّن كيفية معاشرة السالك للمخلوقات. ويستفاد منه ضمنا حقيقة الخلوة؛ وهي أن السالك إلى الله في نفس الوقت الذي يعاشر كل طائفة من الناس بالمعروف ويرد الحقوق الخلقية، ويتعامل مع كل واحد ويعامله بما يناسب حاله. فهو في الوقت نفسه لا يتجاوز الحقوق الالهية، ولا يهمل معناه وهو العبادة والعبودية والتوجّه إلى الحق. فهو في الكثرة في عين الخلوة، وقلبه الذي هو منزل المحبوب خال من الاغيار، وفارغ من كل صورة ومثال.

ثم ذكر عليه السلام الحكم الثالث وهو كيفية تعامل السالك مع الحق تعالى، فقال: "**ولتكن صفوتك مع الله في جميع طاعتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهورا**". أي يلزم للسالك إلى الله أن يكون خالصا من تصرف الطبيعة، ولا يكون لكدورتها وظلمتها طريق إلى قلبه. وتكون جميع عباداته خالية من جميع أنواع الشرك الظاهري والباطني. وكما أن الماء في وقت نزوله من السماء طاهر وطهور لم تمتد اليه يد تصرف القذارات، كذلك السالك بالنسبة لقلبه الذي نزل من سماء عالم غيب الملكوت طاهراً ومنزّهاً، فلا يتركه يقع تحت تصرّف الشيطان والطبيعة ويتلوث بالقذارات.

وبعد هذا بيّن عليه السلام الحكم الاخير الجامع لأهل الرياضة والسلوك وقال: "**وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند تطهير جوارحك بالماء**".

وفي هذا إشارة إلى مقامين شامخين لأهل المعرفة. الأول: التقوى، وكمالها ترك غير الحق. والثاني: اليقين وكماله مشاهدة حضور المحبوب.





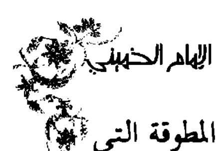
الفصل الرابع

في الطهور

وهو إما الماء وهو الاصل في هذا الباب وإما الارض

إعلم أن للانسان السالك في الوصول إلى المقصد الأعلى ومقام القرب الربوبي طريقين على نحو كلي. أحدهما وله مقام الأولّية والأصالة وهو السير إلى الله بالتوجّه إلى مقام الرحمة المطلقة وخصوصا الرحمة الرحيمية، وهي رحمة توصل كل موجود إلى كماله اللائق به. ومن شعب هذه الرحمة الرحيمية ومظاهرها بعث الانبياء والرسل صلوات الله عليهم الذين هم هداة السبل والآخذون بأيدي المتخلفين. بل ان دار التحقق في نظر أهل المعرفة وأصحاب القلوب هي صورة الرحمة الالهية، والخلائق مستغرقون دوما في بحار رحمة الحق تعالى ولا يستفيدون منها.

فهذا الكتاب الإلهي العظيم الذي نزل من عالم الغيب الإلهي والقرب الربوبي، ولأجل مصلحتنا نحن المهجورين وخلاصنا نحن المسجونين في سجن الطبيعة والمغلولين في سلاسل أهواء النفس والآمال قد صار في صورة اللفظ والكلام هو من أعظم مظاهر الرحمة الإلهية المطلقة. ونحن الصم العمي لم نستفد منه بشيء ولا نستفيد. وان الرسول الخاتم والولي المطلق الأكرم ـ الذي قدم من محضر القدس الربوبي ومحفل القرب والأنس الإلهي إلى منزل الغربة والوحشة، وابتلي بمعاشرة أمثال أبي جهل ومن هو شرّ منه وأنينه ليغان على قلبي قد أحرق قلوب أهل المعرفة والولاية ولا زال ـ هو الرحمة الواسعة والكرامة الالهية المطلقة، التي كان قدومها إلى هذه الدويرة لرحمة موجودات وسكنة العالم الاسفل وإخراجهم من

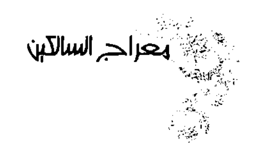


دار الغربة والوحشة هذه. فهو صلى الله عليه وآله كالحمامة المطوقة التي تلقي بنفسها إلى الشباك لتنجي رفقاءها منه.

فلابد للسالك إلى الله أن يرى التطهير بماء الرحمة صورة لاستفادته من الرحمة الالهية النازلة. وما دامت الاستفادة ميسورة له، لابد أن يقوم بأمرها. واذا قصرت يده عنها بسبب القصور الذاتي أو تقصيره وبسبب فقد ماء الرحمة لم يكن له بدّ إلا التوجّه بذلّه ومسكنته وفقره وفاقته. فاذا جعل ذلّة عبوديته نصب عينيه، وتوجّه باضطراره الذاتي وفقره وإمكانه الذاتي وخرج من التعزز والغرور وحب النفس، ينفتح له باب من الرحمة وتبدل أرض الطبيعة بأرض الرحمة البيضاء؛ ويصير التراب أحد الطهورين ويصير موردا لترحم الحق تعالى وتلطفه. وكلما قوي هذا النظر في الانسان، أي النظر إلى ذلّة نفسه، يكون موردا للرحمة أكثر.

وأما اذا أراد أن يسلك هذا الطريق بقدم الاعتماد على نفسه وعلى عمله فهو هالك لامحالة، لانه من الممكن الا يؤخذ بيده؛ فمثله كالطفل الذي يتجاسر على المشي ويغتر بمشيه، ويعتمد على قوته، فمثل هذا الطفل لا يكون موردا لعناية أبيه ويكله الاب إلى نفسه. وأما إذا عرض اضطراره وعجزه على جناب الأب الشفيق وخرج عن الاعتماد على نفسه وعلى قوّته بالكامل، فيصير حينئذ موردا لعناية الاب ويأخذ الاب بيده، بل يأخذه في حضنه ويمشي به بقدمه. فالأحرى بالسالك إلى الله ان يكسر رجل سلوكه وان يتبرأ من الاعتماد على نفسه وارتياضه وعمله تماما، ويفنى عن نفسه وقدرته وقوّته، ويجعل فناءه واضطراره دائما نصب عينيه، حتى يقع موردا للعناية دائما. ويطوي طريق المئة عام بجذبة ربوبية في ليلة واحدة. ولسان باطنه وحاله ينادي محضر القدس الربوبي بعجز وافتقار: ﴿ **أمّن يجيب المضّطر اذا دعاه ويكشف السوء** ﴾.





الفصل الخامس

في نبذة من آداب الوضوء بحسب الباطن والقلب

فمن ذلك ما ورد عن الامام الرضا عليه السلام: "**انما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبّار وعند مناجاته ايّاه مطيعا له فيما أمر نقيّا من الارجاس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبّار فإنما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد..**" الخبر.

فبيّن عليه السلام إلى هنا النكتة الأساسية للوضوء، ونبّه أهل المعرفة وأصحاب السلوك بأن للوقوف في محضر الحق جلّ وعلا وللمناجاة مع قاضي الحاجات آدابا، لا بد أن تلاحظ. فمع القذارات الصورية والأوساخ وكسل العين الظاهرة أيضا لا ينبغي أن يحضر في ذلك المحضر، فكيف اذا كان القلب معدنا للأوساخ ومبتلىً بالقاذورات المعنوية التي هي أصل جميع القذارات؛ مع أنه ورد في الرواية: "**ان الله تعالى لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم**". ومع أن ما يتوجّه به الانسان إلى الحق تعالى، ومن يليق من العوالم الخلقية للنظر إلى كبرياء العظمة والجلال هو القلب وليس لما سواه من الأعضاء والجوارح حظ أو نصيب؛ مع ذلك ما أهملت الطهارة الصورية والنظافة الظاهرية. فأمروا بصورة الطهارة لصورة الانسان وباطنها لباطنه. ومِن جعله عليه السلام تزكية القلب ـ في هذا الحديث الشريف ـ من فوائد الوضوء يعلم أن للوضوء باطنا تحصل به تزكية الباطن، ويُعلم ايضا الرابطة



بين الظاهر والباطن والشهادة والغيب؛ ويُستفاد ايضا ان الطهور الظاهري والوضوء الصوري من العبادات وطاعة الرب. ومن هذه الجهة الطهور الظاهر موجب للطهور الباطن، ومن الطهارة الصورية تحصل تزكية الفؤاد.

وبالجملة، لا بدّ للسالك إلى الله من التوجه في وقت الوضوء إلى انه يريد التوجّه إلى المحضر المقدّس لحضرة الكبرياء. ومع حالاته القلبية هذه لا يليق للمحضر، بل أنه قد يطرد من جناب العزّ الربوبي. فليشمّر ذيل همته حتى يسري الطهارة الظاهرية إلى الباطن، ويطهر قلبه ـ الذي هو مورد نظر الحق، بل منزل حضرة القدس ـ من غير الحق، ويخرج من رأسه التفرعن وحب النفس الذي هو أصل أصول القذارات كي يليق للمقام المقدّس.

ثم بيّن الرضا سلام الله عليه وجه اختصاص الأعضاء المخصوصة بالوضوء فقال:

"وانّما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين لان العبد اذا قام بين يدي الجبار فانما يكشف من جوارحه ويظهر ما وجب به الوضوء وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتّل وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده، وبرجليه يقوم ويقعد".

وحاصل ما قاله عليه السلام: حيث أن لهذه الاعضاء دخلا في العبودية للحق تعالى، والعبودية تظهر من هذه الاعضاء، فلهذا وجب تطهيرها.. وبعد هذا بيّن عليه السلام الامور التي تظهر من هذه الاعضاء، وبهذا فتح باب الاعتبار والاستفادة لأهلهما، وأرشد أهل المعارف إلى أسرارها بأن ما هو محل ظهور العبودية في محضر الحق تبارك لا بد أن يكون طاهرا ومطهرا؛ والاعضاء والجوارح الظاهرية التي يكون لها حظ ناقص من تلك المعاني لا تليق لذلك المقام من دون الطهارة. مع أن الخضوع ليس من صفات الوجه على الحقيقة والسؤال والرغبة والرهبة والتبتل والاستقبال ليس شيء منها من شؤون الاعضاء الحسيّة، لكن حيث أن هذه الاعضاء مظاهر تلك الامور



لزم تطهيرها. عليه، فإنّ تطهير القلب الذي هو المحل الحقيقي للعبودية والمركز الواقعي لتلك المعاني يكون ألزم. وبدون تطهير القلب، لو غسلت الاعضاء الصورية بسبعة أبحر ما تطهّرت وما وجد فيها لياقة لذلك المقام؛ بل يكون للشيطان فيها تصرّف ويكون المرء مطرودا من حضرة العزّة.

وصل:

ومن ذلك ما عن كتاب العلل باسناده قال: "**جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه عن مسائل، وكان فيما سألوه أخبرنا يا محمد لايّ علّة توضّأ هذه الجوارح الاربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لما أن وسوس الشيطان إلى آدم دنا من الشجرة فنظر اليها فذهب ماء وجهه ثم قام ومشى اليها وهي أول قدم مشت الى الخطيئة ثم تناول بيده منها ما عليها وأكل فتطاير الحلي والحلل عن جسده فوضع آدم يده على أمّ رأسه وبكى فلما تاب الله عليه فرض الله عليه وعلى ذريته تطهير هذه الجوارح الاربع فأمر الله عزّ وجلّ بغسل الوجه لما نظر الى الشجرة وأمره بغسل اليدين الى المرفقين لما تناول بهما وأمر بمسح الرأس لما وضع يده على أمِّ رأسه وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما الى الخطيئة**".

وفي باب علّة وجوب الصوم أيضا:

عن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام قال:

"**جاء نفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن مسائل، فكان فيما سأله أن قال له: لايّ شيء فرض الله عز وجل الصوم على أمّتك بالنهار، ثلاثين يوما وفرض على الامم السالفة أكثر من ذلك؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله ان آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوما ففرض الله تعالى على ذرّيته ثلاثين يوما الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضّل من الله تعالى عليهم**" (الحديث).



فمن هذه الاحاديث الشريفة لأهل الاشارات وأصحاب القلوب فوائد، منها أن خطيئة آدم عليه السلام مع أنها لم تكن من قبيل خطايا غيره، بل لعلها كانت خطيئة طبيعية أو أنها كانت خطيئة التوجّه إلى الكثرة التي هي شجرة الطبيعة، أو كانت خطيئة التوجّه إلى الكثرة الاسمائية بعد جاذبة الفناء الذاتي، ولكنها لم تكن متوقعة من مثل آدم عليه السلام الذي كان صفيّ الله والمخصوص بالقرب والفناء الذاتي ـ ولهذا أعلن الذات المقدسة بمقتضى الغيرة الحبية وأذاع عصيانه وغوايته في جميع العوالم وعلى لسان جميع الانبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**وعصى آدم ربّه فغوى**﴾ ـ ومع ذلك لا بد من كل هذا التطهير والتنزيه له ولذرّيته التي كانت مستكنة في صلبه ومشتركة في خطيئته. بل شاركوا في الخطيئة بعد الخروج من صلبه أيضا.

فكما أن لخطيئة آدم وأبنائه مراتب ومظاهر ـ فأول مرتبتها التوجه إلى الكثرات الاسمائية وآخر مظاهرها الأكل من الشجرة المنهية التي صورتها الملكوتية شجرة فيها أنواع الثمار والفواكه، وصورتها الملكية هي الطبيعة وشؤونها، وان حب الدنيا والنفس الموجودان إلى يومنا هذا في الذرية لمن شؤون هذا الميل إلى الشجرة والأكل منها ـ كذلك لتطهيرهم وتنزيههم وطهارتهم وصلاتهم وصيامهم للخروج من خطيئة الأب (التي هي الأصل) مراتب كثيرة مطابقة لمراتب الخطيئة.

وقد عُلم من هذا البيان ان جميع أنواع المعاصي القالبية لابن آدم هي من شؤون أكل الشجرة، وتطهيرها على نحو خاص؛ وان جميع أنواع المعاصي القلبية أيضا من شؤون تلك الشجرة وتطهيرها بنحو آخر. وان جميع أنواع المعاصي الروحية من تلك وتطهيرها بطور خاص.

وإن تطهير الاعضاء الظاهرية هو ظلّ الطهارات القلبية والروحية للكمّل. وهو حكمهم ووسيلتهم لأهل السلوك. وما دام الانسان في حجاب تعيّن



الاعضاء وطهارتها وواقفا في ذلك الحد، فليس من أهل السلوك، وهو باق في الخطيئة. فإذا اشتغل بمراتب الطهارات الظاهرية والباطنية وجعل الطهارات الصورية القشرية وسيلة للطهارات المعنوية اللبية، ولاحظ في جميع العبادات والمناسك حظوظها القلبية، وحاز عليها، بل اهتم بالجهات الباطنية أكثر من الظاهرية، وعرف أنها هي المقصد الاعلى دخل في باب سلوك طريق الانسانية؛ كما أشار اليه في الحديث الشريف في مصباح الشريعة: "**وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء**".

فيلزم للانسان السالك أولا السلوك العلمي كي يشخص ببركة أهل الذكر عليهم السلام مراتب العبادات، ويرى العبادات الصورية مرتبة نازلة للعبادات القلبية والروحية. ثم يشرع في السلوك العملي الذي هو حقيقة السلوك. وغاية هذا السلوك هي تخلية النفس من غير الحق وتحليتها بالتجليات الاسمائية والصفاتية والذاتية، فاذا حصل للسالك هذا المقام فحينئذ ينتهي سلوكه، وتحصل له الغاية في السير الكمالي، فينال أسرار النسك والعبادات ولطائف السلوك؛ وهي التجليات الجلالية التي هي أسرار الطهارات، والتجليات الجمالية التي هي غاية العبادات الأخرى، وتفصيلها خارج عن نطاق هذه الاوراق.

الفصل السادس

في الغسل وآدابه القلبية

يقول أهل المعرفة أن الجنابة هي الخروج من وطن العبودية، والدخول في الغربة، و اظهار الربوبية ودعوى الإنيّة، والدخول في حدود المولى و الاتصاف بوصف السيادة. والغسل هو للتطهير من هذه القذارة و الاعتراف بالتقصير.



و قد ذكر بعض المشايخ في ضمن عشرة فصول، مئة و خمسين حالا لا بد للعبد السالك التطهير منها خلال الغسل، يرجع أغلبها أو كلها إلى العزة والجبروت و كبرياء النفس وحب النفس و رؤيتها.

يقول كاتب هذه الأوراق: الجنابة هي الفناء في الطبيعة و الغفلة عن الروحانية والغاية القصوى لكمال السلطنة الحيوانية و البهيمية، و الدخول في أسفل سافلين، والغسل هو التطهير من هذه الخطيئة و الرجوع عن حكم الطبيعة والدخول في سلطان الرحمانية وتصرف الألوهية بغسل كل مملكة النفس التي فنيت في الطبيعة وابتليت بغرور الشيطان.

فالآداب القلبية للغسل بالنسبة للسالك هي ألاّ يتوقف حين غسله عند تطهير الظاهر وغسل البدن الذي هو القشر الأدنى و الحظ الدنيوي، ويتوجه إلى جنابة باطن القلب وسرّ الروح، و يرى غسله منها أهم فيجتنب غلبة النفس البهيمية و الشأن الحيواني على النفس الرحمانية و الشؤون الرحمانية، و يتوب من رجز الشيطان وغروره، ويطهر باطن الروح الذي هو نفخة إلهية ـ وقد نفخ فيه بالنفس الرحماني ـ من الحظوظ الشيطانية؛ وهي التوجّه إلى الغير الذي هو أصل الشجرة المنهية، حتى يليق بهذا التطهير للدخول إلى جنة أبيه آدم عليه السلام.

و ليعلم أن الأكل من شجرة الطبيعة و الإقبال على الدنيا و التوجه إلى الكثرة هو أصل أصول الجنابة. وما لم يطهر من هذه الجنابة بانغماسه في ماء رحمة الحق تعالى أو تطهّره التام بذاك الماء الذي يجري من ساق العرش الرحماني والخالص من التصرف الشيطاني لا يليق للصلاة التي هي حقيقة معراج القرب؛ فإنه لا صلاة إلا بطهور. و قد أشار إلى ما ذكر في الحديث الشريف في الوسائل عن الشيخ الصدوق رضوان الله عليه قال:

وبإسناده قال: **"جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله سلم فسأله أعلمهم عن مسائل، وكان فيما سأله أن قال: لأي شيء أمر**



أمر الله تعالى بالاغتسال من الجنابة و لم يأمر بالغسل من الغائط و البول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أن آدم لما أكل من الشجرة دبّ ذلك في عروقه و شعره وبشره فإذا جامع الرجل أهله خرج الماء من كل عرق و شعرة في جسده، فأوجب الله عز وجل على ذريّته الاغتسال من الجنابة إلى يوم القيامة" . الخبر.

و في رواية أخرى عن الرضا عليه السلام: **"إنما أمروا بالغسل من الجنابة و لم يأمروا بالغسل من الخلاء و هو أنجس من الجنابة و أقذر من أجل أن الجنابة من نفس الإنسان و هو شيء يخرج من جميع جسده، و الخلاء ليس هو من نفس الإنسان و إنما هو غذاء يدخل من باب و يخرج من باب"** .

وظاهر هذه الاحاديث وان كان عند أهل الظاهر أن النطفة لما كانت تخرج من جميع البدن وجب غسل جميعه؛ وهذا مطابق لرأي جمع من الاطباء والحكماء الطبيعيين، ولكن تعليله عليه السلام بأكل الشجرة كما في الحديث الأول، ونسبة الجنابة إلى النفس كما في الحديث الثاني، يفتح طريقا إلى المعارف لأهل المعرفة والإشارة. لأن قضية الشجرة و أكل آدم منها من أسرار علوم القرآن وأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، حيث أن الكثير من المعارف مرموز فيها؛ ولذا جعلوا عليهم السلام في الاحاديث الشريفة قضية آدم والاكل من الشجرة علّةً لتشريع كثير من العبادات؛ ومن جملتها باب الوضوء والصلاة والغسل وصوم شهر رمضان وكونه ثلاثين يوما وكثير من مناسك الحج. وفي نيّتي منذ سنين أن أفرد رسالة في هذا الباب، ولكن الاشتغالات الاخر منعتني من ذلك، وأسأل الله تعالى التوفيق والسعادة.

وبالجملة، فأنت يا ابن آدم وقد جعلت بذرا للّقاء وخلقت للمعرفة واصطفاك الله تعالى لنفسه وخمّرك بيدي جماله وجلاله وجعلك مسجودا



للملائكة ومحسودا لابليس، اذا أردت أن تخرج من جنابة أبيك الذي هو أصلك، وتليق للقاء حضرة المحبوب وتنال استعدادا للوصول إلى مقام الانس وحضرة القدس، فلا بد لك من أن تغسل بماء رحمة الحق باطن قلبك وتتوب من الإقبال على الدنيا التي هي من مظاهر الشجرة المنهية، وتغسل قلبك الذي هو محفل لجناب الجميل وجمال الجليل من حب الدنيا وشؤونها الخبيثة التي هي رجز الشيطان؛ فإن جنة لقاء الحق تعالى محل الاطهار ولا يدخل الجنة الا الطيب.

شست وشوئي كن وآنكه بخرابات خرام. (مصراع من بيت للشاعر العارف الحافظ الشيرازي يقول:

تنظف عن القذارات ثم اقصد الخرابات. الخرابات في الادب الفارسي محل اجتماع السكارى وفي الادب العرفاني يعبّر به عن مجتمع المجذوبين والمصعوقين من تجليات الجلال والجمال).

الفصل السابع

في نبذة من الآداب الباطنية لازالة النجاسة والتطهير من الخبائث

فاعلم أن إزالة الحدث كما مرّ، هي في الخروج من الإنّيّة والأنانيّة والفناء عن النفسية؛ بل هي الخروج من بيت النفس بشكل كامل. وما دام في العبد بقايا من نفسه فهو محدث بالحدث الاكبر والعابد والمعبود فيه هو الشيطان والنفس. وإن منازل سير أهل الطريقة والسلوك اذا كانت لاجل الوصول إلى المقامات وحصول المعارج والمدارج فليست خارجة عن تصرف النفس والشيطان، فيكون السير والسلوك عليلا. ويدور هذا السلوك في



منازل النفس، ويكون السير في جوف البيت. ومثل هذا السالك ليس بمسافر ولا سالك وليس مهاجرا إلى الله ورسوله، وما طهر من الحدث الاكبر الذي هو عين العبد. فاذا تطهّر من هذا الحدث تماما، يكون العابد والمعبود هو الحق تعالى وتحصل نتيجة قرب النوافل أي: **كنت سمعه وبصره..** فمن هذه الجهة يلزم غسل البدن كله عند الطهارة من الحدث الاكبر، لانه مادامت عين العبد باقية بوجه من الوجوه، لم يرتفع الحدث. فإن تحت كل شعرة جنابة.. فالتطهير من الحدث هو التطهير من الحدوث وفناء في بحر القدم. وكماله الخروج من الكثرة الاسمائية التي هي باطن الشجرة. ويخرج بهذا الخروج من خطيئة آدم السارية، وقد كان أصل الذرية.

فالحدث من القذارات المعنوية، وتطهيره أيضا من الامور الغيبية الباطنية وهو نور. لكن الوضوء نور محدود والغسل نور مطلق. وأيّ وضوء أنقى من الغسل. وليست القيمة في إزالة الخبث والنجاسات الظاهرية، لانها تنظيف صوري وتطهير ظاهري. وآدابها القلبية هي أن يعلم السالك الذي يريد الحضور في محضر الحق أنه لا يمكن التطرق إلى محضر الحق مع رجز الشيطان ورجس هذا الخبيث. وما لم يحصل الخروج من أمهات المذام الأخلاقية التي هي مبدأ فساد المدينة الفاضلة الانسانية ومنشأ للخطيئات الظاهرية والباطنية، لن يجد السالك طريقا إلى المقصد ولا سبيلا إلى المقصود.

ان الشيطان الذي كان مجاوراً لعالم القدس ويعد في سلك الكروبيين، فانه آخر الامر أبعد بسبب الملكات الخبيثة عن جناب مقام المقربين، وأرجم بنداء فأخرج منها فإنك رجيم. فاذاً نحن المتأخرين عن قافلة عالم الغيب والساقطين في بئر الطبيعة العميق والمردودين إلى أسفل سافلين، كيف يمكن مع اتصافنا بالملكات الشيطانية الخبيثة أن نليق لمحضر القدس ونكون مجاورين للروحانيين ورفقاء للمقربين.



ان الشيطان رأى نفسه ورأى ناريته وقال ﴿أنا خير منه﴾، وهذا الاعجاب بالنفس صار سببا لعبادة نفسه والتكبر، وتحقير آدم وإهانته وقال ﴿خلقته من طين﴾، وقاس قياسا باطلا ولم يرَ حسن آدم وكمال روحانيته، بل رأى ظاهره ومقام طينيته وترابيته، ورأى من نفسه مقام ناريته، وغفل عن الشرك وحب النفس ورؤيتها، فصار حب النفس حجابا لرؤية نقصه وشهود عيوبه. وصارت هذا الرؤية للنفس وحبها سببا لعبادة النفس والتكبر والتظاهر والرياء والاستقلال في الرأي والعصيان، وأبعد عن معراج القدس إلى تيه الطبيعة المظلمة.

فاللازم للسالك إلى الله أن يطهّر نفسه من أمهات الرذائل والارجاس الباطنية الشيطانية عند تطهيره الارجاس الصورية، وأن يغسل المدينة الفاضلة بماء رحمة الحق والارتياض الشرعي، ويصفّي قلبه الذي هو محلّ لتجلّي الحق، ويخلع نعلي حبّ الجاه والشرف، كي يليق للدخول في الوادي المقدس الأيمن، ويكون قابلا لتجلي الرب. وما لم يحصل التطهير من الارجاس الخبيثة لا يمكن له التطهير من الأحداث، لأن تطهير الظاهر مقدمة لتطهير الباطن. وما لم تحصل التقوى الملكية الدنيوية التامة على وفق دستور الشريعة المطهّرة لا تحصل التقوى القلبية. وما لم تحصل التقوى القلبية من الامور التي ذكرناها لن تحصل التقوى الروحية السرية الحقيقية. وجميع مراتب التقوى مقدمة لهذه المرتبة وهو ترك غير الحق. ومادام في السالك بقية من الأنانية، فلن يتجلّى الحق على سرّه.

نعم، ربما ينال السالك بمقتضى سبق الرحمة وغلبة جهة "يلي اللّهي"، الامداد الغيبي، ويحرق بالجذوة الالهية ما بقي من الانانية إن بقيت. ولعل في كيفية تجلي الحق للجبل واندكاكه وصعق موسى إشارة لما ذكر. وهذا الفرق أيضا موجود بين السالك المجذوب والمجذوب السالك.

وأهل الحقيقة يلتفتون مما ذكر إلى نكتة تعليمية ومطلب مهم، والجهل به



منشأ لكثير من الضلالات والغوايات وللتخلف عن سلوك طريق الحق، ولا ينبغي لطالب الحق الجهل به ولا يجوز له الغفلة عنه؛ وهو أن السالك وطالب الحق لابد أن يبرئ نفسه من الافراط والتفريط اللذين يكونان في بعض جهلة أهل التصوّف وبعض الغافلين من أهل الظاهر حتى يمكنه السير إلى الله. لأن بعضهم يعتقد: أن العلم والعمل الظاهريين القالبيين حشو وهما للجهّال والعوام، وأن الذين هم أهل السر والحقيقة وأصحاب القلوب وأرباب السابقة الحسنى لا يحتاجون إلى هذه الاعمال! وأن الاعمال القالبية لاجل حصول الحقائق القلبية والوصول إلى المقصد. فاذا وصل السالك إلى المقصد فالاشتغال بالمقدمات تبعيد والاشتغال بالكثرات حجاب !!

والطائفة الثانية قامت في قبال هذه الطائفة فوقعوا في جانب التفريط، وأنكروا جميع المقامات المعنوية والأسرار الالهية، وما خلا محض الظاهر والصورة والقشر أنكروا كل شيء، ونسبوها إلى التخيلات والاوهام.. ولا زال النزاع والمجادلة والمخاصمة بين الطائفتين. كل يرى الآخر على خلاف الشريعة. والحق أن كلتا الطائفتين قد تجاوزت الحد ووقعت في الافراط والتفريط. ونحن أشرنا في رسالة سرّ الصلاة إلى هذا الموضوع، وفي هذا المقام أيضا نبين حدّ الاعتدال الذي هو الصراط المستقيم.

فليعلم أن المناسك الصورية والعبادات القالبية ليست لمجرد تحصيل الملكات الروحانية الكاملة والحقائق القلبية، بل هي إحدى ثمراتها. لكن عند أهل المعرفة وأصحاب القلوب جميع العبادات هي إسراء المعارف الالهية من الباطن إلى الظاهر ومن السرّ إلى العلن. وكما أن نعمة الرحمة الرحمانية بل الرحيمية منبسطة على جميع النشآت الإنسانية القلبية والقالبية، ولكل من المراتب حظ من النعم الالهية الجامعة، لكل منها حظ ونصيب من ثناء الحق وشكر النعمة الرحمانية والرحيمية للواجب



المطلق. وما دام للنفس حظ من النشأة الصورية الدنيوية ولها من حياة المُلك نصيب، فلم ينطو بساط الكثرة كلياً ولا زالت حظوظ الطبيعة. وكما أن قلب السالك إلى الله ينبغي ألّا يكون مشغولا بغير الحق، كذلك صدره وخياله وملك الطبيعة فيه لا ينبغي أن ينفقه في غير الحق، حتى يكون للتوحيد والتقديس في جميع النشآت قدم راسخ. واذا كان للجذبة الروحية في ملك الطبيعة نتيجة غير التعبد والتواضع للحق، ففي النفس بقية من الانانية. وسير السالك انما هو في جوف بيت النفس وليس إلى الله.

وغاية سير أهل الله هي أن تكون الطبيعة وملك البدن منصبغة بصبغة الله. ولعل إحدى مراتب وبواطن الحديث الشريف الذي يحكي عن لسان الحق تعالى شأنه حيث يقول: **"أنا الله وأنا الرحمان، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته"** هي قطع الطبيعة التي هي أم الارواح عن موطنها الاصلي ووصلها هو ترويضها وارجاعها إلى موطن العبودية.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **"استوصوا بعمّتكم النخلة خيراً فانها خلقت من طينة آدم"**. وهذا الحديث يشير إلى الرحمية التي ذكرناها.

وبالجملة إخراج مملكة الظاهر من موطن العبودية، وإرسالها على رسلها من غاية الجهل بمقامات أهل المعرفة ومن تسويلات الشيطان الرجيم. فإنه يصد كل طائفة عن الحق تعالى بطريق خاص. كما أن إنكار المقامات وسدّ طريق المعارف التي هي قرّة عين أولياء الله عليهم السلام وتحديد الشرائع الالهية بالظاهر الذي هو حظ الدنيا وملك النفس ومقام حيوانيتها والغفلة عن الأسرار والآداب الباطنية للعبادات التي توجب تطهير السرّ وتعمير القلب وارتقاء الباطن من غاية الجهالة والغفلة.. وكل من هاتين الطائفتين بعيد عن طريق السعادة والصراط المستقيم للانسانية،



ومطرود من مقامات أهل المعارف. والعارف بالله والعالم بالمقامات لابد له أن يراعي جميع الحقوق الباطنية والظاهرية ويوصل إلى كل صاحب حق حقه ويطهّر نفسه من الغلوّ والتقصير والافراط والتفريط، ويزيل عن نفسه قذارة انكار صورة الشريعة الذي هو في الحقيقة تحديد، ويزيل عن نفسه خباثة انكار باطن الشريعة الذي هو تقييد. وكلاهما من الوساوس الشيطانية، ومن خبائث ذلك اللعين، حتى يتيسّر له طريق السير إلى الله والوصول إلى المقامات المعنوية.

فإزالة أخباث الاوهام الفاسدة المانعة من القرب إلى الله ومن معراج المؤمنين هي احدى مراتب ازالة الخبث. وإن من معاني جامعية النبوّة الخاتمية ومقاماتها بل من دلائل الخاتمية أنه في جميع المقامات النفسية قد اعطى جميع حقوقها وحظوظها من جميع شؤون الشريعة. وكما أنه في معرفة شؤون الربوبية جلّت عظمته عُرّف الحق سبحانه في العلّو الاعلى والدنو الادنى بمقام الجامعية وقال: **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾**. و **﴿الله نور السموات والأرض..﴾** إلى آخره، ولو دليتم بحبل من الأرضين السفلى لهبطتم على الله **﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾**. إلى غير ذلك مما قاله ويحصل به للعارف بالمعارف الالهية والمجذوب بالجذبات الرحمانية طرب ملكوتي ووجد لاهوتي.

كذلك فقد أسرى التوحيد العملي القلبي إلى آخر مراتب أفق الطبيعة وملك البدن، ولم يحرم موجودا من حظ معرفة الله.

وبالجملة أهل التصوف يترنّمون بالحكمة العيسوية من حيث لا يشعرون، وأهل الظاهر يتكلمون بالحكمة الموسوية، والمحمديون بريئون من هذين بطريق التقييد. وتفصيل هذا الاجمال خارج عن مجال هذا المقام ولا ينبغي ذكره في هذه الاوراق.



وصل: عن مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام:

"سمي المستراح مستراحا لاستراحة النفوس من أثـقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها، والمؤمن يعتبر عندها أن الخالص من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها وتركها، ويفرّغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها وأخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ويتفكر في نفسه المكرمة في حال، كيف تصير ذليلة في حال، ويعلم أن التمسّك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين وان الراحة في هوان الدنيا والفراغ من التمتع بها وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته اياها، ويفرّ من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء ويجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلبا لحسن المآب وطيب الزلفى ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه، فان المعوّل ذلك وما عداه لا شيء". (انتهى كلامه الشريف).

وفي هذا الكلام الشريف حكم (دستور) جامع لاهل المعرفة والسلوك. وهو أن الانسان اليقظان السالك إلى دار الآخرة لابد أن يستوفي في كل حال من الحالات حظوظه الروحانية، ولا يغفل في أي حال عن ذكر مرجعه ومآله. ولهذا قالت الحكماء: النبي خادم القضاء كما أن الطبيب خادم البدن. فإن الانبياء العظام والاولياء الكرام عليهم السلام حيث أنهم لا يرون الا القضاء الالهي ولا يشاهدون سوى جهة يلي اللهي، والحاكم في قلوبهم هو ملكوت القضاء الالهي، يرون جريان جميع الامور بأيدي ملائكة الله التي هي جنود الله. والطبيب الطبيعي حيث أنه بعيد عن هذه المرحلة ومستبعد من هذا الوادي، ينسب جريان الامور الطبيعية إلى القوى الطبيعية.

وبالجملة، على الانسان السالك أن يحصل على حظوظ سلوكه في



جميع الحالات ومن كل الأمور. فإذا رأى أن الحطام الدنيوي ولذائذ عالم الملك كلها زائلة ومتغيرة وعاقبة أمرها الى الفساد والأفول، فيعرض قلبه عنها بسهولة، ويفرغ قلبه من الاشتغال بها ويستنكف عنها كما يستنكف عن القذارات.

إن باطن عالم الطبيعة هو القذارة، وتعبير القذارة والأوساخ في الرؤية (التي هي باب من المكاشفة) هو الدنيا والمال. وفي المكاشفة العلوية (عليه السلام) **الدنيا جيفة وميتة**. فالمؤمن مثلما أنه يفرغ نفسه من الأثقال والفضلات الطبيعية، ويريح المدينة الطبيعية من أذاها، كذلك يريح قلبه من التعلق والاشتغال بها ويرفع عن القلب ثقل حب الدنيا، ويريح ويفرغ المدينة الروحانية الفاضلة منها. ويتفكر كيف أن الاشتغال في الدنيا أذل النفس الشريفة بعد عدة ساعات، وأحوجها إلى أقبح الحالات وأفضحها، كذلك الاشتغال القلبي بالعالم بعدما يرتفع حجاب الملك والطبيعة وما هو ببعيد، يذلّ الانسان ويبتليه بالحساب والعقاب. وليُعلم أن التمسّك بالتقوى والقناعة موجب لراحة الدارين. وأن الراحة في هوان الدنيا وعدميتها، فلذلك لا يلتذّ ولا يتمتع بها. وكما أنه طهّر نفسه من النجاسات الصورية، كذلك سيطهّر نفسه من نجاسات المحرّمات والشبهات. واذا عرف نفسه ووجد ذلّة احتياجها، وأغلق باب الكبر والتعظيم عن نفسه، وفر من العصيان والذنوب، وفتح على نفسه باب التواضع والندامة، وجدّ واجتهد في اطاعة أوامر الحق واجتناب معصيته حتى يكون له حسن المآب إلى الحق، ويتقرب إلى مقام القدس بطهارة النفس وصفائها. وليسجن هو نفسَه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات النفسانية، كي يأمن من سجن العذاب الالهي، ويلحق بالحق في دار القرار وفي كنف ذاته المقدسة، فيذوق في تلك الحال طعم رضا الحق تعالى.. وهذا غاية آمال أهل السلوك، وليس لغيره أية قيمة.





المقصد الثاني

في نبذة من آداب اللباس

وفيه مقامات





المقام الأول

في آداب مطلق اللباس

اعلم ان النفس الانسانية الناطقة حقيقةٌ، هي: ـ في عين الوحدة وكمال البساطة ـ ذات نشآت؛ عمدتها بطريق كلّيّ ثلاث:

الأولى: النشأة الملكية الدنيوية الظاهرة ومظهرها الحواس الظاهرة والقشر الادنى لها هو البدن المُلكيّ.

الثانية: النشأة البرزخية المتوسطة ومظهرها الحواس الباطنية والبدن البرزخي والقالب المثالي.

الثالثة: النشأة الغيبية الباطنية ومظهرها القلب والشؤون القلبية.

ونسبة كل من هذه المراتب إلى الاخرى نسبة الظاهرية والباطنية، التجلي والمتجلي. ومن هذه الجهة تسري الآثار والخواص والانفعالات من مرتبة إلى أخرى. فمثلا اذا أدركت حاسّة البصر شيئا ما يقع منه أثر في الحسّ البصري البرزخي مناسب لتلك النشأة ويقع منه أثر في البصر الباطني القلبي يناسب تلك النشأة. وهكذا الآثار القلبية تظهر في النشأتين



الاخيرتين. وهذا المطلب مضافاً إلى أنه مطابق للبرهان القوي المتين مطابق للوجدان ايضاً. فلهذا يكون لجميع الآداب الصورية الشرعية في الباطن أثر بل آثار، ولكل من الاخلاق الجميلة التي هي من حظوظ مقام برزخية النفس أيضا آثار في الظاهر والباطن، ولكل من المعارف الالهية والعقائد الحقّة في النشأتين البرزخية والظاهرة آثار.

فمثلا الايمان بأن المتصرف في مملكة الوجود وعوالم الغيب والشهود هو الحق تعالى وليس لسائر الموجودات فيها تصرّف الا التصرّف الإذني الظلّي يؤدي إلى الكثير من الكمالات النفسانية والاخلاق الانسانية الفاضلة، مثل التوكل والاعتماد على الحق وقطع الطمع بالمخلوق الذي هو أمّ الكمالات، ويوجب كثيرا من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة وترك الكثير من القبائح. وهكذا سائر المعارف التي تعدادها وتعداد تأثيراتها خارج عن مجال هذه الاوراق وفوق قلم الكاتب المكسور، ويحتاج إلى تحرير كتاب ضخم لمؤلف صاحب قلم قويّ من أهل المعرفة، أو من نفَس حار لاحد أهل الحال (ان ايدينا قصيرة والتمر على النخيل).

وهكذا مثلا خُلق الرضا فانه من الاخلاق الانسانية الكمالية، وله تأثيرات كبيرة في تصفية النفس وتجليتها، ويجعل القلب موردا للتجليات الالهية الخاصة، ويوصل الايمان إلى كماله، وكمال الايمان إلى الطمأنينة، والطمأنينة إلى كمالها، وكمالها إلى المشاهدة، والمشاهدة إلى كمالها، وكمالها إلى المعاشقة، والمعاشقة إلى كمالها و كمالها إلى المراودة، والمراودة إلى كمالها وكمالها إلى المواصلة، والمواصلة إلى كمالها، ويرتقي إلى ما لا يسعه وهمي ووهمك. وله في ملك البدن والاثار والافعال الصورية التي هي أغصان وأوراق تلك الشجرة تأثير غريب، فيصير السمع والبصر وسائر القوى والاعضاء إلهية، ويظهر سرّ "كنت سمعه وبصره" إلى حد ما.

وكما أن لتلك المراتب في الظاهر تأثيرا بل تأثيرات، فلهيئة الظاهر وجميع



الحركات والسكنات (العادية وغير العادية)، ولجميع التروك والافعال ايضا في تلك المراتب تأثيرات عجيبة، بحيث أنه قد يسقط السالك من الأوج الاعلى إلى أسفل سافلين بنظرة تحقيرية واحدة إلى عبد من عباد الله، ولا يستطيع جبران هذا السقوط لسنوات مديدة.

وحيث أن قلوبنا نحن المساكين ضعيفة وعاجزة ومثل شجرة الصفصاف تضطرب من النسيم الرقيق وتفقد حالة السكون، فاللازم أن نراقب الحالات القلبية حتى في الامور العادية؛ وأحدها اتخاذ اللباس، ونلاحظ حالاتنا القلبية ونحافظ على القلب. وحيث أن للنفوس والشيطان حبائل مستحكمة وتسويلات دقيقة جدا والاحاطة بها فوق طاقتنا، فلا بد لنا من مواجهتها بقدر قوّتنا ووسعنا ونطلب التوفيق والتأييد من الحق تعالى.

فنقول بعدما اتضح ان للباطن في الظاهر وللظاهر في الباطن تأثيراً، أنه لابد للانسان الطالب للحق والارتقاء الروحاني أن يحترز في انتخاب مادة اللباس وهيئته مما يكون له تأثير السوء في الروح ويخرج القلب عن الاستقامة ويغفله عن الحق ويجعل وجهة الروح دنيوية. ولا يتوهّم ان تسويل الشيطان وتدليس النفس الامّارة انما هو في اللباس الفاخر الجميل فقط أو في التجمّل والتزين فحسب، بل اللباس البالي الذي لا قيمة له ربما يسقط الانسان من درجة الاعتبار؛ ومن هذه الجهة لابد للانسان ان يحترز من لباس الشهرة بل من مطلق المشي على خلاف المعتاد والمتعارف. كما أنه لابدّ أن يحترز من الالبسة الفاخرة التي تكون مادتها وجنسها غالية الثمن، وتكون هيئتها وخياطها جالبة للانظار ويشار اليها بالبنان؛ لان قلوبنا ضعيفة وغير ثابتة بشكل ملحوظ، فبمجرد التميّز والتعيّن تزلّ وتنحرف عن الاعتدال. فالانسان المسكين الضعيف العاري من جميع مراحل الشرف والانسانية وعزة النفس وكمال الادمية والبريء منها، ربما يحدث بسبب بضعة أذرع من الثوب الحريري أو الصوفي الذي قلّد في خياطته الاجانب



أو حصل عليه بقيمة بيع شرفه والوقوع في العار، أن ينظر إلى عباد الله بنظر الحقارة والكبر والدلال ولا يرى لأحد قيمة، وليس هذا الا من منتهى ضعف نفسه وقلّة استعداده؛ حيث يتوهّم أن فضلات دود القزّ ولباس الغنم موجبة لاعتباره وشرفه.

أيها الانسان المسكين، كم أنت مخلوق ضعيف ومنقطع !؟ فشأنك ان تكون فخر عالم الامكان وخلاصة للكون والمكان، أنت ابن آدم وشأنك أن تكون معلّما للاسماء والصفات؛ انت ابن خليفة الله وشأنك أن تكون من الآيات الباهرات (ينادونك من أعالي العرش). أيها الشقيّ والخلف غير الصالح غصبت مقداراً قليلاً من فضلات الحيوانات وملبوساتها وتفتخر بها. هذا فخر لدودة القزّ والغنم والابل والسنجاب والثعلب. فلماذا تفتخر بلباس غيرك وتتدلّل بما هو فخر لهم وتتكبّر به؟

وبالجملة كما أن لمادة اللباس وجنسه وغلائه وزينته تأثيرا في النفوس، ومن هذه الجهة قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما رواه القطب الراوندي: "من لبس لباس المرتفع من الثياب فلا بد له من التكبر ولا بد للمتكبر من النار" كذلك في هيئته وكيفيّة قصّه وخياطته آثار، ربما يحصل للانسان من خلال تقليد الاجانب في لباسهم تعصب جاهلي لهم، ويتضجّر ويتنفّر من أولياء الله ورسوله، ويصبح أعداء الله وأعداء رسوله محبوبين عنده. ولذا ورد في الرواية عن الصادق عليه السلام: **"ان الله تبارك وتعالى أوحى إلى بعض أوليائه: قل للمؤمنين لا تلبسوا ملابس أعدائي ولا تأكلوا كأعدائي ولا تمشوا كأعدائي فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي"**.

وكما أن للالبسة الفاخرة في النفوس تأثيرا، كذلك للالبسة الدنية جدا ـ من حيث المادة والجنس أو من حيث الهيئة والشكل ـ في النفوس تأثير. وربما يكون فساد هذا اللباس أشد بمراتب من تلك الالبسة الفاخرة؛ لان للنفس مكائد دقيقة جدا، فبمجرد أن يرى السالك نفسه متميزاً لأنه



يرتدي اللباس الخشن والكرباس ويرى سائر الناس يرتدون الالبسة اللينة اللطيفة، يغفل عن عيوبه بسبب حب النفس، ويحسب هذا الامر العرضي وغير المربوط به سببا للافتخار. وربما يعجب بنفسه ويتكبّر على عباد الله ويحسب سائر الناس مبعدين عن ساحة الحق المقدس، ويرى نفسه من المقربين ومن خلّص عباد الله وربما يبتلى بالرياء وسائر المفاسد العظيمة. فالمسكين اقتنع من جميع مراتب المعرفة والتقوى والكمالات النفسانية باللباس الخشن والبالي، وغفل عن آلاف عيوبه التي من أكبرها هذا العيب الذي حدث فيه من سوء تأثير هذا اللباس، وحسب نفسه من أهل الله مع أنه من أولياء الشيطان، وحسب عباد الله لا شيء وبلا قيمة.

وكذلك أيضا ربما تكون هيئة اللباس وطرازه سببا لابتلاء الانسان بمفاسد عديدة؛ كأن يجعل اللباس على نحو يشتهر به بالزهد والقداسة.

وبالجملة لباس الشهرة، سواء من جهة الافراط أم التفريط، من الامور التي تزلزل القلوب الضعيفة وتخلعها من مكارم الاخلاق، وتؤدي إلى العجب والرياء والكبر وكلها من أمهات الرذائل النفسانية، بل يؤدي للركون إلى الدنيا وتعلق القلب بها الذي هو رأس كل الخطيئات ومنبع جميع القبائح.

وفي الاحاديث أيضا أشير إلى كثير من الامور المذكورة كما في الكافي الشريف عن الصادق عليه السلام: **"ان الله يبغض شهرة اللباس"**.

وعنه أيضا قال: **"الشهرة خيرها وشرها في النار"**.

وعنه عليه السلام: **"ان الله يبغض الشهرتين، شهرة اللباس وشهرة الصلاة"**.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه: **"من لبس ثياب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثياب الذلّ يوم القيامة"**.





المقام الثاني

في نبذة من آداب لباس المصلى

وفيه بابان

الباب الأول

في سر طهارة اللباس

اعلم ان الصلاة هي مقام العروج إلى مقام القرب والحضور في محضر الانس؛ ويلزم للسالك مراعاة آداب الحضور في محضر ملك الملوك المقدس. وحيث أن أدنى المراتب والمراحل لظهور النفس التي هي قشر القشر والبدن الصوري الملكي، إلى أعلى مقاماتها وحقائقها التي هي لبّ اللباب ومقام سرّ القلب، حاضرة في المحضر المقدس للحق، فعلى السالك أيضا أن يستحضر ويعرض جميع الجنود الباطنة والظاهرة لممالك السر

والعلن على محضر الحق جلّ وعلا، ويقدم إلى محضره المقدس جميع الامانات التي وهبها الله سبحانه بيد قدرة الجمال والجلال، وقد كانت في كمال الطهارة والصفاء ومن دون تصرف أحد من الموجودات، ويردّها إليه كما أعطاه سبحانه إياها.

ففي أدب الحضور مخاطر كثيرة لا يجوز للسالك أن يغفل عنها لحظة واحدة. ولا بد له أن يجعل طهارة اللباس الذي هو ساتر للقشر بل قشر القشر وسيلة لطهارة الالبسة الباطنية؛ وليعلم أنه كما أن هذا اللباس الصوري ساتر وهو لباس للبدن الملكي، فإن نفس البدن ساتر للبدن البرزخي؛ والبدن البرزخي موجود الان ولكنه في ستر البدن الدنيوي وحجابه. والبدن البرزخي ساتر ولباس وحجاب للنفس؛ وهي ساترة للقلب والقلب ساتر للروح والروح ساتر السر وهو ساتر اللطيفة الخفية إلى غير ذلك من المراتب. وكل مرتبة نازلة ساترة للمرتبة العالية ومجموع هذه المراتب وان كان موجودا في خلّص أهل الله وسائر الناس منها محرومون، لكن حيث أن بعض المراتب موجودة في الكل فلهذا نشير اليه فقط.

فليعلم أنه كما لا تتحقق صورة الصلاة بدون طهارة اللباس والبدن، وأن القذارات التي هي رجس للشيطان ومبعّدة عن محضر الرحمن، هي من موانع الدخول إلى المحضر، وتبعد المصلّي الملوّث لباسه وبدنه برجز الشيطان عن محضر القدس وتمنعه من مقام الانس. كذلك قذارات المعاصي والتمرد على الحق التي هي من تصرفات الشيطان ومن رجس هذا الخبيث وقاذوراته هي من موانع ورود المحضر. فالمتلبّس بالمعاصي قد نجّس ساتر البدن البرزخي ولا يتمكن مع هذه القذارة أن يرد إلى محضر الحق. وتطهير هذا اللباس من شرائط تحقق الصلاة الباطنية وصحتها. وما دام الانسان في حجاب الدنيا لا يطّلع على ذلك البدن الغيبيّ وطهارة لباسه وقذارته وشرطية الطهارة ومانعية القذارة فيها. ولكنه إذا خرج من هذا الحجاب، وطوى سلطانُ الباطن ويومُ



الجمع بساطَ التفرقة الظاهر، وطلعت شمس الحقيقة من وراء الحجب الدنيوية المظلمة، وانفتحت البصيرة الباطنية الملكوتية وأغلقت البصيرة الحيوانية الملكية، فسوف يدرك بعين البصيرة أن صلاته كانت فاقدة للطهارة طوال الوقت، وكانت محاطة بآلاف الموانع، التي كان كل واحد منها سببا مستقلا للإبعاد عن محضر الحق المقدس. ومع آلاف الأسف، ليس في ذلك اليوم طريق للجبران ولا حيلة للانسان؛ وكل ما يبقى له حين ذاك هو الحسرات والندامات، ندامات لا نهاية لها وحسرات لا انتهاء لها ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر**﴾.

فاذا حصلت طهارة اللباس الباطني، فيلزم طهارة البدن الملكوتي أيضا من رجز الشيطان. وهو عبارة عن التطهير من أرجاس الاخلاق الذميمة، التي يلوّث كل منها الباطن، ويبعّد الانسان عن المحضر ويطرده من بساط قرب الحق. وهي أيضا من رجس الشيطان البعيد عن الرحمة. وإنما أصول جميع الذمائم ومبادئها هي العجب وحبّ النفس والتكبّر والتظاهر والتعصّب، وكل منها مبدأ كثير من الذمائم الاخلاقية ورأس كثير من الخطيئات.

فاذا فرغ السالك من هذه الطهارة وطهّر لباس التقوى بماء التوبة النصوح والرياضة الشرعية، عليه أن يشتغل بتطهير القلب الذي هو الساتر الحقيقي، وتصرّف الشيطان فيه أكثر وقذاراته سارية إلى سائر الالبسة والسواتر؛ وما لم يطهّره، لن تتيسرّ سائر الطهارات. ولتطهيره مراتب يشار إلى بعضها بما يناسب هذه الاوراق:

أحدها: التطهير من حبّ الدنيا، الذي هو رأس كل خطيئة ومنشأ جميع المفاسد، وما دامت هذه المحبة في قلب الانسان لا يتيسّر له الورود إلى محضر الحق. و مع هذه القذارة لا تتحقق المحبة الالهية التي هي أم الطهارات. ولعله ما اهتُم بشيء في كتاب الله ووصايا الانبياء والاولياء عليهم السلام وخصوصا أمير المؤمنين عليه السلام مثلما اهتُم بترك الدنيا والزهد فيها



والإعراض عنها الذي هو من حقائق التقوى. ولا تحصل هذه المرتبة من التطهير الا بالعلم النافع والرياضات القلبية القوية وصرف الهمّة في التفكر في المبدأ والمعاد واشغال القلب بالاعتبار في أفول الدنيا وخرابها وكرامة العوالم الغيبية وسعادتها: "رحم الله امرءاً علم من أين وفي أين و إلى أين".

ومنها التطهير من الاعتماد على الخلق الذي هو شرك خفيّ، بل هو عند أهل المعرفة شرك جليّ. ويحصل هذا التطهير بالتوحيد الفعلي للحقّ جلّ وعلا الذي هو منبع الطهارات القلبية. ولا بد أن يعلم أن مجرد العلم البرهاني والسير التفكّري في باب التوحيد الفعلي لا ينتج النتيجة المطلوبة، بل ربما تكون كثرة الاشتغال بالعلوم البرهانية سببا لظلمة القلب وكدورته، وتمنع الانسان من المقصد الاعلى. وفي هذا المقام قيل "العلم هو الحجاب الاكبر". وفي عقيدة الكاتب أن جميع العلوم عملية حتى علم التوحيد. ولعله يستفاد كونه عمليا من كلمة التوحيد التي هي تفعيل، فبحسب ما يناسب الاشتقاق إن التوحيد عبارة عن الانتقال من الكثرة إلى الوحدة وجعل جهات الكثرة مستهلكة ومضمحلة في عين الجمع؛ ولا يحصل هذا المعنى بالبرهان، بل يجب تنّبيه القلب بالرياضات القلبية والتوجّه الغريزي إلى مالك القلوب بما أفاده البرهان حتى تتحقق حقيقة التوحيد. أجل، إن البرهان يقول لنا "لا مؤثر في الوجود إلاّ الله" وهذا أحد معاني لا إله إلا الله، وببركة هذا البرهان نقطع يد تصرف الموجودات عن ساحة كبرياء الوجود ونرجع ملكوت العوالم وملكها إلى صاحبها، ونظهر حقيقة ﴿**له ما في السموات والارض**﴾، و﴿**بيده ملكوت كل شيء**﴾، و﴿**هو الذي في السماء اله وفي الأرض اله**﴾. ولكن ما لم يصل هذا المطلب البرهاني إلى القلب ويصبح صورة باطنية للقلب، فلا ننتقل من حد العلم إلى حد الايمان، ولا يكون لنا من نور الايمان الذي ينوّر مملكة الباطن والظاهر سهم ونصيب. فلهذا، مع وجود البرهان على هذا المطلب الالهي الشامخ، فنحن



واقعون في التكثير وليس عندنا خبر من التوحيد الذي هو قرّة عين أهل الله، ندق طبل لا مؤثر في الوجود الا الله، ومع ذلك نمد عين الطمع ويد الطلب إلى من هو أهل وغير أهل؛ شعر:

"قدم الاستدلاليّين من خشب   والقدم الخشبية غير ثابتة".

وهذا التطهير من المقامات الجليلة للسالكين. ومن بعده مقامات أخر خارجه عن حدودنا؛ ولعله يرد في هذه الأوراق لها ذكر في وقتها إن شاء الله.

الفصل الثاني

في الاعتبارات القلبية لستر العورة

اذا رأى السالك نفسه حاضراً في محضر الحق المقدس جلّ وعلا، بل وجد باطنه وظاهره وسره وعلنه عين الحضور، كما روي في الكافي والتوحيد أن الصادق عليه السلام قال: "**ان روح المؤمن لأشدّ اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها**" بل ثبت بالبرهان القوي المتين في العلوم العالية ان جميع دائرة الوجود من أعلى مراتب الغيب إلى أدنى منازل الشهود هي عين التعلق والربط ومحض التدلي والفقر إلى القيوم المطلق جلّت عظمته، ولعله أشير إلى هذا المعنى في الآية المباركة: ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**﴾. فإذا لم يكن لموجود من الموجودات في حال من الحالات وآن من الآنات وحيثيّة من الحيثيّات تعلّق بعزّ القدس الربوبي لخرج عن بقعة الامكان الذاتي والفقر ودخل في حريم الوجوب الذاتي والغنى. وعلى العارف بالله والسالك إلى الله أن يكتب هذا المطلب البرهاني الحق وهذه اللطيفة الالهية العرفانية على لوح القلب بواسطة الرياضات القلبية، ويخرجها من حد العقل والبرهان



إلى حد العرفان، حتى تتجلى في قلبه حقيقة الايمان ونوره. فان أصحاب القلوب وأهل الله ينتقلون من حد الايمان إلى منزل الكشف والشهود. وهو يحصل بالمجاهدة الشديدة والخلوة مع الله والعشق بالله، كما في مصباح الشريعة أن الصادق عليه السلام قال:

"العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا اليه، والعارف أمين ودائع الله وكنز أسراره ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله، قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ولا مؤنس له سوى الله ولا نطق ولا اشارة ولا نفس الا بالله لله من الله مع الله".

وبالجملة، إذا رأى السالك نفسه بجميع شؤونه عين الحضور يستر جميع عوراته الظاهرية والباطنية لحفظ المحضر وأدب الحضور. ولأنه وجد أن كشف العورات الباطنية في محضر الحق أقبح وأفضح من كشف العورات الظاهرية بمقتضى الحديث **"ان الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم"**، والعورات الباطنية هي ذمائم الاخلاق وخبائث العادات والاحوال الخُلقية الرديئة التي تسقط الانسان من لياقة المحضر وأدب الحضور. وهذه هي المرتبة الأولى من هتك الستور وكشف العورات.

وليعلم ان الانسان ان لم يستر نفسه بحجاب ستارية الحق وغفاريته تعالى، ولم يقع تحت اسم الستّار والغفار مع طلب الغفارية والستارية، فربما إذا طوي ساتر الملك وارتفع حجاب الدنيا، تهتك ستوره في محضر الملائكة المقربين والانبياء المرسلين عليهم السلام. ولا يعلم قباحة كشف تلك العورات الباطنية وخزيها سوى الله.

أيها العزيز لا تقارن أوضاع عالم الأخرة بهذا العالم، فإن هذا العالم لا يتسع لظهور نعمة من نعم ذاك العالم أو نقمة من نقماته. هذا العالم مع سعة سمواته وعوالمه لا يتسع لظهور حجاب من الحجب الملكوتية السفلى، التي

من جملتها عالم القبر، فكيف بالملكوت الاعلى الذي يكون عالم القيامة أنموذجا منه. ففي الحديث المفصّل والذي رواه الشيخ الشهيد الثاني رضوان الله عليه في منية المريد نقلاً عن الصديقة الكبرى سلام الله عليها قالت: "**سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول: ان علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في ارشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور..** إلى أن قالت عليها السلام: **ان سلكا من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة**". هذا بالنسبة إلى نعيمه.

وأما بالنسبة إلى عذابه، فقد روى الفيض رحمه الله في علم اليقين عن المرحوم الصدوق باسناده عن الصادق عليه السلام في ضمن حديث "**ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: فلو أن حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعا وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها ولو أن قطرة من زقّومها وضريعها قطرت في مياه أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها**" نعوذ بالله من غضب الرحمن.

فعلى السالك إلى الله أن يبدّل أوصافه وأخلاقه السيّئة إلى الاوصاف الكاملة ويفنى في بحر الاوصاف الكمالية للحق، هذا البحر المتلاطم غير المتناهي، ويبدّل الارض المظلمة الشيطانية بأرض بيضاء مشرقة ويجد في نفسه ﴿**وأشرقت الارض بنور ربها**﴾، ويحقق في مملكة وجوده مقام أسماء الجمال والجلال للذات المقدسة، فيقع في هذا المقام في ستر الجمال والجلال، ويتخلّق بأخلاق الله ويستر قبائح التعينات النفسية والظلمات الوهمية بشكل كامل. فاذا تحقق هذا المقام يقع مورداً للعنايات الخاصة للحق جلّ جلاله ويؤيده الحق بلطفه الخفيّ الخاص ويستره تحت حجاب كبريائه على نحو لا يعرفه غيره وهو أيضا لا يعرف غير الحق "**ان أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري**"؛ وفي الكتاب الالهي المقدس اشارات



كثيرة في هذا الموضوع لأهلها كما في قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

ان أهل المعرفة وأصحاب السابقة الحسنى يعلمون أن جميع التعينات الخَلقية والكثرات العينية ظلمات، والنور المطلق لا يحصل الا بإسقاط الاضافات وكسر التعينات التي هي أصنام طريق السالك. فاذا اضمحلت وانطمست ظلمات الكثرات الفعلية والوصفية في عين الجمع تكون جميع العورات مستورة ويتحقق الحضور المطلق والوصول التام.

والمصلي في هذا المقام كما أنه مستور بالحق فهو مصلّ بصلاة الحق. ولعل صلاة معراج خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم كانت بهذه الطريقة في بعض المقامات والمدارج، والله العالم.

وصل:

عن مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: "**أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى وأنعمه الايمان". قال الله عز وجل: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾. وأما اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر عورات بني آدم وهي كرامة أكرم الله بها عباده ذرية آدم لم يكرم غيرهم وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عزّ وجلّ بل يقرّبك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك فيها إلى العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها من آفات الدين ومورثة القسوة في القلب، فاذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما ألبست ظاهرك بثوبك وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق أسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة وفتح أبواب التوبة والانابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء ولا تفضح أحدا حيث ستر الله عليك أعظم منه واشتغل بعيب**

نفسك واصفح عمّا لا يعنيك حاله وأمره واحذر أن تفني عمرك لعمل غيرك ويتّجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل وأوفر أسباب العقوبة في الأجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله تعالى ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل عن الأفات، خائض في رحمة الله عز وجل يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا لعيوبه راجعا إلى حوله وقوته لا يفلح اذا أبدا".

ان مقاصد الحديث الشريف وان اتضحت في الجملة فيما بيّناه سابقا، ولكن الاشارة إلى بعض اشاراته بعنوان شبه الترجمة موجب لصفاء القلوب.

يقول الامام عليه السلام: أزين لباس للمؤمنين هو لباس التقوى وألطفه لهم هو لباس الايمان، كما قال الله تعالى: ولباس التقوى ذلك خير.. وأما لباس الظاهر فهو من نعم الله تعالى التي تسترعورة بني أدم. وهذه الكرامة خاصة لذرية أدم عليه السلام ولم يعطها سبحانه إلى سائر الموجودات. ولكن المؤمنين يصرفون هذه النعمة ايضا في أداء الواجبات الالهية، وخير لباسك ما لا يغفلك عن الله ولا يشغلك بغير الله بل يقربك إلى شكره وذكره وطاعته، فلا بد لك أن تحترز في مادة اللباس وهيئته مما يوجب الغفلة والبعد عن ساحة قدس الحق، وتعلم أن في اللباس بل في جميع الامور العادية أمورا تغفل الانسان عن الحق وتشغله بالدنيا وتؤثر في قلبه الضعيف تأثيرات السوء وتبتليه بالعجب والرياء والتزين والفخر والكبر. وكل ذلك آفات للدين وموجب لقسوة القلب.

واذا لبست اللباس الظاهر فتذكر ان الله تعالى ستر بساتر رحمته ذنوبك ومعاصيك، وكما أنك لبّست ظاهرك باللباس الظاهري فلا تغفل عن الالبسة الباطنية ولبّس باطنك بلباس الصدق ولا بد لك أن تجعل باطنك في ستر الخوف والرهبة وظاهرك في ستر الطاعة وتعتبر من فضل الله تعالى



حيث أنه تعالى أعطى اللباس الظاهر كي تستر به عيوبك الظاهرة وفتح لك أبواب التوبة والانابة كي تستر بها العورات الباطنية التي هي المعاصي والاخلاق الذميمة. ولا تفضح أحدا كما أن الله سبحانه لم يفضحك فيما أهو أعظم. واشتغل بعيب نفسك كي ينفتح لك باب الاصلاح، واصفح عما لا يكون معينا لك. واحذر ان تفني عمرك لعمل غيرك وتكتب نتيجة أعمالك في صحيفة أعمال غيرك ويتّجر الاخرون برأسمالك، وتلقي بنفسك إلى الهلاك. لان نسيانك ذنوبك من أعظم العقوبات التي ابتلى الله تعالى الانسان في الدنيا بها لانه اذا نسي ذنوبه لم يقم بإصلاح نفسه، ونسيان الذنوب من أوفر أسباب العذاب في الاخرة. وما دام العبد مشتغلا بطاعة الحق عز وجل ومشغولا بمعرفة عيوب نفسه وتاركا للامور التي هي عيب في دين الله فهو بمعزل عن الآفات وغائص في بحرٍ رحمة الله وفائز بجواهر الحكمة والبيان، وما دام العبد ناسيا ذنوبه وجاهلاً بعيوبه ومعتمداً على حوله وقوته لا يحصل له الفلاح أبداً.

المقصد الثالث

في الآداب القلبية لمكان المصلّي

وفيه فصلان



الفصل الأول

في معرفة المكان

اعلم ان للسالك إلى الله بحسب النشآت الوجودية أمكنة، ولكل منها آداب مخصوصة ما لم يتحقق السالك بها لا يتوصّل إلى صلاة أهل المعرفة.

الأول: النشأة الطبيعية والمرتبة الظاهرية الدنيوية، ومكانها أرض الطبيعة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "**جعلت لي الارض مسجدا وطهورا**".. فالسالك في هذه المرتبة أدبه أن يفهّم قلبه أن نزوله من النشأة الغيبية وهبوط النفس من المحل الأعلى الارفع إلى أرض الطبيعة السفلى وردّه من أحسن تقويم إلى أسفل سافلين إنما هو لاجل سلوكه الاختياري إلى الله وعروجه إلى معراج القرب ووصوله إلى فناء الله وجناب الربوبية، الذي هو غاية الخلقة ونهاية مقصد أهل الله.ـ رحم الله امرءا علم من أين وفي أين وإلى أين.

على السالك أن يعلم أنه جاء من دار كرامة الله وصار في دار عبادة الله وسوف ينتقل إلى دار جزاء الله. من الله وفي الله وإلى الله. فيفهم نفسه ويذيق روحه أن دار الطبيعة هي مسجد عبادة الحق وأنه قدم إلى هذه النشأة لاجل هذا المقصد كما يقول الحق جلّت عظمته:﴿ **وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون** ﴾.. فاذا وجد دار الطبيعة مسجداً للعبادة ورأى نفسه معتكفا فيه لا بدّ وأن يقوم بآدابه ويصوم عن ذكر غير الحق؛ وألاّ يخرج عن مسجد العبودية الا بقدر الحاجة. فإذا انقضت حاجته يعود



ولا يستأنس بغير الحق ولا يتعلق قلبه بغيره، فان هذا كله خلاف آداب العكوف بباب الله. وللعارف بالله في هذا المقام حالات لا يصح كتابتها. وحيث أن الكاتب خارج عن الفطرة الانسانية، ومستغرق في بحر المسجور والظلماني للطبيعة وعار عن الحق والحقيقة وعن جميع مقامات السالكين والعارفين، فالأفضل ألاّ يفضح نفسه أكثر من هذا في محضر الحق (جلت قدرته) وخواصه، وليتجاوز هذا المقام، ويشكو النفس الامارة لجناب ذي الجلال المقدّس، لعله يؤيده باللطف العام والرحمة الشاملة ويجبر ما سبق من عمره فيما بقي منه. ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين.

المقام الثاني: مرتبة القوى الظاهرة والباطنة التي هي جنود ملكية وملكوتية للنفس ومحلّها أرض طبيعة الانسان، وهي هذه البنية والبدن. وأدب السالك في هذا المقام أن يفهّم باطن قلبه أن أرض طبيعة نفسه هي مسجد الربوبية، ومحل سجدة جنود الرحمان؛ فلا ينجسها بقاذورات تصرف إبليس ولا يجعل الجنود الالهية تحت تصرف ابليس كي تشرق أرض الطبيعة بنور الرب، وتخرج من ظلمة وكدورة البعد عن الساحة الربوبية. فيرى قواه الملكية الملكوتية معتكفة في مسجد البدن، ويعامل بدنه معاملة المسجد، ويتصرف بقواه بنظر العكوف بفناء الله. وتكليف السالك في هذا المقام أكثر، لأن تنظيف المسجد وطهارته ايضا على عهدته، وعليه أيضا أن يتكفل بتأديب المعتكفين في هذا المسجد.

المقام الثالث: النشأة الغيبية القلبية للسالك، ومحلها البدن البرزخي الغيبي للنفس الذي يتكون بانشاء النفس وخلاّقيتها. والادب للسالك في هذا المقام ان يذيق نفسه ان التفاوت بين هذا المقام والمقامات الاخر كثير وحفظ هذا المقام من مهمات السلوك، لان القلب هو إمام المعتكفين في هذا الجناب، وبفساده يفسد الجميع، اذا فسد العالِم فسد العالَم. فقلب العالِم



عالَم صغير، والعالم قلب العالم الكبير. وتكليف السالك في هذا المقام أكثر من ذين المقامين. لانه قد كُلف ببناء المسجد ايضا بنفسه. ومن الممكن لا سمح الله ان يكون مسجده مسجد ضرار وكفرٍ وتفريق بين المسلمين. ولا يجوز في هذا المسجد عبادة الحق، بل يجب تخريبه. فاذا أسّس السالك المسجد الملكوتي الالهي بيد التصرف الرحماني ويد الولاية، وطهّر بنفسه هذا المسجد من جميع القاذورات والتصرفات الشيطانية، واعتكف فيه، فلا بد له أن يجاهد حتى يخرج نفسه من العكوف في المسجد ويعتكف بفناء صاحب المسجد. فاذا تطهّرعن التعلّق بالنفس وخرج عن قيد الإنية، يصير هو بنفسه منزلا للحق، بل مسجدا للربوبية ويثني الحق على نفسه في ذاك المسجد بالتجليات الفعلية ثم الاسمائية ثم الذاتيّة. وهذا الثناء هو صلاة الرب يقول سبّوح قدّوس رب الملائكة والروح.

وللسالك إلى الله في جميع مقامات السلوك مهمة أخرى لا يجوز له الغفلة عنها مطلقا، بل هذه المهمة هي غاية السلوك ولب لبابه. وهي أن لا يغفل في جميع الحالات والمقامات عن ذكر الحق ويطلب في جميع المناسك والعبادات معرفة الله، ويطلب الله في جميع المظاهر ولا تمنعه النعمة والكرامة عن الصحبة والخلوة فانه نوع من الاستدراج.

وبالجملة، يرى روح العبادات والمناسك وباطنها معرفة الله ويطلب فيها المحبوب، فلعله تستحكم في قلبه علقة المحبة والمحبوبية ويكون موردا للعنايات الخفية والمراودات السرية.

وصل:

في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: "**اذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قد قصدت باب ملك عظيم لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته الا الصدّيقون فهب القدوم إلى بساط خدمة الملك هيبته فانك على خطر عظيم ان غفلت فاعلم أنه قادر على ما يشاء**



من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك برحمته وفضله قبل منك يسير الطاعة وأجزل لك عليها ثوابا كثيرا وان طالبك باستحقاق الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك ورد طاعتك وان كثرت فهو فعال لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك وانكسارك وفقرك بين يديه فانك قد توجّهت للعبادة والمؤانسة به واعرض اسرارك عليه ولتعلم أنه لا يخفى عليه اسرار الخلق أجمعين وعلانيتهم وكن كأفقر عباده بين يديه وأخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر والاخلص، فانظر من أي ديوان يخرج اسمك فان ذقت حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجابته فقد صلحت لخدمته فادخل فلك الاذن والأمان، والا فقف وقوف من انقطعت عنه الحيل وقصر عنه الامل وقضي عليه الاجل فان علم الله عز وجل من قلبك صدق الالتجاء اليه نظر اليك بعين الرأفة والرحمة واللطف، ووفقك لما يحب ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطّرين اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته. قال تعالى: ﴿أمّن يجيب المضطّر اذا دعاه ويكشف السوء﴾".

وحيث أن هذا الكلام الشريف دستور جامع لاصحاب المعرفة وأرباب السلوك إلى الله نقلته بتمامه حتى يحصل حال من التدبّر فيه.

وحاصل قوله عليه السلام أنه اذا وصلت إلى باب المسجد فانتبه إلى أيّ باب وصلت؟ وأيّ جناب قصدت؟ فاعلم أنك وصلت إلى جناب السلطان العظيم الشأن، الذي لا يضع أحد قدمه على بساط قربه الا اذا طهُر وتطهّر من جميع أرجاس عالم الطبيعة والارجاس الشيطانية. ولا يصدر الإذن لمجالسته الا للذين يقدمون عليه بالصدق والصفاء والخلوص من جميع أنواع الشرك الظاهر والباطن. فاجعل عظمة الموقف والهيبة والعزّة والجلال الالهي نصب عينك، ثم ضع قدمك إلى جناب القدس و بساط الانس



فانك واقع في مخاطرة عظيمة (اعلم ان جداره يحطم الرأس)، فانك وردت إلى جناب القادر المطلق الذي يجري ما يشاء في مملكته. فإما أن يعاملك بالعدالة ويناقش في الحساب فيطالبك بالصدق والاخلاص، فتحجب عن الجناب وتردّ طاعتك وان كثرت، واما ان يعطف اليك طرفه ويقبل بفضله ورحمته طاعتك التي هي لا شيء ولا قيمة لها ويعطيك ثوابه العظيم. فاذا عرفت الان عظمة الموقف، فاعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك، واذا توجهت إلى عبادته وقصدت المؤانسة معه، ففرّغ قلبك عن الانشغال بالغير الذي يحجبك عن جمال الجميل. وهذا الاشتغال بالغير قذارة وشرك ولا يقبل الحق تعالى الا القلب الطاهر الخالص. واذا وجدت في نفسك حلاوة مناجاة الحق وذقت حلاوة ذكر الله وتجرعت من كأس رحمته وكراماته ورأيت حسن اقباله واجابته في نفسك فاعلم انك صرت لائقا لخدمته المقدسة. فادخل فانك مأذون ومأمون. واذا ما وجدت في نفسك هذه الحالات، فقف بباب رحمته كالمضطر الذي انقطعت عنه جميع العلاجات وبعُد عن الآمال وقرب إلى أجله. فاذا عرضت ذلّتك ومسكنتك والتجأت إلى بابه ورأى سبحانه منك الصدق والصفاء، فينظر اليك بعين الرحمة والرأفة ويؤيدك ويوفّقك لتحصيل رضاه. فإنه الذات المقدسة لكريم ويحب الكرامة لعباده المضطرين كما يقول تعالى: ﴿ **أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء** ﴾.



الفصل الثاني

في بعض آداب اباحة المكان

اذا فهّم، السالك إلى الله، نفسَه مراتب المكان بحسب المقامات والنشآت الوجودية، فعليه أن يجتهد في آداب إباحتها القلبية حتى تخرج صلاته من التصرفات الغصبية لابليس الخبيث، فيقوم في المرتبة الاولى بالآداب الصورية للعبودية، ويفي بالعهود السابقة في عالم الذرّ ويوم الميثاق، ويبعّد يد تصرف ابليس عن ملك طبيعته حتى تحصل له المراودة والمحابة مع صاحب البيت، ولا تكون تصرفاته في عالم الطبيعة غصبا. يقول بعض أهل الذوق: ان معنى الآية الشريفة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلّت لكم بهيمة الانعام...**﴾ بحسب الباطن أن حليّة بهيمة الانعام موقوفة على الوفاء بعهد الولاية. وقد روي في الاحاديث أن جميع الارض للامام عليه السلام وغير الشيعة غاصبة لها. وأهل المعرفة يرون ولّي الامر مالكا لجميع ممالك الوجود ومدارج الغيب والشهود ولا يجوّزون تصرّف أحد فيها بدون اذن الامام.

يقول الكاتب: ان ابليس اللعين هو عدّو الله، وتصرفاته وكل تصرف ابليسيّ في عالم الطبيعة جور وغصب؛ فالسالك إلى الله إن أخرج نفسه من تصرفات ذلك الخبيث، يكون تصرّفه تصرّفا رحمانيا ويباح ويطهر مكانه وملبسه ومطعمه ومنكحه. وبمقدار ما يقع تحت تصرف ابليس يخرج عن الحليّة ويكون فيه شرك الشيطان. فاذا وقعت الاعضاء الظاهرة للانسان في تصرف ابليس، تكون أعضاؤه ابليسية ويكون غاصبا لمملكة الحق، كما أن



عكوف القوى الملكوتية في مسجد البدن يكون مباحا وعدلا اذا كانت القوى من الجنود الرحمانية؛ والا فجنود ابليس ليس لها الحق بأن تتصرف في مملكة البدن الانساني، التي هي ملك للحق تعالى. فاذا قصّر يد تصرف الشيطان عن مملكة القلب الذي هو منزل خاص للحق تعالى، وخلّص قلبه لتجليات الحق، ولم يدع أحدا غير الحق يتطرق اليه ـ فان غير الحق ابليس الطريق ـ يباح له المساجد الظاهرة والباطنة والامكنة الملكية والملكوتية، وتكون صلاته صلاة اهل المعرفة. وتتضح بهذا الميزان طهارة المسجد أيضا.



المقصد الرابع

في الآداب القلبية للوقت

وفيه فصلان





الفصل الأول

في مراتب أهل المراقبة

اعلم أن لاهل المعرفة وأصحاب المراقبة، على قدر قوة معرفتهم بالمقام المقدس الربوبي واشتياقهم إلى مناجاة حضرة الباري عز اسمه، مراقبة لاوقات الصلاة التي هي ميقات المناجاة وميعاد ملاقاة الحق.

فالمجذوبون لجمال الجميل، والعاشقون للحسن الازلي والمشغوفون به، والسكارى من كأس المحبة والمصعوقون من قدح "ألست"، الذين فرغوا من الكونين وأغمضوا العين عن جميع أقاليم الوجود، وتعلقوا بعز قدس جمال الله، فلهم دوام الحضور وليسوا مبعدين عن الذكر والفكر والمشاهدة والمراقبة لحظة واحدة.

والذين هم أصحاب المعارف وأهل الفضائل والفواضل وهم شرفاء النفس وكرماء الطينة، فلا يختارون على المناجاة مع الحق شيئا، ويطلبون من الخلوة مع الحق ومن مناجاته نفس الحق، ويرون أن العزة والشرف والفضيلة والمعرفة كلها في تذكر الحق ومناجاته. فهم اذا توجهوا إلى العالم، ونظروا إلى الكونين يكون توجههم ونظرهم اليها نظراً عرفانياً، ويطلبون الحق في العالم، ويرون جميع الموجودات جلوة للحق ولجمال الجميل (أنا للعالم عاشق حيث منه الكون أجمع).

فهم يواظبون على أوقات الصلاة بتمام أرواحهم وقلوبهم، وينتظرون وقت المناجاة مع الحق، ويحضّرون أنفسهم ويهيئونها لميقات الحق. فقلوبهم حاضرة ويطلبون من المحضر الحاضر، ويحترمون المحضر لاجل الحاضر،



ويرون أن العبودية هي المراودة والمعاشرة مع الكامل المطلق. فاشتياقهم إلى العبادة من هذا الباب.

والذين يؤمنون بالغيب وعالم الأخرة ويعشقون كرامات الحق جل جلاله، ولا يستبدلون النعم الابدية الجنانية واللذات والبهجات الدائمة السرمدية بالحظوظ الداثرة الدنيوية واللذائذ الناقصة المؤقتة المشوبة؛ فهؤلاء أيضا في وقت العبادة التي هي بذور النعم الاخروية، يحضرون قلوبهم، ويقومون بالامر باقبال واشتياق، وينتظرون أوقات الصلاة، فإنها وقت حصول النتائج واكتساب الذخائر، ولا يختارون على النعم الخالدة شيئاً. فهؤلاء ايضا حيث أن قلوبهم مطلعة على عالم الغيب، وقد آمنت قلوبهم بالنعم الابدية واللذائذ الدائمة لعالم الأخرة، يغتنمون أوقاتهم ولا يضيّعونها، أولئك اصحاب الجنة وأرباب النعمة هم فيها خالدون.

هذه الطوائف المذكورة، وبعضها التي لم تذكر، لهم من العبادة نفسها لذائذ على حسب مراتبهم ومعارفهم وليس لهم كلفة وتكليف فيها أصلا.

وأما نحن المساكين المبتلون بالأمال والاماني والمقيدون بسلاسل الهوى والهوس والمنغمسون في البحر المسجور الظلماني للطبيعة، الذين لم تصل إلى شامّة أرواحنا رائحة من المحبة والعشق وما ذائقت قلوبنا لذة من العرفان والفضيلة، فلسنا من أصحاب العرفان والعيان ولا من أرباب الايمان والاطمئنان، نرى العبادات الالهية تكليفا وكلفة، والمناجاة مع قاضي الحاجات ثقلا وتكلّفا. لا نركن إلى شيء غير الدنيا، التي هي معلف للحيوانات، ولا نتعلق سوى بدار الطبيعة التي هي معتكف الظالمين، قد عميت أبصار قلوبنا عن جمال الجميل وهجرت ذائقة أرواحنا ذوق العرفان.

نعم، إن رئيس سلسلة أهل الحق وخلاصة أصحاب المحبة والحقيقة يترنم بقوله: **أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**.. فيا رب ما هذه البيتوتة التي كانت لمحمد (صلى الله عليه وآله) معك في دار الخلوة والانس؟ وما هذا



الطعام والشراب الذي أذقت بيدك هذا الموجود الشريف وأخلصته من جميع العوالم. فمن شأن ذلك السيد العظيم أن يقول: "**لي مع الله وقت لا يسعه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل**". فهل هذا الوقت من أوقات عالم الدنيا والآخرة، أو أنه وقت الخلوة في قاب قوسين وطرح الكونين؟..

ان موسى عليه السلام صام صوما موسويا أربعين يوما، ووصل إلى ميقات الحق، قال تعالى: ﴿ **فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة** ﴾، ومع ذلك أين هذا الميقات من الميقات المحمدي؟ فلا نسبة بينه وبين الوقت الاحمدي.

ان موسى في الميعاد خوطب بخطاب فاخلع نعليك وقد فُسّر بمحبة الاهل، والرسول الخاتم قد أمر في ميعاده بأن يحب عليا، وفي القلب من هذا السر جذوة ما أبوح منها بشيء (انت اقرأ بنفسك الحديث المفصل من هذا المجمل).

الفصل الثاني

في مراقبة الوقت

فأنت أيها العزيز، اغتنم وقت المناجاة هذا بالقدر الميسور والمقدار المقدور، وقم بآدابه القلبية، وفهّم قلبك أن أساس الحياة الابدية الاخروية ومنبع الفضائل النفسانية ورأسمال الكرامات غير المتناهية هو المراودة والمؤانسة مع الحق ومناجاته؛ وخصوصا الصلاة فإنها مرهم روحاني، قد أعد بيدي جمال الحق وجلاله، وهي أجمع وأكمل من جميع العبادات. فبقدار ما يمكنك حافظ على أوقاتها، وانتخب أوقات فضيلتها، فإن فيها نورا ليس في غيرها من الاوقات. وأقلل فيها من الاشتغالات القلبية بل اقطعها. وهذا يحصل إذا قسّمت أوقاتك، وعيّنت للصلاة المتكفّلة



لحياتك الابدية وقتا خاصا، لا يكون لك فيه أشغال أخر، ولا تكون للقلب تعلّقات اخرى. ولا تجعل الصلاة تزاحم الامور الاخر، كي تستطيع أن تريح القلب وتحضره.

والان نذكر الاحاديث الواردة في أحوال المعصومين عليهم السلام على قدر اقتضاء المقام، فلعلّه بالتدبّر في حالات أولئك الاكرمين يحصل الانتباه، وتدرك عظمة الموقف وأهمية المقام وخطره وتستيقظ من نوم الغفلة.

فعن بعض أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) أنها قالت: **"كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحدّثنا ونحدّثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلا بالله عن كل شيء"**.

وروي عن علي عليه السلام: **"كان اذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلوّن، فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول عليه السلام: جاء وقت الصلاة وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها"**.

ونقل السيد ابن طاووس في فلاح السائل: كان الحسين عليه السلام **"اذا توضأ يتغير لونه ويضطرب مفاصله فقيل له في ذلك فقال: حق لمن يقف بين يدي ذي العرش أن يصفرّ لونه وتضطرب مفاصله"** ونقل عن الحسن عليه السلام أيضا مثل ذلك.

وعن علي بن الحسين عليه السلام: **"كان اذا حضر للوضوء اصفرّ لونه فيقال له ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: ما تدرون بين يدي من أقوم؟"**.

ونحن أيضا إذا تفكرنا قليلا، وفهّمنا قلبنا المحجوب المطرود أنّ أوقات الصلاة هي أوقات الحضور في جناب القدس لحضرة ذي الجلال، وأن الحق تعالى ملك الملوك والعظيم المطلق في تلك الاوقات دعا عبده



الضعيف اللاشيء إلى مناجاته، وأذن له بالدخول إلى دار كرامته حتى يفوز بالسعادات الأبدية ويجد السرور والبهجات الدائمية، لكنّا مبتهجين ومسرورين من دخول وقت الصلاة بمقدار معرفتنا. واذا استشعر القلب عظمة المقام وخطره، يحصل فيه الخوف والخشية بمقدار فهم العظمة. وحيث أن قلوب الاولياء مختلفة وحالاتهم متفاوتة بحسب التجليات اللطفيّة والقهرية واستشعار العظمة والرحمة، فحينا يحملهم الشوق إلى الملاقاة واستشعار الرحمة والجمال على السرور والبهجة ويقولون: ارحنا يا بلال، وحينا تجعلهم التجليات بالعظمة والقهر والسلطنة في حالة الصعق والارتعاش والرعدة.

وبالجملة، أيها الضعيف، إن الاداب القلبية للاوقات هي أن تهيىء نفسك للدخول إلى حضرة مالك الدنيا والآخرة ومخاطبة الحق جل وعلا ومكالمته؛ فانظر بعين إلى ضعفك ومسكنتك وذلّتك وعجزك، وإلى العظمة والجلال والكبرياء للذات المقدسة جلّت عظمته الذين كان الانبياء والمرسلون والملائكة المقربون يصعقون في جنب عظمته، وبالعجز والمسكنة والذلّة معترفون. فاذا نظرت بهذه النظرة وفهّمت قلبك، فليستشعر القلب الخوف ويرى نفسه وعباداته لا شيء.. وانظر بعين أخرى إلى سعة رحمة الذات المقدسة وكمال عطفها وإحاطة رحمانيتها، حيث أنه أذن للعبد الضعيف، مع ما فيه من أنواع التلوّثات ومنتهى العجز والمسكنة، في الدخول إلى حضرة قدسه ودعاه إلى مجلس أنسه بتشريفات، من إهباط الملائكة وانزال الكتب السماوية، وبعث الانبياء والمرسلين من دون أن يكون لهذا الممكن المسكين سابقة استعداد، أو يكون لحضرته جل وعلا نعوذ بالله أو لملائكة الله أو الانبياء عليهم السلام في هذه الدعوة والحضور نفع. فلا شك أن القلب بهذا التوجه سيحصل له الانس، ويستشعر الرجاء والأمل. فهيئ نفسك للحضور بقدمي الخوف والرجاء والرهبة



والرغبة بقلب خجل وفؤاد وجل واستشعار الانكسار والذلة والضعف والمسكنة، ولا ترَ لنفسك أية لياقة للحضور في هذا المحضر ولا تعدّ نفسك لائقا للعبادة والعبودية. واعتبر أن الاذن للدخول في العبادة والعبودية هو من شمول الرحمة وعميم لطف حضرة الاحدية جلّت قدرته؛ فإنك إذا جعلت ذلّتك نصب عينيك، وتواضعت لذات الحق المقدسة بروحك وقلبك، وعددت نفسك وعبوديتك لا شيء، يتلطف الحق تعالى ويرفعك ويخلّعك بخلع كراماته.



المقصد الخامس

في بعض آداب الاستقبال
وفيه فصلان





الفصل الأول
في السر الإجمالي للاستقبال

اعلم أن ظاهر الاستقبال متقوّم بأمرين:

أحدهما مقدّمي، وهو صرف الوجه الظاهر عن جميع الجهات المتشتتة.

والاخر نفسي، وهو استقبال الكعبة بالوجه التي هي أم القرى ومركز بسط الارض.

ولهذه الصورة باطن وللباطن سرّ بل أسرار. وأصحاب الاسرار الغيبية يصرفون باطن الروح عن الجهات المتشتتة لكثرات الغيب والشهادة، ويجعلون جهة سرّ الروح أحدية التعلق، ويجعلون جميع الكثرات فانية في سرّ أحدية الجمع. فإذا تنزّل هذا السر الروحي في القلب، يظهر الحق في القلب بظهور الاسم الاعظم الذي هو مقام الجمع الاسمائي، وتفنى الكثرات الاسمائية وتضمحل في الاسم الاعظم، وتصبح وجهة القلب في هذا المقام إلى حضرة الاسم الاعظم. فاذا ظهرت هذه من باطن القلب إلى ظاهر الملك، كانت صورة افناء الغير في الانصراف عن غرب عالم الملك وشرقه، وصورة التوجه إلى حضرة الجمع في التوجه إلى مركز بسط الأرض الذي هو يد الله في الأرض.

وأما بالنسبة للسالك إلى الله الذي يسير من الظاهر إلى الباطن، ويترقى من العلن إلى السر، فلا بد له أن يجعل هذا التوجّه الصوري إلى مركز البركات الارضية وترك الجهات المتشتتة المتفرقة وسيلة الحالات القلبية، ولا يقنع بالصورة الخالية من المعنى، ويصرف القلب الذي هو مركز توجه



حضرة الحق عن الجهات المتشتتة المتفرقة، التي هي الاصنام الحقيقية. ويتوجّه إلى القبلة الحقيقية التي هي أصل أصول بركات السموات والأرض، ويرفع رسوم الغير والغيرية، حتى يصل شيئا ما، إلى سرّ وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض. ويحصل في قلبه انموذج من تجليات عالم الغيب الاسمائي وبوارقه، وتحترق الجهات المتشتتة والكثرات المتفرقة ببارقة الهية، ويؤيده الحق تعالى، وتتحطم الاصنام الصغيرة والصنم الاعظم من باطن القلب بيد الولاية. ولا انتهاء لهذه القصة، فلأتركها وامضِي.

الفصل الثاني

في بعض الآداب القلبية للاستقبال

اعلم أيها السالك إلى الله، انك اذا صرفت وجهك الظاهر عن الجهات المتشتتة لعالم الطبيعة وتوجهت إلى نقطة واحدة، فقد ادّعيت فطرتين من الفطر الإلهية، التي أودعت بيد الغيب في خميرة ذاتك، وقد خمّر الحق تعالى طينتك بها بيد الجلال والجمال. وقد أظهرت هاتين الحالتين الفطريتين بصورة ظاهرة دنيوية، وأشهدتهما بها، وأقمت البيّنة على عدم احتجابك عن نور هاتين الفطرتين الالهيتين، بصرف الظاهر عن الغير والتوجه إلى القبلة التي هي محل ظهور يد الله وقدرة الله. وهاتان الفطرتان الالهيتان، احداهما التنفر عن النقص والناقص، والثانية هي العشق للكمال والكامل. والأول أصلي ذاتي والثاني تبعي ظلّي، من الفطر التي عجنت بها جميع عائلة البشر ومن دون استثناء. ففي جميع سلسلة البشر مع اختلافهم في العقائد والاخلاق والطبائع والامزجة والامكنة والعادات، في البدوي منهم والحضري، والبدائي والمتمدن، والعالم والجاهل، والالهي



والطبيعي، هاتان الفطرتان مخمرتان، وإن كانوا محجوبين عنهما، ويختلفون في تشخيص الكمال والنقص والكامل والناقص. فذاك المتوحش السفّاك الفتّاك، يرى الكمال في الاستيلاء على نفوس الناس وأعراضهم ويرى السفك والقتل كمالا فيصرف عمره لأجله. وذاك الطالب للدنيا والطالب للجاه والمال، يرى الكمال بالمال والجاه ويعشقهما.

وبالجملة، فصاحب كل مقصد يرى مقصده كمالا وصاحبه كاملا ويعشقه، ويتنفّر من غيره. فالانبياء، عليهم السلام، والعلماء بالله وأصحاب المعرفة قد جاؤوا ليخرجوا الناس من الاحتجاب، ويخلصوا نور فطرتهم من ظلمات الجهل، ويعرّفوهم على الكامل والكمال. فإنهم إذا شخّصوا الكمال والكامل، لن يحتاجوا إلى دعوة للتوجه إليه وترك ما سواه، بل نور الفطرة هو أعظم هاد الهي وهو موجود في جميع سلالة البشر.

وفي هذا المرهم الالهي، أي الصلاة التي هي معراج القرب الالهي، فإن استقبال القبلة والتوجه إلى النقطة المركزية ورفع اليد وصرف الوجه عن الجهات المتفرقة، هو ادعاء بأن الفطرة قد تيقّظت وخرج نور الفطرة من الاحتجابات. وهذا الادّعاء حقيقي بالنسبة إلى الكمّل وأصحاب المعرفة. وأما بالنسبة لنا أصحاب الحجاب، فأدبه أن نفهّم القلب أنه لا كمال ولا كامل في جميع دار التحقق سوى الذات المقدسة الكاملة على الاطلاق فان تلك الذات المقدسة كمال بلا نقص، وجمال بلا عيب، وفعلية بلا شوب القوة، وخير بلا اختلاط بالشرّ، ونور بلا شوب ظلمة. وكل ما في دار التحقق من الكمال والجمال والخير والعزّة والعظمة والنورانية والفعلية والسعادة فهو من نور جمال تلك الذات المقدسة، وليس لاحد شراكة مع الذات المقدسة في كمالها الذاتي، وليس لموجود جمال ولا كمال ولا نور ولا بهاء الا بجمال تلك الذات المقدسة وكمالها ونورها وبهائها.

وبالجملة، ان العالم قد تنوّر بجلوة جماله المقدس الذي وهبه الحياة



والعلم والقدرة. وإلا لبقيت دار التحقق في ظلمة العدم وكمونه وبطون البطلان. بل من كان قلبه منوراً بنور المعرفة يرى كل شيء غير نور جمال الجميل باطلاً ولا شيء، ومعدوماً أزلاً وأبداً.

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سمع هذا الشعر للبيد:

الا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل

قال صلى الله عليه وآله: "**هذا الشعر أصدق ما قالته العرب**".

فاذا فهّمت قلبك بطلان جميع دار التحقّق وكمال الذات المقدسة، فلا تحتاج في توجّه القلب إلى القبلة الحقيقية وعشق جمال الجميل على الاطلاق والتنفّر من جميع دار التحقق إلا جلوة الذات المقدسة، إلى إعمال رويّة، بل فطرة الله بنفسها تدعو الانسان اليه بالدعوة الجبلّيّة الفطرية وتصبح "**وجّهت وجهي للذي فطر السموات والارض**" لسان ذات الانسان وقلبه وحاله، وتصبح "**اني لا أحب الافلين**" لسان فطرته.

فاعلم أيها الفقير ان العالم بوجهته السوائية زائل وداثر وفانٍ وباطل؛ ليس لاحد من الموجودات من قِبل نفسه شيء وليس في ذاته جمال ولا بهاء ونور وسناء، والجمال والبهاء منحصر بالذات المقدسة. فتلك الذات المقدسة كما أنها متفردة في الالوهية ووجوب الوجود، متفردة بالجمال والبهاء والكمال أيضا بل متفرّدة بالوجود. وان ذلّ العدم الذاتي والبطلان منقوش على ناصية ما سواه. فاصرف قلبك الذي هو مركز لنور فطرة الله عن الجهات المتشتتة للاباطيل والاعدام والنواقص، ووجهه إلى مركز الجمال والكمال وليكن لسان فطرتك في ضميرك الصافي.. ما يقوله العارف الشيرازي:

(لا تسع قلوبنا أحداً غير الحبيب   فدع الكونين للعدوّ فإن الحبيب يكفينا).

وصل:

عن الامام الصادق عليه السلام: "**اذا استقبلت القبلة فأيس من الدنيا**



وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرّك عظمة الله تعالى واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحق وقف على قدم الخوف والرجاء".

وهذا الحكم الشريف حكم جامع لامثالنا المحجوبين الذين لا نستطيع أن نحافظ دائما على حالاتنا القلبية ونجمع بين الوحدة والكثرة ونتوجّه إلى الحق والخلق. فحينئذ لا بد لنا أن نيأس من الدنيا وما فيها عند التوجّه إلى الحق واستقبال القبلة، ونقطع طمعنا عن الخلق وشؤونهم، ونخرج من روحنا وقلبنا المشاغل القلبية والشواغل الروحية لنصير لائقين للحضور في الحضرة، ويتجلى في سر روحنا جلوة من جلوات العظمة. فإذا وجدنا نور العظمة بقدر استعدادنا، نتذكر رجوعنا إلى الحق ووقوفنا في محضره المقدس **﴿ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحق ﴾**، ويخط خط البطلان على جميع الاهواء النفسانية والمعبودات الباطلة.

ففي محضر هذا العظيم الشأن الذي كانت دار التحقق بأسرها جلوة من جلوات فعله، فإن مسكينا مثلك ومثلي لا بد وان يقف ويتردد بقدمي الخوف والرجاء. وإذا رأينا الضعف والفتور والمسكنة والفقر والذلّة في أنفسنا، والعظمة والأبهة والجلال والكبرياء في الذات المقدسة، فنقع في الخوف والخشية من خطر هذا المقام، واذا وجدنا الرحمة والعطوفة والالطاف غير المتناهية والكرامات اللانهائية نكون راجين وآملين.





المقالة الثالثة

في مقارنات الصلاة
وفيها ثمانية أبواب



الباب الأول

في بعض آداب الأذان والإقامة

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

في سرّهما الإجمالي وآدابهما

اعلم أن السالك إلى الله لابد له في الأذان أن يعلن للقلب الذي هو سلطان القوى الملكوتية والملكية ولسائر الجنود المنتشرة في الجهات المشتتة للملك والملكوت، اعْلان الحضور في المحضر. وحيث أنه قد اقترب وقت الحضور والملاقاة، فيهيئ تلك القوى؛ فإن كان من أهل الشوق والعشق، لا يفقد التحمّل والثبات من التجلّي المفاجئ.

وان كان من المحجوبين فلا يدخل المحضر المقدس بدون تهيئة



الاسباب والآداب. فالسرّ الاجمالي للأذان هو إعلام القوى الملكوتية والملكية والجيوش الالهية للحضور، وأدبه الاجمالي هو التنبيه إلى عظمة المقام وخطره وعظمة المحضر والحاضر، وذل الممكن وفقره وفاقته ونقصه وعجزه عن القيام بالامر وقابلية الحضور في المحضر، ان لم يؤيده لطف الحق جل وعلا ورحمته ويجبر نقصه.

والاقامة: هي اقامة القوى الملكوتية والملكية في المحضر واحضارها في الحضور. وأدبها هو الخوف والخشية والحياء والخجل والرجاء الواثق بالرحمة غير المتناهية.

والسالك لابد له أن يفهم قلبه في جميع فصول الأذان والاقامة عظمة المحضر والحضور والحاضر ويجعل ذل نفسه وعجزها وقصورها نصب عينيه حتى يحصل الخوف والخشية؛ ومن الجانب الاخر لابد ان يريه الرحمة الواسعة والالطاف الكريمة حتى يحصل له الرجاء والشوق.

فالقلوب العشقية يغلبها الشوق والجذبة، وهي تخطو بقدم الحب والعشق في محضر الأنس. فهذه القلوب تشتغل بهذه الجذبة الغيبيّة وبعشق المحضر والحاضر، إلى آخر الصلاة بالمعاشقة ومعانقة ذكر الحق وفكره.

وفي الحديث عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال:

"أفضل الناس من عشق العبادة وعانقها وأحبّها بقلبه وباشرها بجسده وتفرّغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على يسر أم على عسر".

والقلوب الخوفية يتجلى لها سلطان العظمة وتغلب عليها جذبة القهارية، وتجعلها في حالة الصعق ويذوبّها الخوف والخشية، ويمنعها عن كل شيء القصور الذاتي واستشعار ذلّة نفسها وعجزها.

وفي الحديث عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: "قال أمير المؤمنين عليه السلام: "**ان لله عبادا كسرت قلوبهم خشيته فأسكتهم**



عن النطق".

والحق تعالى يتجلى لاوليائه الكمّل تارة بالتجلّي اللطفي ويكون العشق والجذبة الحبية هادية لهم، كما في الحديث بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينتظر الصلاة ويشتدّ عشقه وشوقه فيقول لبلال المؤذن: "أرحنا يا بلال".. وأخرى بتجلي العظمة والسلطنة فيحصل لهم الخوف والخشية؛ كما نقلت الحالات الخوفية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أئمة الهدى عليهم السلام. وثالثة بالتجلي الاحدي الجمعي على حسب طاقة قلوبهم وسعة أوعيتها. ونحن ـ المحجوبين، المشتغلين بالدنيا والمحبوسين في سجن الطبيعة والمغلولين بأغلال الشهوات والآمال، والمحرومين من السعادات العقلية الالهية الذين لا نصحو من سكر الطبيعة إلى صبح الازل، ولا ننهض من نومنا الثقيل أبدا ـ خارجون عن نطاق هذه التقسيمات ومستثنون من هذا البيان؛ فآداب الحضور لنا هي من طور آخر والقيام بالوظائف القلبية على شكل آخر. ولكن أول شيء منها هو أن نخرج من قلوبنا اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله اللذين هما من الجنود الكبرى لابليس ومن القاءات شياطين الانس والجن، ولا نتوهم ان لباس هذه المقامات قد خيط على قامة أشخاص خاصّين، وأن أيدي آمالنا عنها قاصرة وأرجل سير البشر عن ركوبها مترجلة فلا نخطو أصلا ونبقى بالبرودة والوهن مخلّدين في أرض الطبيعة. لا فليس الامر على ما نتوهّم. نعم، أنا أيضا أقول: ان المقام الخاص لكمّل أهل الله لا يتيسّر لأحد، ولكن للمقامات المعنوية والمعارف الالهية مدارج غير متناهية ولها مراتب كثيرة يتيسّر للنوع أكثر تلك المقامات والمعارف والحالات والمدارج، فيما إذا تركوا البرودة والتهاون الذي في أنفسهم، وأبعدوا يد العناد والتعصب لاهل الجهل والعناد عن قلوب عباد الله، ولم يكن لهم شيطان على طريق سلوكهم.

فأدب الحضور بالنسبة لنا هو أنه لا بد لنا في بدء الامر ـ لأننا لم نتجاوز



مرتبة الحس والظاهر، وليس في أعيننا سوى العظمة والجلال الدنيويين، وليس لدينا أي خبر عن العظمة الالهية الغيبية ـ أن نرى محضر الحق تعالى كمحضر سلطان عظيم الشأن قد أدرك القلب عظمته، وأن نفهم قلوبنا أن كل عظمة وجلال وكبرياء هي تجلٍ من عظمة عالم الملكوت قد تنزّلت إلى هذا العالم، وان عالم الملكوت في جنب العوالم الغيبية ليس له قدر محسوس. فنفهّم القلب ان العالم هو المحضر المقدّس لحضرة الحق وأن الحق تعالى حاضر في جميع الامكنة والاحياز، وبالخصوص الصلاة التي هي إذن خاص للحضور وميعاد مخصوص للملاقاة والمراودة مع الحضرة الاحدية. فاذا جعلنا القلب مستشعرا العظمة والحضور وان كان ذلك في بدء الامر مع التكلّف، فإن القلب يستأنس بالتدريج ويصبح هذا المجاز حقيقة. فاذا قمنا بالآداب الصورية للتعامل مع مالك الملوك، وأدينا الآداب الحضورية الظاهرية، يحصل أثر في القلب أيضا، ويستشعر العظمة، ويصل الانسان تدريجيا إلى النتائج المطلوبة. وكذلك بالنسبة إلى إثارة الحب والعشق فانها ايضا تحصل بالتعمل والرياضة.

ففي أول الامر لابد أن يعرض على القلب الرحمات الصورية والالطاف الحسية للحق، ويوصل إليه مقام الرحمانية والرحيمية والمنعمية كي يستأنس القلب بالتدريج، ويحصل الأثر في الباطن من الظاهر وتتنوّر مملكة الباطن من آثار الجمال وتحصل النتائج المطلوبة. والانسان اذا قام بالأمر وجاهد في سبيل الله، فالحق تعالى يؤيده وينجيه باليد الغيبية من ظلمات عالم الطبيعة، وينوّر أرض قلبه المظلمة بإشراق نور جماله، ويبدله بها السماوات الروحية **ومن يقترف حسنة نزد فيها حسنا ان الله غفور رحيم**.



الفصل الثاني

في بعض آداب تكبيرات الاذان والاقامة وأسرارهما

اعلم ان الاذان حيث إنه إعلان الحضور لقوى النفس الظاهرة والباطنة في محضر الربوبية لاجل الثناء على الذات المقدسة بحسب جميع الاسماء والصفات والشؤون والآيات، لأن الصلاة، كما أشير إليها، ثناء جامع ومورد هذا الثناء هو الذات المقدسة بحسب تجلّيها بالاسم الاعظم الذي هو مقام أحدية جمع الاسماء في الحضرة الواحدية، ومقام التجلي بالجمع والتفريق والظهور والبطون في حضرات الاعيان والاسماء العينية، فالسالك يتوجّه في بدء الامر إلى كبرياء الذات المقدسة على حسب هذا الشأن الجامع، فيعلن عظمتها وكبرياءها اولا على قوى مملكة نفسه الملكوتية والملكية، وثانيا على ملائكة الله الموكلة بملكوت القوى المنتشرة في مملكة النفس، وثالثا على موجودات عوالم الغيب والشهود، ورابعا على ملائكة الله الموكلة بملكوت السموات والأرضين. فيعلن، بحسب التكبيرات الاربعة، كبرياء الاسم الاعظم على جميع سكنة عوالم الغيب والشهادة في المملكة الداخلية والخارجية؛ وهذا نفسه إعلان عجزه عن القيام بالثناء على الذات المقدسة وقصوره عن اقامة الصلاة؛ وهذا من الامور الشاملة في السلوك والآداب المتعلقة بالثناء والعبادة، التي لابد أن يكون في جميع احوال الصلاة نصب عين السالك. ولهذا يُكرّر في الاذان والاقامة، ويكرّره دائما في الصلاة، ويعاد عند الانتقال من حال إلى حال آخر حتى يتمكن في قلب السالك القصورُ الذاتي لنفسه والعظمة والكبرياء للذات المقدسة.



ومن هنا يعلم أدبه أيضا وهو أنه لا بد للسالك أن يذكّر قلبه وقواه بعجز نفسه وكبرياء الحق. وبوجه آخر يمكن أن يكون كل من التكبيرات الأولية في الاذان اشارة إلى مقام، فتكون التكبيرة الاولى إشارة إلى التكبير عن التوصيف ذاتا، والثانية إلى التكبير عن التوصيف وصفا، والثالثة إلى التكبير عن التوصيف اسما، والرابعة إلى التكبير عن التوصيف فعلا. فكأن السالك يقول الله أكبر من أن توصف ذاته أو تجليات ذاته والله أكبر من أن توصف صفاته وأسماؤه وأفعاله أو تجلياتها بحسبها.

وفي حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: **"والوجه الاخر الله أكبر فيه نفي كيفيته كأنه يقول ـ أي المؤذن ـ: "الله أجل من أن يدرك الواصفون قدر صفته التي هي موصوف بها وإنما يصفه الواصفون على قدرهم لا على قدر عظمته وجلاله تعالى الله عن أن يدرك الواصفون صفته علوّا كبيرا"** الحديث.

ومن الآداب المهمة للتكبيرات أن يجاهد السالك ويجعل قلبه محلا لكبرياء الحق جلّ جلاله بالرياضات القلبية، ويحصر كبر الشأن والعظمة والسلطان والجلال بذات الحق المقدسة جلّ وعلا ويسلب الكبرياء من سائر الموجودات. واذا كان في القلب اثر من كبرياء أحد لا يراه ولا يعلم بأنه شعاع كبرياء الحق، فقلبه مريض وعليل، ومحل لتصرف الشيطان. وربما تكون التصرفات الشيطانية سبباً لان يكون سلطان كبرياء غير الحق في القلب أكثر من الحق ويراه القلب أكبر من الحق. ففي هذه الصورة يكون الانسان معدودا في زمرة المنافقين. وعلامة هذا المرض المهلك ان يقدّم الانسان رضا المخلوق على رضا الحق، ويسخط الخالق لإرضاء المخلوق.

وفي الحديث قال الصادق عليه السلام: **"اذا كبّرت فاستصغر ما بين العلا والثرى دون كبريائه فإن الله اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب أتخدعني،**





وعزّتي وجلالي لاحرمنّك حلاوة ذكري ولأحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي".

فهو عليه السلام يقول اذا كبّرت فاستصغر في محضر كبرياء تلك الذات المقدسة ما في الكون من الأرض إلى العرش لان الله تبارك وتعالى اذا رأى عبدا يكبّر ولكن في قلبه علّة بشأن حقيقة التكبير ـ يعني أن قلبه لا يوافق ما يجريه على اللسان ـ يقول: يا كاذب أتخدعني وعزّتي وجلالي.. إلى آخر الحديث.

فيا أيها العزيز، ان حرمان قلوبنا المسكينة من حلاوة ذكر الحق تعالى، وان عدم وصول لذة مناجاة تلك الذات المقدسة إلى ذائقة أرواحنا ونحن محتجبون عن الوصول إلى قرب الجناب ومحرومون من تجليات الجمال والجلال، لأن قلوبنا عليلة ومريضة، وقد حجبنا الاخلاد إلى الأرض والاحتجاب بالحجب المظلمة للطبيعة عن معرفة كبرياء الحق وأنوار الجمال والجلال. فما دام نظرنا إلى الموجودات نظرا ابليسيا استقلاليا فلن نذوق من شراب الوصل، ولن ننال لذة المناجاة.، وما دمنا نرى لأحد في عالم الوجود العزّة والكبرياء والعظمة والجلال ونحن في حجاب أصنام التعينّات الخلقية، فلن يتجلى سلطان كبرياء الحق جلّ وعلا في قلوبنا.

فمن آداب التكبير أن لا يتوقف السالك عند صورته، ولا يكتفي باللفظ ولقلقة اللسان؛ بل ينبّه القلب في أول الامر بقوة البرهان ونور العلوم الالهية، إلى كبرياء الحق وأنّ العظمة والجلال مقصورة على الذات المقدسة جلّت عظمتها، وإلى فقر كافة سكان عالم الإمكان وقاطبة الموجودات الجسمانية والروحانية وذلّتها ومسكنتها. وبعد ذلك فبقوة الرياضة وكثرة المراودة والانس التام يحيي قلبه بهذه اللطيفة الالهية ويعطيه السعادة والحياة العقلية الروحانية. فإذا صار فقر الممكن وذلّته وعظمة الحق وكبرياؤه جلّت قدرته نصب عين السالك ووصل التفكر والذكر إلى حد النصاب، وحصل للقلب



الانس والسكينة، فيشاهد بعين البصيرة آثار جلال الحق وكبريائه في جميع الموجودات، وتعالج العلل والامراض القلبية؛ فيجد لذة المناجاة وحلاوة ذكر الله، ويصير القلب مقرا لسلطان كبرياء الحق جلّ جلاله وتظهر آثار الكبرياء في ظاهر المملكة وباطنها ويوافق القلب اللسان والسر العلن، فتكبّر جميع قوى الباطن والظاهر والملك والملكوت، ويرتفع أحد الحجب الغليظة، ويتقدم مرحلةً إلى حقيقة الصلاة التي هي معراج القرب.

وقد أشير إلى بعض ما ذكر في الحديث المنقول عن العلل عن الصادق سلام الله عليه في حديث طويل يصف فيه المعراج قال: **"أنزل الله العزيز الجبار عليه مَحمَلا من نور فيه أربعون نوعا من أنواع النور كانت محدقة حول العرش، عرشه تبارك وتعالى تغشي أبصار الناظرين، أما واحد منها فأصفر، فمن أجل ذلك اصفرّت الصفرة، وواحد منها أحمر، فمن أجل ذلك احمرّت الحمرة. إلى أن قال: فجلس فيه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فنفرت الملائكة إلى اطراف السماء ثم خرّت سجّدا فقال سبّوح قدّوس ربنا ورب الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا، فقال جبرائيل: الله أكبر الله اكبر فسكتت الملائكة وفتحت السماء واجتمعت الملائكة ثم جاءت وسلّمت على النبيّ صلى الله عليه وآله أفواجا"** الحديث.

وفي هذا الحديث أسرار عظيمة تقصر أيدي آمالنا عنها. وما يمكن ان يذكر منها خارج الآن عن مقصدنا، كسرّ تنزّل محمل من نور وسرّ كثرة الانوار، وسر كثرتها النوعية وسر عدد الاربعين، وسر تنزيل الله اياها وسر احاطتها بالعرش، وحقيقة العرش في هذا المقام وسر اصفرار الصفرة واحمرار الحمرة بواسطتها وسرّ نفور الملائكة وسجودهم وتسبيحهم وتقديسهم وتشبيههم ذلك النور بنور الرّبّ إلى غير ذلك مما يطول البيان في أطراف كل منها. وما يناسب المقام ويشهد على المطلب هو أن الملائكة



بواسطة تكبير جبرائيل سكتت واطمأنّت واجتمعت حول الوليّ المطلق. وفتحت السماء الاولى بواسطة التكبير وخرق أحد الحجب الذي كان في طريق العروج إلى الله. وليعلم أن هذه الحجب التي تخرق وترفع في الاذان غير الحجب التي في التكبيرات الافتتاحية، ولعله تأتي الاشارة إلى ذلك فيما بعد ان شاء الله.

ولعل السر في أن للاقامة تكبيرتين، ان السالك قد أقام قواه في المحضر وانتقل من الكثرة إلى الوحدة شيئا ما فيكبّر الذات والاسماء أو الاسماء والصفات؛ ولعل تكبير الصفات والافعال يكون منطويا في تكبير الذات والاسماء.

الفصل الثالث

في بعض آداب الشهادة بالالوهية وبيان ارتباطها بالأذان والصلاة

فاعلم أن للالوهية مقامات يعبّر عنها بحسب الجمع بمقامين:

الأول: مقام الالوهية الذاتية.

والثاني: مقام الالوهية الفعلية.

واذا كان المقصود من الشهادة بقصر الالوهية في الحق هو الالوهية الذاتية تكون حقيقتها متقاربة مع التكبير، إذا كانت مشتقة من اله في الشيء أي تحيّر فيه، أو مشتقة من لاه بمعنى ارتفع، أو مشتقة من لاه يلوه بمعنى احتجب. فيُعلم ربطه بالاذان والصلاة بالرجوع إلى باب التكبير وأدبه أيضا. وإعادته وان لم تكن خالية من بعض الفوائد ولكنها منافية للاختصار.

وإذا كان مأخوذا من ألِه بمعنى عبد، والمراد هو المألوه بمعنى المعبود،



فعلى السالك أن يجعل الشهادة الصورية بقصر المعبودية للحق تعالى جلّت عظمته منطبقة على الشهادة القلبية الباطنية، ويعلم أنه ان كان في القلب معبود سواه فهو منافق في هذه الشهادة.

فلا بد له ان يوصل الشهادة بالالوهية إلى القلب بكل رياضة، ويحطم الاصنام الصغيرة والكبيرة المنحوتة بتصرف الشيطان والنفس الامارة في كعبة القلب، ويسقطها حتى يصير لائقا لحضور حضرة القدس. وما دامت أصنام حب الدنيا والشؤون الدنيوية موجودة في كعبة القلب لا يجد السالك طريقا إلى المقصد. فالشهادة بالالوهية هي إعلان للقوى الملكية والملكوتية أن تجعل المعبودات الباطلة والمقاصد المعوجّة تحت أقدامها كي تتمكن من العروج إلى معراج القرب.

واذا كان المقصود من قصر الالوهية، الالوهية الفعلية التي هي عبارة أخرى عن التصرف والتدبيّر والتأثير، فيكون معنى الشهادة أني أشهد ان لا متصرف في دار التحقق ولا مؤثّر في الغيب والشهادة الا ذات الحق المقدسة جلّ وعلا. واذا كان في قلب السالك اعتماد على موجود من الموجودات واطمئنان لأحد من العباد فقلبه عليل وشهادته زور واختلاق.

فلا بد للسالك أن يُحكم أولا بالبرهان الحكمي حقيقة لا مؤثّر في الوجود الا الله ولا يفرّ من المعارف الالهية التي هي غاية بعثة الانبياء ولا يعرض عن تذكر الحق والشؤون الذاتية والصفاتية. فإن منبع جميع السعادات هو تذكر الحق: ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا.. وإذا وصل بقدم التفكر والبرهان إلى حقيقة هذه اللطيفة الالهية التي هي منبع المعارف الالهية وباب أبواب الحقائق الغيبيّة، عليه أن يؤنس القلب بها بالتذكر والرياضة حتى يؤمن بها. وهذا هو أول مرتبة لصدق مقالته، وعلامته الانقطاع إلى الحق وغضّ بصر الطمع والرجاء عن جميع الموجودات. ونتيجته التوحيد الفعلي الذي هو من أجلّ مقامات أهل



المعرفة. فاذا قصر السالك جميع التأثيرات على الحق وغمض عين الطمع عن جميع الموجودات سوى الذات المقدسة يكون لائقا للمحضر المقدس بل يكون قلبه متوجها إلى ذلك المحضر فطرةً وذاتا. ولعلّ تكرار الشهادة لأجل التمكين، ويكون المقصود من الشهادة احدى الشهادتين. ولعله لا يكون تكرارا وتكون احداهما اشارة إلى الالوهية الذاتية والاخرى اشارة إلى الالوهية الفعلية؛ ففي هذه الصورة يمكن أن تكون إعادتها في آخر الاقامة للتمكين، فلذا لم يذكر هناك بلفظ الشهادة.

تنبيه عرفاني:

اعلم أن للشهادة مراتب نكتفي ببعضها بحسب ما يناسب هذه الاوراق.

المرتبة الاولى: الشهادة القولية وهي معلومة. وهذه الشهادة القولية اذا لم تكن مشفوعة بالشهادة القلبية ولو ببعض مراتبها النازلة لا تكون شهادة بل تكون خدعة ونفاقا، كما ذكر في الحديث عن الصادق عليه السلام في باب التكبير.

المرتبة الثانية: الشهادة الفعلية. وهي أن يشهد الانسان بحسب الأعمال الجوارحية. فمثلاً يُدخل في طور أعماله وجريان أفعاله حقيقة لا مؤثر في الوجود الا الله. فكما أن لازم شهادته القولية ألاّ يعلم أحدا مؤثرا الا الله، تكون خطة أعماله أيضا كذلك؛ فلا يمدّ يد حاجته الا إلى المحضر المقدس للحق جلّ وعلا، ولا يفتح عين رجائه إلى موجود من الموجودات، ويظهر الغنى والاستغناء عن العباد الضعفاء، ويبتعد عندهم عن الضعف والذلة والعجز. وهذا المعنى وارد في كثير من الاحاديث الشريفة. كما في حديث الكافي الشريف: "**إن عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس**" وان من احدى المستحبات الشرعية اظهار النعمة والغنى، ومن المكروهات طلب الحوائج من الناس. وبالجملة، على الانسان أن يجري اللطيفة الالهية: لا مؤثر في الوجود الا الله في مملكة ظاهره.



المرتبة الثالثة: الشهادة القلبية. وهي منبع الشهادات الأفعالية والأقوالية. فما لم تكن هذه لن تتحق تلك. وهي أن يتجلى التوحيد الفعلي للحق في القلب، ويدرك القلب بسرّه الباطني حقيقة هذه اللطيفة وينقطع عن سائر الموجودات وينفصل عنها. وعمدة الاحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة في ترك الطمع في الناس واليأس من العباد والثقة والاعتماد على الله تبارك وتعالى راجعة إلى هذا المقام.

عن الكافي باسناده عن علي بن الحسين عليهما السلام قال:

"**رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس ومن لم يرج الناس في شيء وردّ أمره إلى الله تعالى في جميع أموره استجاب الله تعالى له في كل شيء**". والاحاديث من هذا القبيل كثيرة.

المرتبة الرابعة: الشهادة الذاتية، والمقصود منها الشهادة الوجودية، وهي تتحقق في الكمّل من الاولياء. وفي نظر الاولياء هذه الشهادة بأحد المعاني موجودة في جميع الموجودات. ولعل الآية الشريفة "**شهد الله ان لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم**" اشارة إلى الشهادة الذاتية؛ لأن الحق تعالى في مقام أحدية الجمع يشهد شهادة ذاتية بوحدانية نفسه، لأن صرف الوجود له أحدية ذاتية، وعند طلوع يوم القيامة يظهر بالوحدانية التامة. وتظهر هذه الأحدية أولا في مرآة الجمع، وبعده في مرآة التفصيل؛ ولهذا قال تعالى: "**والملائكة وأولو العلم**". وهنا مقامات من المعارف خارجة عن عهدة هذه الاوراق.

وصل:

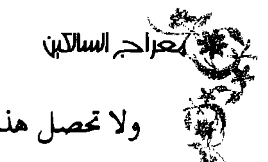
عن محمد بن مسعود العياشي في تفسيره عن عبد الصمد ابن بشير قال: ذكر عند أبي عبدالله بدء الاذان إلى أن قال: "**ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان نائما في ظلّ الكعبة فأتاه جبرائيل ومعه طاس فيه ماء من الجنة فأيقظه وأمره أن يغتسل به ثم وضع في محمل له ألف**

ألف لون من نور ثم صعد به حتى انتهى إلى أبواب السماء فلما رأته الملائكة نفرت عن أبواب السماء وقالت: إلهين إله في الارض وإله في السماء فأمر الله جبرائيل فقال الله أكبر الله أكبر فتراجعت الملائكة نحو أبواب السماء ففتحت الباب فدخل حتى انتهى إلى السماء الثانية فنفرت الملائكة عن ابواب السماء فقال: أشهد أن لا اله الا الله فتراجعت الملائكة وعلمت أنه مخلوق ثم فتح الباب فدخل" الحديث.

وقد ورد في حديث العلل ما يقرب من هذا المضمون.

ويعلم من هذه الاحاديث أن الشهادة بالالوهية موجبة لفتح أبواب السماء وخرق الحجاب، وباعثة لاجتماع ملائكة الله. وهذا الحجاب الذي يُخرَق بواسطة الشهادة بالالوهية وقصرها على الذات المقدسة، من الحجب الغليظة الظلمانية التي ما دام السالك فيها لن يكون له طريق إلى الحضور في المحضر، وما لم يفتح هذا الباب له فليس له طريق إلى السلوك، وهو حجاب الكثرة الافعالية، والوقوع في الاحتجاب التكثيري الذي نتيجته رؤية فاعلية الموجودات ومؤثريتها، وثمرة هذه الرؤية رؤية استقلالها في الفاعلية والتفويض المحال والشرك الاعظم؛ كما أن نتيجة الشهادة بالالوهية وحصرها في الحق تعالى هو التوحيد الافعالي وافناء الكثرات في فعل الحق ونفي التأثير والفاعلية عن الغير ونبذ الاستقلال عن غير الحق تعالى؛ ومن هذه الجهة خرج الملكوتيون من حجاب كثرة "إله في السماء واله في الارض" بواسطة هذه الشهادة، ورجعوا إلى الانس والاجتماع من بعد النفور والتفرقة، وفتحت أبواب السماء. فالسالك ايضا لابدّ له أن يخرق بهذه الشهادة الحجاب الظلماني لنفسه ويفتح أبواب السماء لنفسه، ويجتنب هذا الحجاب العظيم وهو الاستقلال، ليقترب من طريق العروج إلى معراج القرب.





ولا تحصل هذه الحقيقة بلقلقة اللسان والذكر القولي؛ ولهذا، لا تتجاوز عباداتنا حد الصورة والدنيا، ولا يفتح لنا الباب ولا يرفع لنا الحجاب.

الفصل الرابع

في بعض آداب الشهادة بالرسالة، وفيها إشارة إلى الشهادة بالولاية

إعلم أنه لا يمكن طيّ هذا السفر الروحاني والمعراج الايماني بهذه الرجل المكسورة والعنان المرخي والعين العمياء والقلب الذي هو بلا نور. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.. فمن المحتوم واللازم لسلوك هذا الطريق الروحاني وعروج هذا المعراج العرفاني التمسك بمقام روحانية هداة طرق المعرفة وأنوار سبل الهداية الذين هم الواصلون إلى الله والعاكفون على الله، ولو أراد أحد أن يطوي هذا الطريق بقدم أنانية نفسه من دون التمسك بولايتهم فسلوكه إلى الشيطان والهاوية.

وببيان علمي، كما أن ربط الحادث بالقديم، والمتغيّر بالثابت، محتاج إلى الواسطة والرابط الذي تكون له جهتا الثبات والتغيّر والقدم والحدوث، فإذا لم تكن الواسطة موجودة فلا يعبر في السنّة الالهية الفيضُ القديم الثابت إلى المتغيّر الحادث. ولا تحصل الرابطة الكونية الوجودية. والآراء العلمية لأهل العلوم البرهانية بالنسبة إلى الرابط بين هذين مختلفة، كما أن للذوق العرفاني اقتضاء آخر يخرج تفصيله عن عهدة هذه الاوراق، وفي الذوق العرفاني الرابط هو الفيض المقدس والوجود المنبسط الذي له مقام البرزخية الكبرى والوسطية العظمى، وهو بعينه مقام روحانية الرسول الخاتم وولايته المتحدة مع مقام الولاية العلوية المطلقة. وقد ذكرت تفصيل ذلك في رسالة



مصباح الهداية، كذلك في الرابطة الروحانية العروجية التي هي عكس الرابطة الكونية النزولية؛ وبعبارة اخرى قبض الوجود والرجوع إلى المبدأ يحتاج إلى الواسطة وبدونها لا تتحقق الرابطة، ولا يتحقق ارتباط القلوب الناقصة المقيدة والارواح النازلة المحدودة بالتام الذي هو فوق التمام والمطلق من جميع الجهات من دون الوسائط الروحانية والروابط الغيبية.

وإذا ظنّ أحد أن الحق تعالى قيّوم لكل موجود ومحيط بكل الاكوان من دون وساطة الوسائط كما أشير إلى ذلك في الآية الشريفة **﴿وما من دابّة الا هو آخذ بناصيتها﴾**، فقد اختلطت عنده المقامات واشتبهت عليه الاعتبارات، وخلط مقام كثرة مراتب الوجود بفناء التعينات. وليس لهذا البحث علاقة أساسية بهذه الرسالة، وهذا المقدار ايضا صار من طغيان القلم.

وبالجملة، التمسّك بأولياء النعم الذين اهتدوا إلى طريق العروج إلى المعارج وأتمّوا السير إلى الله من لوازم السير إلى الله؛ كما أشير كثيرا إلى ذلك في الاحاديث الشريفة، وقد عقد في الوسائل باباً في بطلان العبادة بدون ولاية الائمة والاعتقاد بإمامتهم.

وقد روي عن الكافي الشريف باسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت باقر العلوم عليه السلام يقول: "**واعلم يا محمد أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلّوا وأضلّوا فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد**".

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: "**أما لو أن رجلا قام ليلة وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه فتكون جميع أعماله بدلالته اليه ما كان له على الله حق في ثوابه وما كان من أهل الايمان**".



وروى الصدّوق (قدس سره) بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: "**ايّ البقاع أفضل؟ فقلت؟ ألله ورسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أنّ رجلا عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئا**".

والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن يسعها هذا المختصر.

وأما آداب الشهادة بالرسالة فهي ان يوصل الشهادة بالرسالة وعظمتها من الحق إلى القلب؛ وخصوصا الرسالة الختمية التي كانت دائرة الوجود بأسرها، من عوالم الغيب والشهود، تتنعّم تكوينا وتشريعا ووجودا وهداية من سقطات موائد نعمها؛ وان ذاك السيد الكريم هو الواسطة لفيض الحق والرابط بين الحق والخلق. ولولا مقام روحانيته وولايته المطلقة لم يكن لأحد من الموجودات لياقة الاستفادة من مقام الغيب الاحدي، ولما عبر فيض الحق إلى موجود من الموجودات، ولما أشرق نور الهداية في أي عالم من عوالم الظاهر والباطن. وذاك السيد لهو النور الذي ورد في آية ﴿**الله نور السماوات والارض**﴾. فإذا دخلت عظمة مشرّع الدين ورسول رب العالمين في قلب الانسان، يدخل فيه أهمية أحكامه وسننه وعظمتها؛ فإذا أدرك القلب عظمتها تخضع له سائر القوى الملكية والملكوتية وتنفذ الشريعة المقدسة في جميع المملكة الانسانية.

وعلامة صدق الشهادة أنه تظهر آثارها في جميع القوى الغيبيّة والظاهرة، ولا تتخلف عنها؛ كما أشير اليه في السابق.

وقد علم ممّا ذكر إلى الان ارتباط الشهادة بالرسالة بالاذان واقامة الصلاة؛ لأن السالك في هذا الطريق الروحاني محتاج إلى التمسك بذاك الوجود المقدّس، حتى يعرج بمصاحبته وتأييده في هذا العروج الروحاني.



والوجه الاخر، هو أن في هذه الشهادة اعلانا للقوى الملكية والملكوتية بأن الصلاة التي هي حقيقة معراج المؤمنين ومنبع معارف أصحاب العرفان وأهل الايقان هي نتيجة الكشف المحمدي التام صلى الله عليه وآله، وهو صلوات الله عليه وعلى آله بسلوكه الروحاني والجذبات الالهية والجذوات الرحمانية قد وصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، وتبعا للتجليات الذاتية والاسمائية والصفاتية والإلهامات الأنسيّة كشف حقيقة هذه الصلاة في الحضرة الاحدية الغيبية. وفي الحقيقة هي هدية لأمّته خير الامم جاء بها من هذا السفر المعنوي الروحاني ومنّ عليهم بها وأغرقهم في بحر النعمة. فإذا استقرّت هذه العقيدة في القلب وتمكن بالتكرار فيدرك السالك عظمة المقام وجلالة المحلّ البتة؛ ويطوي هذه المرحلة بقدمي الخوف والرجاء. والمرجو منه صلى الله عليه وآله أن يؤيده ان شاء الله ويقرّبه إلى مقام القرب الاحدي الذي هو المقصد الاصلي والمقصود الفطري، اذا قام السالك الأمر بقدر طاقته. وقد ثبت في العلوم الالهية ان معاد جميع الموجودات انما يتحقق بتوسط الانسان الكامل "**كما بدأكم تعودون**" بكم فتح الله وبكم يختم وإياب الخلق اليكم.

نكتة عرفانية

قد ورد في الحديث الشريف في العلل الذي يذكر تفصيل صلاة المعراج ويصفها "**ان رسول الله صلى الله عليه وآله عرج إلى السماء بعدما أنزل الله عليه محملا من نور ومعه جبرائيل..: ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فنفرت الملائكة إلى اطراف السماء وخرّت سجّدا وقالت سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح ما هذا النور الذي يشبه نور ربنا؟ فقال جبرائيل عليه السلام: أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، فاجتمعت الملائكة وفتحت أبواب السماء وقالت مرحبا بالاول ومرحبا بالاخر ومرحبا بالحاشر ومرحبا بالناشر محمد**

خاتم النبيّين وعلّي خير الوصيّين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سلّموا علي وسألوني عن أخي علي.. إلى أن قال: ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فلم تقل الملائكة شيئاً وسمعت دويّا كأنه في الصدور واجتمعت الملائكة ففتحت أبواب السماء.. فقال جبرائيل: حيّ على الصلاة حي على الصلاة إلى آخر الاقامة" الحديث.

وفي تفسير العياشي أيضا ما يقرب من هذا المضمون. فيعلم من هذا الحديث أن ملائكة جميع السموات لا تطيق مشاهدة الجمال الاحمدي، وتسجد لرؤية نوره المقدس وتتفرق وتتوهم أنه نور الحق المطلق. وترجع من خلال فصول الاذان والاقامة إلى الانس وتنفتح ابواب السماء وترتفع الحجب.

فللسالك ان يخرج بهذه الشهادة عن الاحتجاب، وفي الشهادة بالرسالة يخرج تماما عن احتجاب التعين الخلقي، لأن مقام الرسالة الذي ثبت لاشرف الخليقة هو الفناء المطلق و اللاإستقلالية التامة لان الرسالة الختميّة المطلقة هي الخلافة الالهية البرزخية الكبرى، وهذه الخلافة هي خلافة في الظهور والتجلّي والتكوين والتشريع ولا يكون للخليفة من عند نفسه أيّ استقلال وتعيّن، وإلا انقلبت الخلافة إلى الاصالة، وهذا لايمكن لأحد من الموجودات.

فعلى السالك إلى الله ان يوصل إلى باطن قلبه وروحه مقام الخلافة الاحمدية الكبرى، وبها يكشف الحجاب ويخرق الستور ويخرج بالكلّية عن حجب التعيّن الخلقي فتنفتح له أبواب السموات كلها، ويصل إلى مقصده بلا حجاب.

فرع فقهي وأصل عرفاني

قد ورد في بعض الروايات غير المعتبرة أن يقال بعد الشهادة بالرسالة في الاذان أشهد أن عليا ولي الله مرّتين. وفي بعض الروايات أشهد أن عليا أمير



المؤمنين حقا مرتّين وفي بعض آخر محمد وآل محمد خير البرية، وقد جعل الشيخ الصدوق (رحمه الله) هذه الروايات من موضوعات المفوّضة وكذّبها.

والمشهور بين العلماء رضوان الله عليهم عدم الاعتماد على هذه الروايات. وجعل بعض المحدثين هذه الشهادة جزءا مستحبا من جهة التسامح في أدلّة السنن، وهذا القول ليس ببعيد عن الصواب وان كان أداؤها بقصد القربة المطلقة أولى وأحوط لانه يستحب بعد الشهادة بالرسالة الشهادة بالولاية وإمارة المؤمنين كما ورد في حديث الاحتجاج عن قاسم بن معاوية قال: قلت لابي عبدالله: **"هؤلاء يروون حديثا في معراجهم أنه لما أسري برسول الله رأى على العرش مكتوبا لا إله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصدّيق، فقال: سبحان الله غيرّوا كل شيء حتى هذا؟ قلت نعم، قال: ان الله عزّ وجل لما خلق العرش كتب عليه: لا اله الا الله محمد رسول الله عليّ أمير المؤمنين ولما خلق الله عزّ وجل الماء كتب في مجراه: لا اله الا الله محمد رسول الله عليّ أمير المؤمنين، ثم تذكر الرواية كتابة هذه الكلمات على قوائم الكرسي واللوح وعلى جبهة اسرافيل وعلى جناحي جبرائيل وأكناف السموات وأطباق الارضين ورؤوس الجبال وعلى الشمس والقمر، ثم قال: فاذا قال أحدكم لا اله الا الله محمد رسول الله فليقل عليّ أمير المؤمنين"**.

وبالجملة هذا الذكر الشريف يستحب بعد الشهادة بالرسالة مطلقاً وفي فصول الاذان لا يبعد استحبابه بالخصوص وان كان الاحتياط يقتضي أن يؤتى به بقصد القربة المطلقة لا بقصد الخصوصية في الاذان لتكذيب العلماء الاعلام تلك الروايات.

وأما النكتة العرفانية في كتابة هذه الكلمات على جميع الموجودات من العرش الأعلى إلى منتهى الارضين فهي أن حقيقة الخلافة والولاية هي ظهور الالوهية وهي أصل الوجود وكماله. وكل موجود له حظ من الوجود



له حظ من حقيقة الالوهية وظهورها الذي هو حقيقة الخلافة والولاية. واللطيفة الالهية ثابتة على ناصية جميع الكائنات من عوالم الغيب إلى منتهى عالم الشهادة. وتلك اللطيفة الالهية هي حقيقة الوجود المنبسط والنفَس الرحماني و"الحق المخلوق به" الذي هو بعينه باطن الخلافة الختمية والولاية العلوية المطلقة، ومن هذه الجهة كان الشيخ العارف الشاه آبادي دام ظله يقول: ان الشهادة بالولاية منطوية في الشهادة بالرسالة لان الولاية هي باطن الرسالة.

ويقول الكاتب: ان الشهادتين منطويتان جميعا في الشهادة بالالوهية، وفي الشهادة بالرسالة أيضا الشهادتان الاخريان منطويتان، كما أن في الشهادة بالولاية الشهادتان الاخريان منطويتان والحمد لله أولا وآخرا.

الفصل الخامس

في بعض آداب الحيّعلات

واذا اعلن السالك إلى الله بالتكبيرات عظمة الحق تعالى عن التوصيف وبالشهادة بالالوهية قصر التوصيف والتحميد بل كل تأثير على الحق، وأسقط نفسه عن لياقة القيام بالامر، واختار الرفيق والمصاحب بالشهادة بالرسالة والولاية، وتمسك بمقام الخلافة والولاية المقدس، كما قيل الرفيق ثم الطريق، فعليه بعد ذلك أن يهيّئ القوى الملكية والملكوتية بصريح اللهجة للصلاة، ويعلن لها الحضور بقوله حيّ على الصلاة، وتكراره للتنبيه الكامل والايقاظ التام؛ أو أن أحدهما لقوى المملكة الداخلية، والآخر لقوى المملكة الخارجية، لانهما ايضا سلاّك هذا السفر مع الانسان، كما أشير إلى ذلك فيما مرّ وفيما سيأتي.



وأدب السالك في هذا المقام هو أن يفهم قلبه وقواه وباطن قلبه قرب الحضور حتى يتهيّأ له ويراقب آدابه الصورية والمعنوية بمنتهى الدقة. ثم يعلن سرّ الصلاة ونتيجتها بالإجمال بقوله حيّ على الفلاح وحيّ على خير العمل كي يوقظ الفطرة لأن الفلاح والنجاح هي السعادة المطلقة، وفطرة جميع البشر عاشقة للسعادة المطلقة، لان الفطرة طالبة للكمال وتطلب الراحة؛ وحقيقة السعادة هي الكمال المطلق والراحة المطلقة. وهي تحصل في الصلاة التي هي خير الاعمال قلبا وقالبا وظهورا وبطونا. لأن الصلاة بحسب الظاهر هي الذكر الكبير والجامع والثناء بالاسم الاعظم المستجمع لجميع الشؤون الالهية؛ ولهذا كان الاذان والاقامة مفتتحين بالله ومختتمين به. ويكرّر الله أكبر في جميع حالات الصلاة وانتقالاتها، والتوحيدات الثلاثة التي هي قرّة عين الاولياء تحصل في الصلاة؛ وقد امتزجت فيها صورة الفناء المطلق والرجوع التام. وبحسب الباطن والحقيقة هي معراج قرب الحق وحقيقة الوصول إلى جمال الجميل المطلق والفناء في ذاته المقدسة التي تعشقها الفطرة، وتحصل بها الطمأنينة التامة والراحة المطلقة والسعادة العقلية التامة ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

فالكمال المطلق إذاً وهو الوصول إلى فِناء الله والاتصال بالبحر الوجوبي غير المتناهي وشهود جمال الازل والاستغراق في بحر النور المطلق يحصل في الصلاة. وفيها ايضا تحصل الراحة المطلقة والاستراحة التامة والطمأنينة التامة ويحصل فيها ركنا السعادة. فالصلاة هي الفلاح المطلق، وهي خير الاعمال. وعلى السالك أن يفهّم القلب هذه اللطيفة الالهية بالتكرار والتذكر التام، ويوقظ بها الفطرة. فاذا وردت هذه اللطيفة في القلب، فالفطرة من حيث إنها طالبة للكمال والسعادة تهتمّ بها وتحافظ عليها وتراقبها. وفي تكرارهما ايضا النكتة التي ذكرناها.

فإذا وصل السالك إلى ذلك المقام يعلن الحضور، فقد قامت الصلاة.



فلابد أن يرى نفسه في حضورِ مالك الملوك في العوالم الوجودية وسلطان السلاطين والعظيم المطلق، ويفهّم قلبه خطر الحضور الذي يرجع كله إلى القصور والتقصير الامكاني، ويرد المحضر بغاية الخجل من عدم القيام بالامر، وبقدمي الخوف والرجاء ويفد على الكريم ولا يرى لنفسه زادا وراحلة، ويرى قلبه فارغا من السلامة، ولا يحسب عمله من الحسنات ولا يعدّه شيئا يذكر. فاذا استحكمت هذه الحال في القلب فالمرجو أن يقع موردا للعناية، أمّن يجيب المضطّر اذا دعاه ويكشف السوء.

وصل وتتميم:

محمد بن يعقوب باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: "**اذا أذنت وأقمت صلّى خلفك صفان من الملائكة واذا أقمت صلّى خلفك صف من الملائكة**" والاحاديث بهذا المضمون كثيرة. وفي بعض الاخبار: "**ان حدّ الصف ما بين المشرق والمغرب**".

وفي ثواب الاعمال قال أبو عبدالله عليه السلام: "**من صلّى بأذان وإقامة، صلّى خلفه صفان من الملائكة ومن صلّى باقامة من غير أذان صلّى خلفه صف واحد من الملائكة، قلت له: وكم مقدار كل صف؟ فقال أقلّه ما بين المشرق والمغرب وأكثره ما بين السماء والارض**". وفي بعض الروايات: "**وان أقام بغير أذان صلّى عن يمينه واحد وعن شماله واحد**" إلى غير ذلك من الاخبار.

ولعل اختلاف الاخبار بسبب اختلاف المصلين في المعارف والخلوص كما يستفاد من بعض روايات الباب، مثل الرواية التي وردت في الصلاة مع الاذان والاقامة في ارض قفراء.

وبالجملة، إذا رأى السالك نفسه إماما لملائكة الله وقلبه إماما لقواه الملكية والملكوتية وجمع بالاذان والاقامة قواه الملكية والملكوتية واجتمعت عليه ملائكة الله، فعليه أن يجعل القلب وهو أفضل قوى الظاهر والباطن



وشفيع سائر القوى إماما، وحيث إن القلب ضامن لقراءة المأمومين ووزرهم على عهدته فلا بدّ له أن يحافظ عليه محافظة تامة ويراقبه مراقبة جميلة لكي يحفظ الحضرة والحضور، ويقوم بأدب المقام المقدّس، ويغتنم هذا الاجتماع المقدس ويعظّم توجّه ملائكة الله وتأييدهم ايّاه ويعرفه من النعم لوليّ النعمة الحقيقي ويقدّم عجزه وقصوره عن شكر هذه النعم العظيمة إلى مقامه المقدس. انه وليّ النعم.



الباب الثاني

في القيام

وفيه فصلان

الفصل الأول

في السر الاجمالي للقيام

اعلم أن أهل المعرفة يرون القيام إشارة إلى التوحيد الافعالي، كما أن الركوع عندهم إشارة إلى التوحيد الصفاتي والسجود إلى التوحيد الذاتي، ويأتي بيانهما في محلّهما. وأما الكلام بأن القيام إشارة إلى التوحيد الفعلي فهو أن في نفس القيام إشارة إلى هذا وضعا، وفي القراءة إشارة إليه لفظا.

اما أن القيام فيه إشارة إليه وضعا، فهو أن القيام إشارة إلى قيام العبد بالحق ومقام قيّوميّة الحق وهو التجلّي بالفيض المقدّس والتجلي الفعلي.



وتظهر في هذا المقام فاعلية الحق وتستهلك جميع الموجودات في التجلي الفعلي وتضمحل تحت كبريائه الظهوري. والأدب العرفاني للسالك في هذا المقام أن يتذكر بقلبه هذه اللطيفة الالهية ويترك التعينات النفسية ما استطاع، ويذكّر القلب بحقيقة الفيض المقدس، ويوصل إلى باطن القلب نسبة قيّومية الحق وتقوّم الخلق بالحق. فاذا تمكنت هذه الحقيقة في قلب السالك، تقع قراءته بلسان الحق ويكون الذاكر والمذكور ذات الحق، وينكشف بعض أسرار القدر لقلب العارف ومعنى **"انت كما أثنيت على نفسك"** و**"أعوذ بك منك"** ببعض مراتبه، ويجد قلب العارف بعض أسرار الصلاة، كما أن في النظر إلى محل السجود وهو التراب والنشأة الاصلية وخضوع الرقبة وتنكيس الرأس الذي هو لازم للخضوع اشارة إلى الذلّ والفقر الامكاني والفناء تحت عزّ الكبرياء وسلطانه: **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد**.

وأمّا انّ في القراءة اشارة إلى مقام التوحيد الفعلي لفظاً، فسيأتي تفصيله في تفسير سورة الحمد المباركة ان شاء الله.

الفصل الثاني

في آداب القيام

وهي أن يرى السالك نفسه حاضرا في محضر الحق ويعدّ العالم محضر الربوبية ويحسب نفسه من حضّار المجلس مقيماً بين يدي الله، ويوصل إلى قلبه عظمة الحاضر والمحضر، ويفهّم القلبَ أهمية مناجاة الحق تعالى وخطرها، ويهيّئ قلبه قبل الورود في الصلاة بالتفكر والتدبّر، ويفهمه عظمة المطلب، ويلزمه بالخضوع والخشوع والطمأنينة والخشية والخوف والرجاء والذل والمسكنة إلى آخر الصلاة. ويشارط القلب أن يراقب هذه الامور



ويحافظ عليها ويتفكر ويتدبر في أحوال أعاظم الدين وهداة السبل كيف كانت حالاتهم في الصلاة وكيف كانوا يتعاملون مع مالك الملوك؛ ويتخذ من أحوال أئمة الهدى أسوة لنفسه ويتأسى بهؤلاء الاعاظم ولا يكتفي من تاريخ حياة أعاظم الدين وأئمته بتاريخ ولاداتهم ووفياتهم ومقدار أعمارهم الشريفة وأمثال هذه الامور التي لا تترتب عليها فائدة جليلة؛ بل يكون عمدة سيره في سيرهم وسلوكهم الايماني والعرفاني، كيف كانت معاملاتهم في العبودية وكيف كان مشيهم في السير إلى الله وما هو مبلغ مقاماتهم العرفانية التي تستفاد من كلماتهم الاعجازية.

فيا أسفا علينا نحن أهل الغفلة وسكر الطبيعة والمغرورون بلا مبرر، خلفاء الشيطان الخبيث في جميع الامور، ولا نستيقظ أبدا من النوم الثقيل ولا نخرج من النسيان الدائم؛ وان استفادتنا من مقامات أئمة الهدى ومعارفهم قليلة إلى الدرجة التي لا تعد شيئا؛ ها قد اكتفينا من تاريخ حياتهم بالقشر والصورة وصرفنا النظر كلياً عما هو غاية لبعثة الانبياء عليهم السلام. وفي الحقيقة ينطبق علينا المثل المعروف (استسمن ذا ورم). ونحن نذكر في هذا المقام بعض الروايات الواردة في هذا الباب فلعله يحصل التذكر لبعض الاخوان المؤمنين والحمد لله وله الشكر.

عن محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **"كان علي بن الحسين عليهما السلام اذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه فاذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا"**.

وباسناده عنه عليه السلام قال: **"كان أبي يقول كان علي بن الحسين اذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء الا ما حركت الريح منه"**.

وعن محمد بن علي بن الحسين في العلل باسناده عن ابان بن تغلب قال: **"قلت لابي عبدالسلام عليه السلام اني رأيت علياً بن الحسين اذا**



قام إلى الصلاة غشي لونه لون آخر، فقال لي والله ان علياً بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه".

وعن السيد علي بن طاووس في فلاح السائل في حديث فقال أبو عبدالله عليه السلام: "لاتتم الصلاة الا لذي طهر سابغ وتمام بالغ غير نازغ ولا زائغ عرف فوقف وأخبت فثبت فهو واقف بين اليأس والطمع والصبر والجزع كأنّ الوعد له صنع والوعيد به وقع يذل عرضه ويمثل عرضه وبذل في الله المهجة وتنكب اليه المهجة غير مرتغم بارتغام يقطع علائق الاهتمام بعين من له قصد واليه رفد ومنه استرفد فاذا أتى بذلك كانت هي الصلاة التي بها أمر وعنها أخبر وانها هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر". الحديث.

وعن محمد بن يعقوب باسناده إلى مولانا زين العابدين عليه السلام انه قال: "وأمّا حقوق الصلاة فإن تعلم أنه وفادة إلى الله وانك فيها قائم بين يدي الله فاذا علمت ذلك كنت خليقا أن تقوم فيها مقام العبد الذليل الراغب الراهب الخائف الراجي المسكين المتضرع المعظم مقام من يقوم بين يديه بالسكينة والوقار وخشوع الاطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب اليه في فكاك رقبته التي أحاطت بها خطيئته واستهلكتها ذنوبه، ولا قوة الا بالله".

وعن النبي صلى الله عليه وآله: "اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك".

وعن فقه الرضا عليه السلام: "فاذا أردت أن تقوم إلى الصلاة فلا تقم اليها متكاسلا ولا متناعسا ولا مستعجلا ولا متلاهيا ولكن تأتيها على السكون والوقار والتؤدة وعليك الخشوع والخضوع، متواضعا لله عزّ وجلّ متخاشعا عليك الخشية وسيماء الخوف راجيا خائفا بالطمأنينة على الوجل والحذر فقف بين يديه كالعبد الآبق المذنب بين يدي مولاه





فصف قدميك وانصب نفسك ولا تلتفت يمينا وشمالا وتحسب كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك" الحديث.

وفي عدة الداعي روى "ان ابراهيم عليه السلام كان يسمع تأوّهه على حدّ ميل حتى مدحه الله بقوله: إنّ ابراهيم لحليم أوّاه منيب وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل وكذلك يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله" إلى غير ذلك من الاخبار.

والاخبار الشريفة في هذه الموضوعات أكثر من أن يسعها هذا المختصر، وفي التفكر فيما ذكر منها كفاية لاهل التذكر والتفكر، سواء فيما يتعلق بالآداب الصورية أو الاداب القلبية والمعنوية وكيفية القيام بين يدي الله.

وتفكر في حالات علي بن الحسين ومناجاته مع الحق تعالى وأدعيته اللطيفة التي تعلّم عباد الله آداب العبودية. لا أقول أن مناجاتهم عليهم السلام كانت لتعليم العباد، فإن هذا الكلام الأجوف الباطل يصدر من الجهل بمقام الربوبية ومعارف أهل البيت؛ فإن خوفهم وخشيتهم كانت أكثر من جميع الناس، وقد تجلت عظمة الحق وجلاله في قلوبهم أكثر من الكل، ولكني أقول: لابد أن يتعلم عباد الله منهم كيفية العبودية والسلوك إلى الله تعالى. فإذا قرأوا أدعيتهم ومناجاتهم فلا تكون القراءة لقلقة لسان، بل يتفكروا في كيفية تعاملهم مع الحق وإظهارهم التذلل والعجز والحاجة للذات المقدسة.

ولعمر الحبيب أن علي بن الحسين من أعظم النعم التي منّ بها ذات الحق المقدس على عباده، وأنزله من عالم القرب والقدس لاجل تفهيم عباده طرق العبودية، ولتسألنّ يومئذ عن النعيم.. واذا سئلنا لماذا لم نقدّر هذه النعمة ولم نستفد من هذا الرجل العظيم؟ فلا نحير جوابا إلا أن ننكس رؤوسنا ونحترق بنار الندامة والاسف، ولا ينفع حينذاك الندم.



في الموعظة الحسنة

أيها العزيز، الآن فرصتك والعمر العزيز الذي هو رأسمالك بيدك، وطريق السلوك إلى الله مفتوح وأبواب رحمة الحق مفتوحة والسلامة متحققة وقوة الاعضاء والقوى، ودار زرع عالم الملك قائمة، فاجمع همّتك واعرف قدر هذه النعم الالهية واستفد منها وحصّل الكمالات الروحانية والسعادات الازلية والابدية وخذ نصيبا من هذه المعارف الكثيرة التي بسطها القرآن الشريف السماوي وأهل بيت العصمة عليهم السلام على بسيطة أرض الطبيعة المظلمة ونوّروا العالم بالانوار الالهية الساطعة، ونوّر أرض طبيعتك المظلمة بالنور الالهي ونوّر بنور الحق تعالى بصرك وسمعك ولسانك وسائر القوى الظاهرة والباطنة وبدّل هذه الارض الظلمانية إلى أرض نورانية بل إلى سماء عقلانية: **يوم تبدّل الارض غير الارض، وأشرقت الأرض بنور ربها**. ففي ذلك اليوم ان لم تتبدل أرضك غير الارض ولم تتنور بنور الرب فلك ظلمات ومشقات وأنواع من الوحشة والظلمة والذلة والعذاب.

فاليوم إن قوانا الظاهرة والباطنة مظلمة بالظلمات الشيطانية، وأنا أخشى إذا بقينا على هذه الحال فبالتدريج تتبدل الارض الهيولانية التي فيها نور الفطرة أرضا سجّينيّة مظلمة خالية من نور الفطرة ومحجوبة عن جميع أحكام فطرة الله. وتلك شقاوة ليس بعدها سعادة وظلمة لا يعقبها نور ووحشة لا ترى وجه الاطمئنان وعذاب ليس وراءه راحة. فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.. أعوذ بالله من غرور الشيطان والنفس الامّارة بالسوء.

إن عمدة مقصد وهدف الانبياء العظام وتشريع الشرائع وتأسيس الاحكام ونزول الكتب السماوية وخصوصا القرآن الجامع الشريف الذي صاحبه ومكاشفه نور الرسول الخاتم المطهّر صلى الله عليه وآله هي نشر التوحيد والمعارف الالهية وقطع جذور الكفر والشرك والثانوية. وسر



التوحيد والتجريد سار وجار في جميع العبادات القلبية والقالبية؛ بل إن العبادات كما كان الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي روحي فداه يقول، هي اجراء التوحيد من باطن القلب إلى ملك البدن.

وبالجملة: النتيجة المطلوبة من العبادات هي تحصيل المعارف وتمكين التوحيد وسائر المعارف في القلب، وهذا المقصد لا يحصل إلا بأن يستوفي السالك الحظوظ القلبية للعبادات ويعبر من الصورة والقالب إلى الحقيقة واللبّ ولا يتوقف في الدنيا والقشر. فإن الوقوف عند هذه الامور أشواك طريق سلوك الانسانية. والذين يدعون إلى الصورة فقط وينهون الناس عن الآداب الباطنية ويقولون أنّه لا مَعنى للشريعة ولا حقيقة لها سوى هذه الصورة والقشر هم شياطين الطريق إلى الله وأشواك سبيل الانسانية ولا بد أن يستعاذ من شرّهم بالله، فإنهم يطفئون نور فطرة الله في الانسان وهو نور المعرفة والتوحيد والولاية وسائر المعارف ويسدلون عليه حجب التقليد والجهالة والعادات والاوهام ويمنعون عباد الله عن العكوف بجنابه والوصول إلى جماله الجميل ويسدّون طريق المعارف ويوجهون إلى الدنيا وزخارفها وجهاتها المادية والجسمانية وعوارضها القلوب الصافية الطاهرة لعباد الله التي أُودع الحق تعالى في خميرتها بذر المعرفة بيدي جماله وجلاله، وأرسل الانبياء العظام وأنزل الكتب السماوية لتربية ذاك البذر وتنميته، ويصرفون تلك القلوب عن الروحانيات والسعادات العقلية ويحصرون العوالم الغيبية والجنات الموعودة في المأكولات الحيوانية والمشروبات والمنكوحات وسائر المشتهيات الحيوانية.

هؤلاء يظنون ان الحق تعالى قد بسط كل هذه الرحمة وأنزل كتبها وأنزل ملائكته وبعث الانبياء العظام لادارة البطن والفرج وغاية معارفهم أنك اذا حفظت بطنك وفرجك في الدنيا تصل إلى شهواتها في الاخرة، فهؤلاء لا يهتمون بالتوحيد والنبوّات بمقدار ما يهمّهم الجماع الذي يطول لمدة خمسمئة عام !! ويحسبون جميع المعارف مقدمة لعمارة البطن والفرج،



واذا أراد حكيم الهي أو عارف ربّاني أن يفتح على عباد الله بابا من الرحمة ويقرأ لهم صفحة من الحكمة الالهية لا يمتنعون عن إلصاق أيّة تهمة وغيبة أو سبّ وتكفير به. فقد انغمسوا في الدنيا الى حد واهتموا بشهوات بطونهم وفروجهم إلى حيث لا يرغبون معه ـ من حيث لا يشعرون ـ أن تكون في دار التحقق سعادة سوى الشهوات الحيوانية؛ مع أنه لو كانت في العالم سعادة عقلية فلن تضر بطنهم وفرجهم.

فأمثالنا ممّن لم يتجاوزوا حد الحيوانية ليس لهم غير الجنّة الجسمانية وتدبير البطن والفرج، وهي أيضا نأملها بتفضّل الله سبحانه، ولكن لا ينبغي أن نظنّ أن السعادة منحصرة فيها وأن جنة الحق تعالى محصورة بهذه الجنة الحيوانية، بل للحق تعالى عوالم لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرت على قلب أحد، وان أهل المحبة الالهية ومعرفة الله سبحانه لا يعتنون بشيء من تلك الجنّات ولا يتوجّهون إلى عالم الغيب والشهادة فإنّ لهم جنة اللقاء.

ولو أردنا أن نذكر الآيات القرآنية والاحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة في هذا الباب لكان مخالفا لوضع هذه الرسالة. وهذا المقدار ايضا كان من طغيان القلم. وهدفنا الأساسي هو توجيه قلوب عباد الله لما خلقوا له وهو معرفة الله سبحانه التي هي فوق جميع السعادات، وكل شيء مقدمة لها. وليس مقصودنا من الذين هم أشواك سلوك الطريق علماء الاسلام العظام وفقهاء المذهب الجعفري الكرام عليهم رضوان الله بل بعض الجهلة والمنتحلين للعلم فانهم من جهة القصور والجهل لا التقصير والعناد صاروا قطاع طريق عباد الله، وأعوذ بالله من شر طغيان القلم والنيّة الفاسدة والهدف الباطل. والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.



الباب الثالث

في سر النية وآدابها

وفيها خمسة فصول

الفصل الاول

في حقيقة النية في العبادات

اعلم ان النية عبارة عن التصميم والعزم على إتيان شيء وإجماع النفس على إتيانه بعد تصوّره والتصديق بفائدته والحكم بلزوم إتيانه. وهو حالة نفسانية ووجدانية تنبعث بعد هذه الامور ونعبّر عنها بالهمة والعزم والارادة والقصد، وهي موجودة في جميع الافعال الاختيارية ولا يمكن تخلّف فعل إختياري عنها، وهذا الامر موجود في تمام العمل حقيقة من دون شائبة مجاز. ولا يلزم أن تكون حاصلة في الذهن أثناء العمل أو في



بدايته تفصيلا أو أن يتصوّر الفاعل هذا القصد والتصميم بالتفصيل، بل ربما يحدث ان يأتي الانسان بالعمل بذلك التصميم والعزم وهو ذاهل وغافل بالكلية عن الصورة التفصيلية للعمل وعن التصميم. ولكن تلك الحقيقة موجودة، ويوجد العمل في الخارج بتحريكها كما هو واضح وجدانا في الافعال الاختيارية.

وبالجملة، هذا التصميم والعزم الذي هو عبارة عن النيّة في لسان الفقهاء رضوان الله عليهم موجود في كل عمل بلا تخلّف بحيث لو أراد أحد أن يوجد العمل الاختياري بدونه فهو غير ممكن. ومع ذلك فإن وسوسة الشيطان الخبيث ودعابة الواهمة تسيطران على العقل وتعميان هذا الامر الضروري على الانسان المسكين، وعوضاً عن أن يصرف عمره الثمين لتحسين عمله وتخليصه وتنقيته من المفاسد الباطنية وقضائه في معارف التوحيد ومعرفة الحق وطلبه، يوسوس له ابليس الخبيث، ويقضي نصف عمره في أمر ضروري وشيء واجب الحصول.

ان للشيطان حبائل ومكائد كثيرة؛ فيحمل البعض على ترك العمل من الأساس، والآخر على الرياء والعجب وسائر المفاسد اذا يئس من أنه سيترك أصل العمل. واذا لم ينجح في هذا الامر يبطل عمله من خلال التظاهر بالقداسة حينما يوهن عبادات جميع الناس في نظره ويصف له الناس بعدم المبالاة (بالدين) ثم يلزمه أن يصرف كل عمره في النيّة، مثلا، التي هي أمر ملازم للعمل أو في التكبيرة أو في القراءة التي هي كلها من الامور العادية ولا تحتاج إلى مؤونة، وفي النهاية لا يرضى عن الانسان الا بعد أن يبطل عمله باحدى الطرق المذكورة.

ان للوسواس شؤونا كثيرة وطرقا لا تحصى لا نستطيع الآن أن نبحث فيها كلها ونستقصي جميع شؤونها، ولكن الوسوسة في النية لعلها الأكثر أضحوكة والأعجب، لانه اذا أراد أحد ما أن يقوم بكلّ قواه وفي جميع



عمره بأداء أمر واحد اختياري بدون نيّة لن يتمكن أبداً. ومع ذلك ترى مسكيناً مريض النفس وضعيف العقل يعطّل نفسه في كلّ صلاة مدّة مديدة لكي تحقق صلاته النية والعزم! فمثل هذا الشخص كمن يتفكر مدة مديدة لكي يحصل على النية للذهاب إلى السوق أو تناول الغداء. فالصلاة التي ينبغي أن تكون لهذا المسكين معراج قربه ومفتاح سعادته وبالتأدّب بآدابها القلبية والاطّلاع على أسرار هذه اللطيفة الالهية يكمل ذاته ويدرك نشأة حياته، فهو يغفل عن كل هذه الأمور بل لا يراها ضرورية، لا بل يعدها كلها باطلة، وينفق رأسماله العزيز في خدمة الشيطان وإطاعة الوسواس الخنّاس ويجعل عقله الذي هو هبة الله ونور هدايته تحت سيطرة ابليس.

فعن عبدالله بن سنان قال: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام رجلا مبتلى بالوضوء والصلاة وقلت: هو رجل عاقل فقال أبو عبدالله (ع) **وأيّ عقل له وهو يطيع الشيطان.** فقلت له وكيف يطيع الشيطان؟ **فقال سله هذا الذي يأتيه من أيّ شيء هو فإنه يقول لك: من عمل الشيطان.**

وبالجملة لا بد للانسان أن يقتلع هذا الجذر بكل ما تيسّر له من الرياضة والكلفة، فإنه يمنع الانسان عن جميع السعادات والخيرات، فمن الممكن أن تكون عبادات الانسان لمدة أربعين سنة غير صحيحة حتى بحسب الصورة وتكون فاقدة لاجزائها الصورية الفقهية فضلا عن الآداب الباطنية والشرعية. ومما يضحك الثكلى أن بعض هؤلاء الاشخاص المبتلين بالوسواس يعدّون أعمال جميع الناس باطلة ويحسبونهم غير مبالين بدينهم. مع أن هذا الوسواسي نفسه ان كان مقلّدا فمرجع تقليده هو أحد هؤلاء الناس؛ وان كان من أهل الفضل (العلم) فليرجع إلى الاخبار ليرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام ايضا كانوا في هذه الامور كمتعارف الناس. فهذه الطائفة الوسواسية هي التي تعمل من



بين جميع الناس على خلاف رسول الله والائمة المعصومين عليهم السلام وفقهاء المذهب وعلماء الدين، وتعدّ أعمال الناس جميعا كلا شيء، وأن عملها هي فقط موافق للاحتياط وأنها تبالي بالدين.

فمثلا في باب الوضوء، تتواتر الاخبار التي بينت وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله. وعلى الظاهر فإنه صلى الله عليه وآله يصبّ غرفة من الماء على وجهه وغرفة على يمينه وغرفة على شماله، وقد قام إجماع فقهاء الامامية على التحقيق بأن هذا الوضوء صحيح وظاهر كتاب الله ايضا كذلك. وقد استشكل البعض في الغسل الثاني بل الغَرفة الثانية. ولكن الغرفةَ الثانية بل الغسل الثانيَ أيضا لا بأس به وان كانَ في استحبابه كلام. ولكن الغسل الثالث بدعة ومبطل للوضوء بلا اشكال روايةً وفتوى.

فالآن انظر إلى عمل الوسواسي المسكين فهو لا يكتفي بعشرين غرفة تسبغ كل غرفة منها تمام اليد وتُعد غسلة تامة، فوضوؤه حينئذ باطل بلا اشكال. فهذا الشقيّ الضعيف العقل يرى هذا العمل الذي أتى به طاعة للشيطان ووسوسته، صحيحا وموافقا للاحتياط ويرى أعمال سائر الناس باطلة. فمن هنا يُعلم وجه صدق الحديث الشريف الذي عدّه بلا عقل. ويُعلم أن من يرى العمل الذي يخالف عمل رسول الله صحيحا والعمل الذي يكون موافقا لعمله صلى الله عليه وآله باطلا، فهو إمّا خارج عن الدين أو بلا عقل. وحيث إن هذا المسكين ليس بخارج عن الدين، فهو سفيه لا عقل له ومطيع للشيطان ومخالف للرحمن.

وليس لهذه المصيبة والداء العضال علاج سوى التفكر في الامور التي ذكرناها ومقارنة عمله بعمل المتدينين والعلماء والفقهاء رضوان الله عليهم. فإن رأى نفسه مخالفا لهم فليرغم أنف الشيطان ولا يعتني بذاك الخبيث. فإذا وسوس له الشيطان بأن عملك باطل، يجيبه اذا كان عمل جميع فقهاء الامة باطلا، فليكن عملي ايضا باطلا. فمن المرجو أنه اذا

خالف الشيطان مدّة واستعاذ في ضمن هذا عاجزا محتاجا بالحق تعالى من شرّه، أن يزول هذا المرض وتنقطع عين طمع الشيطان عنه. كما أنه في الروايات قد ذكرت هذه الطريقة لدفع كثرة الشك الذي هو ايضا من القاءات الشيطان. ففي الكافي الشريف باسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: "**اذا كثر عليك السهو فامض على صلاتك فانه يوشك أن يدعك انما هو من الشيطان**".

وفي رواية أخرى عن الباقر أو الصادق عليهما السلام قال: "**لا تعوّدوا الخبيث من أنفسكم نقض الصلاة فتطمعوه فإن الشيطان خبيث معتاد لما عوّد فليمض أحدكم في الوهم ولا يكثرنّ نقض الصلاة فإنه إذا فعل ذلك مرّات لم يعد اليه الشكّ**". قال زرارة: ثم قال: "**انما يريد الخبيث أن يطاع فاذا عصي لم يعد إلى أحدكم**".. وهذه من العلاجات المهمّة في جميع الامور التي تكون من القاءات الشيطان ومن دعابات الواهمة الشيطانية، وفي الاحاديث الشريفة أدعية مناسبة أيضا، فمن أرادها فليراجع الوسائل ومستدركها في أواخر كتاب الخلل.

الفصل الثاني
في الاخلاص

من مهمات آداب النية وهو في نفس الوقت من مهمات جميع العبادات ومن المقررات الكلية الشاملة الاخلاص وحقيقته تصفية العمل من شائبة سوى الله وتصفية السرّ عن رؤية غير الحق تعالى في جميع الاعمال الصورية واللبّية والظاهرية والباطنية. وكمال الاخلاص ترك الغير مطلقا وجعل الإنّيّة والأنانية والغير والغيرية تحت القدمين، قال تعالى: ﴿**ألا لله الدين الخالص**﴾. أي أن الله تعالى قد اختار لنفسه الدين الخالص فإذا كان لشيء



من الحظوظ النفسانية والشيطانية دخل في الدين فلا يكون خالصا. وما ليس بخالص فإن الله لم يختره. وما كانت فيه شائبة الغيرية والنفسانية فهو خارج عن حدود دين الحق. قال تعالى: ﴿ **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾.. وقال تعالى: ﴿ **من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الأخرة من نصيب** ﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله على ما نقل: "**لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر اليه**". وقال تعالى: ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾. ويمكن أن تكون هذه الأية المباركة متكفلة لجميع مراتب الاخلاص: أحدهما الهجرة الصورية التي تقع بالبدن. وهذه الهجرة اذا لم تكن خالصة لله ورسوله بل كانت للحظوظ النفسانية، فليست هجرة إلى الله ورسوله وهذه هي مرتبة الاخلاص الصوري الفقهي.

والثانية الهجرة المعنوية والسفر الباطني الذي مبدؤه البيت المظلم للنفس وغايته الله تعالى ورسوله الذي يرجع إلى الحق ايضا؛ لأن الرسول بما هو رسول ليس له استقلال بل هو آية ومرآة وممثل. فالهجرة اليه هجرة إلى الحق (حب خاصة الله هو حب الله)

فحاصل معنى الأية الشريفة بحسب هذا الاحتمال هو أنه من هاجر بالهجرة المعنوية وسافر بالسفر القلبي العرفاني وخرج من بيت النفس ومنزل الانانية وهاجر إلى الله من دون رؤية نفسه ونفسانيته وحيثيّته فجزاؤه على الحق تعالى. واذا كان السالك في سلوكه إلى الله طالبا لحظ من الحظوظ النفسانية ولو كان الوصول إلى المقامات بل ولو كان الوصول إلى قرب الحق بمعنى وصول نفسه إلى الحق، فليس هذا السلوك سلوكا إلى الحق بل السالك لم يخرج بعد من البيت، بل هو مسافر في جوف



البيت من ركن إلى ركن ومن زاوية إلى زاوية. فالسفر اذا كان في مراتب النفس وللوصول إلى الكمالات النفسانية فليس بسفر إلى الله، بل هو سفر من النفس إلى النفس. ولكن لا بد للسالك من هذا السفر في سفره إلى الله، ولا يقدر أحد أن يسافر السفر الرباني من دون السفر النفساني غير الكمّل من أولياء الله وهذا الشأن للكمّل فقط؛ ولعل الآية الشريفة: ﴿ **سلام هي حتى مطلع الفجر** ﴾، تشير إلى هذه السلامة من التصرفات الشيطانية والنفسانية في جميع مراتب السير، في الليالي المظلمة الطبيعية التي هي ليلة القدر للكمّل حتى طلوع فجر يوم القيامة الذي هو للكمّل رؤية جمال الاحدية، وأما غيرهم فليسوا سالمين في جميع مراتب السير. بل في أوائل الامر لا يخرج أي سالك من التصرفات الشيطانية.

فقد علم أن هذه المرتبة من الاخلاص ـ أي السلامة من أول مراتب السير إلى الله إلى آخرها وهي حصول الموت الحقيقي بل إلى ما بعد الحياة الثانوية الحقانية وهي الصحو بعد المحو ـ لا تتيسر لأهل السلوك والمتعارفين من أصحاب المعرفة والرياضة. وعلامة هذا النحو من الخلوص هي أنه لا سبيل لغواية الشيطان إليهم وطمع الشيطان مقطوع عنهم تماما؛ كما قال تعالى في الآية الشريفة ناقلا عن ذاك الخبيث: "فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين". وقد نسب الاخلاص ههنا إلى عين العبد لا إلى فعله وهذا مقام فوق الاخلاص في العمل. ولعل المراد من الحديث النبوي المعروف من أخلص لله أربعين صباحا جرت ينابيع الحكمة من قلبه إلى لسانه، هو الاخلاص بجميع مراتبه أي الاخلاص العملي والصفتي والذاتي ولعله يكون ظاهرا في الاخلاص الذاتي وتكون بقية مراتب الاخلاص من لوازمه.

وشرح هذا الحديث الشريف وبيان المقصود من ينابيع الحكمة وكيفية جريانها من القلب إلى اللسان ومدخلية الخلوص في هذا الجريان وخصوصية



الاربعين صباحا خارج عن نطاق البيان في هذه الرسالة، ويحتاج إلى رسالة مستقلة. والرسالة المعروفة بتحفة الملوك في السير والسلوك المنسوبة إلى العارف بالله المرحوم بحر العلوم فعمدة نظره شرح هذا الحديث الشريف وهي رسالة لطيفة وان كانت لا تخلو من المناقشات، ولذا لا يراها البعض من هذا السيد الجليل وليس ببعيد.

الفصل الثالث

في بيان بعض مراتب الاخلاص بطريق الاجمال على نحو يناسب وضع هذه الاوراق

فاحدى مراتبه: تصفية العمل، قلبيا كان أم قالبيا، من شائبة رضا المخلوق وجذب قلوب المخلوقين سواء كان للمحمدة أو المنفعة أو لغيرها، وفي مقابل هذه المرتبة اداء العمل رياءً وهذا هو الرياء الفقهي وهو أحطّ وأدنى مراتب الرياء وصاحبه أرذل المرائين وأخسّهم.

المرتبة الثانية: تصفية العمل عن تحصيل المقاصد الدنيوية والمآرب الزائلة الفانية. وان كان الداعي أن الله تعالى يعطيها بواسطة هذا العمل؛ كإتيان صلاة الليل لتوسعة الرزق وإتيان صلاة أول الشهر للسلامة من الأفات في ذلك الشهر وإعطاء الصدقات للعافية وسائر المقاصد الدنيوية. وقد عدّ بعض الفقهاء عليهم الرحمة هذه المرتبة من الاخلاص شرطا لصحة العبادة، فيما إذا كان اتيان العمل للوصول إلى ذلك المقصود. وهذا الرأي خلاف التحقيق حسب القواعد الفقهية وان كانت هذه الصلاة عند أهل المعرفة لا قيمة لها أصلا وهي كسائر المكاسب المشروعة بل لعلها تكون أقل منها أيضا.



المرتبة الثالثة: تصفيته عن الوصول إلى الجنّات الجسمانية والحور والقصور وأمثالها من اللذات الجسمانية، وفي مقابلها عبادة الأجراء كما في الروايات الشريفة، وهذا أيضا في نظر أهل الله كسائر المكاسب؛ الا أن أجرة عمل هذا الكاسب أكثر وأعلى اذا قام بالامر وخلّصه من المفسدات الصورية.

المرتبة الرابعة: أن يصفّي العمل من خوف العقاب والعذاب الجسماني الموعود. وفي مقابلها عبادة العبيد كما في الروايات. وهذه العبادة أيضا في نظر أصحاب القلوب لا قيمة لها وخارجه عن نطاق العبودية لله. ولا فرق في نظر أهل المعرفة أن يعمل الانسان عملا من خوف الحدود والتعزيرات في الدنيا أو خوف العقاب والعذاب الأخروي، أو للوصول إلى نساء الدنيا أو الحصول على نساء الجنة.. فالعمل فيها كلها ليس لله، والداعي لهذا الأمر يُخرج العمل عن البطلان الصوري طبقا للقواعد الفقهية؛ ولكن ليس لهذا المتاع قيمة في سوق أهل المعرفة. المرتبة الخامسة: تصفية العمل من الوصول إلى السعادات العقلية واللذّات الروحانية الدائمة الازلية الابدية والانسلاك في سلك الكروبيين والانخراط في زمرة العقول القادسة والملائكة المقربين. وفي مقابلها العمل لهذا المقصد. وهذه الدرجة وإن كانت درجة عظيمة وهدفا عاليا ومهمّا، والحكماء والمحققون يهتمون بهذه المرتبة من السعادة اهتماما كبيرا ويرون لها قيمة ولكن في مسلك أهل الله هذه المرتبة ايضا هي من نقصان السلوك وسالكها أيضا يعدّ كاسبا ومن الاجراء، وان كان يختلف عن غيره في المتجر والمكسب.

المرتبة السادسة: هي في ازاء هذه المرتبة، وهي تصفية العمل من خوف عدم الوصول إلى هذه اللذات والحرمان من هذه السعادات، وفي مقابلها العمل لهذه المرتبة من الخوف، وهذه أيضا وان كانت مرتبة عالية وخارجة عن حدّ اشتهاء أمثال هذا الكاتب، ولكنها أيضا في نظر أهل الله عبادة العبيد. وهي عبادة عليلة.



المرتبة السابعة: تصفية العمل من الوصول إلى لذات جمال الله والوصول إلى بهجات أنوار السبحات غير المتناهية وهي جنة اللقاء. وهذه المرتبة، أي جنة اللقاء، هي من أهم مقاصد أهل المعرفة وأصحاب القلوب وأيدي آمال النوع عنها قاصرة، والاوحدي من أهل المعرفة يتشرّف بشرف هذه السعادة، وأهل الحب والجذبة من كمّل أهل الله واصفياء الله. ولكن ليست هذه المرتبة هي كمال مرتبة الكمّل من أهل الله بل هي من مقاماتهم العادية وما في الادعية كالمناجاة الشعبانية من أن أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين استدعوا هذه المرتبة من الله أو أشاروا بكونهم متحققين بها فليس من جهة أن مقاماتهم منحصرة بهذه المرتبة.

كما أن المرتبة الثامنة في ازاء هذه المرتبة وهي عبارة عن تصفية العمل من خوف الفراق ايضا ليست من كمال مقامات الكمّل وما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: كيف أصبر على فراقك..فمن مقاماته العادية ومقامات أمثاله كذلك.

وبالجملة، ان تصفية العمل من هاتين المرتبتين أيضا لازمة عند أهل الله، والعمل معها عليل وليست خارجة عن الحظوظ النفسانية، وهذا كمال الخلوص.

وبعدها مراتب اخرى خارجة عن حدود الخلوص وداخلة تحت ميزان التوحيد والتجريد والولاية، لا يناسب المقام بيانها.



الفصل الرابع

في تحذير منكري المقامات وطوائفهم

اذا علمت من مراتب الاخلاص ومقامات العبادات شيئا، فتهيّأ لتحصيلها؛ فإن العلم بلا عمل لا قيمة له والحجّة على العالم أتمّ ومحاسبته أكثر. وللأسف، نحن محرومون تماما من المعارف الالهية والمقامات المعنوية لاهل الله والدرجات العليا لاصحاب القلوب؛ فطائفة منا تنكر المقامات كلّها وترى أهلها على الخطأ والباطل والبطالة. وتحسب من يذكرهم بشيء أو يدعو إلى مقاماتهم شاعرا ودعوته شطحا. ولا يرجى لهذه الطائفة أن تلتفت إلى نقصها وعيبها أو تستيقظ من نومها الثقيل انك لا تهدي من أحببت، وما أنت بمسمع من في القبور..

نعم ان الذين هم كالكاتب المسكين ليس عندهم خبر عن شيء وليست قلوبهم حية بحياة المعرفة والمحبة الالهية هم أموات، غلاف أبدانهم هي قبورهم البالية، وقد حجبهم غبار هذا الجسم ومضيقة البدن المظلم عن جميع عوالم النور ونور على نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.. هذه الطائفة كل ما يقرأ عليهم من الحديث والقرآن في المحبة والعشق الالهي وحبّ اللقاء والانقطاع إلى الحق يقومون بتأويله وتوجيهه ويفسّرونه طبق آرائهم؛ فيوجّهون كل آيات اللقاء وحب الله بلقاء أشجار الجنة ونسائها الجميلة، ولا أدري ماذا يفعل هؤلاء بفقرات المناجاة الشعبانية حيث يقول:

"الهي هب لي كمال الانقطاع اليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة



وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك، الهي واجعلني ممّن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك".

فما هذه الحجب النورانية؟ وهل المراد من النظر إلى الحق النظر إلى إجاص الجنة؟ وهل معدن العظمة هو قصور الجنة؟ وهل تعلّق الارواح بعزّ القدس هو التعلق بذيل حور العين لقضاء الشهوة؟.. هل هذا الصعق والمحو من الجلال هو المحو في جمال نساء الجنة؟. وتلك الجذبات والاغشية التي حصلت لرسول الله صلى الله عليه وآله في صلاة المعراج ومشاهدته لأنوار العظمة وما فوقها في محفلٍ ما كان أعظم ملائكة الله الامين جبرائيل محرما لسرّه ولم يتجرّأ على التقدّم فيه قيد أنملة، هل كانت مشاهدة جذبة احدى النساء الحسان في الجنة؟. أو انه صلى الله عليه وآله كان يرى أنوارا كنور الشمس والقمر أو أشدّ منهما؟ والقلب السليم الذي ذكره المعصوم عليه السلام في ذيل قوله تعالى إلا من أتى الله بقلب سليم: **والسليم قلب لقي الله وليس فيه سواه**، هل المقصود فيه من غير الحق هو غير كرامة الحق أي ألا يكون فيه غير أجاص الجنة ومشمشها؟

فلأحثُ التراب على رأسي لإن عنان القلم قد خرج من يدي واشتغلَ بالشطحات. ولكن لعمر الحبيب ليس لي غاية من هذا الكلام الا أن ينتبه الاخوة الايمانيون وخصوصا أهل العلم فلا ينكروا على الاقل مقامات أهل الله لإن هذا الانكار منشأ جميع الشقاوات، وليس مقصودنا ان نبين من هم أهل الله بل مقصودنا ألاّ ننكر المقامات وأما من هو صاحب هذه المقامات؟ فالله يعلم، وهذا أمر لا يطّلع عليه أحد (من كان عنده خبر فليس عنه خبر.)

وطائفة أخرى هم الذين لا ينكرون مقامات أهل المعرفة ولا يعاندون اهل الله ولكن الاشتغال بالدنيا وتحصيلها والاخلاد إلى لذاتها الفانية منعهم من الكسب العملي والعلمي والذوقي والحالي، فمثَلهم كمرضى يعرفون مرضهم ولكن بطونهم لا تدعهم يقدمون على الحمية وشرب الدواء



المرّ؛ كما أن الطائفة الاولى كمرضى لا يصدّقون وجود المرض الكذائي والمريض الكذائي. ومع أنهم مبتلون بالمرض ينكرون أصل المرض.

وطائفة أخرى هم الذين اشتغلوا بالكسب العلمي واشتغلوا بتحصيل المعارف علما ولكنهم اكتفوا من حقائق المعارف ومقامات أهل الله بالاصطلاحات والالفاظ والعبارات المزركشة، فقيدوا أنفسهم وجمعا من المساكين في سلسلة الالفاظ والاصطلاحات واقتنعوا من جميع المقامات بالمقالات، ويوجد ضمن هؤلاء زمرة يعرفون أنفسهم ولكنهم للترؤس على عدة مساكين جعلوا هذه الاصطلاحات الفارغة وسيلة لكسب المعيشة وأقبلوا على اصطياد القلوب الصافية لعباد الله بالالفاظ الخادعة والاقوال المنمقة. هؤلاء شياطين من الانس وليس ضررهم بعباد الله بأقل من إبليس، هؤلاء المساكين لا يدرون أن قلوب عباد الله منازل الحق تعالى ولا يحق لاحد التصرف فيها، فهم غاصبو منزل الحق ومخرّبو الكعبة الحقيقية، ينحتون أصناما ويضعونها في قلوب عباد الله التي هي الكعبة بل هي البيت المعمور؛ هؤلاء مرضى وقد أظهروا أنفسهم في زيّ الطبيب، ويبتلون عباد الله بالامراض العديدة المهلكة. وعلامة هذه الطائفة أنهم يعتنون بارشاد الاغنياء والاكابر أكثر من ارشاد الفقراء والمساكين، فأكثر مريديهم من أرباب الجاه و المال وهم بأنفسهم ايضا في زيّ الاغنياء وأرباب الجاه والمال، ولهؤلاء القوم كلمات خدّاعة، يطهرون أنفسهم عند مريديهم مع أنهم في نفس الوقت متلوّثون بآلاف القذارات الدنيوية ويرون أنفسهم في أعينهم من أهل الله. وأولئك المساكين البلهاء (أي المريدين) ايضا يغضّون أبصارهم عن جميع عيوبهم المحسوسة ويفرحون بالاصطلاحات والالفاظ الفارغة.

وحيث انجر الكلام إلى هنا ينبغي أن نذكر حديثا أو حديثين حول هذا الموضوع وان كان خارجا عن كلامنا ولكن التبرّك بكلام أهل البيت حسن جميل.



عن كتاب الخصال للشيخ الصدوق (رحمه الله) باسناده إلى ابي عبدالله عليه السلام قال: "ان من العلماء من يحبُّ ان يجمع علمه ولا يحب أن يؤخذ عنه فذاك في الدرك الاول من النار، وفي العلماء من اذا وُعِظ أنف واذا وعض عنف فذاك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين وضعا فذاك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين وضعا فذاك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين فإن ردّ عليه وقصر في شيء من أمره غضب فذاك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه فذاك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: سلوني ولعله لا يصيب حرفا واحدا والله لا يحب المتكلّفين فذاك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يتخذ العلم مروّة وعقلا فذاك في الدرك السابع من النار".

وعن الكليني (رحمه الله) في جامعه الكافي باسناده إلى الباقر عليه السلام "من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوّأ مقعده من النار، الرئاسة لا تصلح الا لأهلها".

وعن الصادق عليه السلام: "اذا رأيتم العالم محبّا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محبّ بشيء يحوط ما أحبّ". وقال: "أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين ان أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم".

والذين هم في هذه الطائفة ليسوا بمخادعين بل سلّاك طريق الآخرة



وهم في صدد تحصيل المعارف والمقامات، قد يحدث أن الشيطان القاطع للطريق غرّهم فاغترّوا وحسبوا ان المعارف والمقامات في الحقيقة عبارة عن الاصطلاحات العلمية التي صنعوها او استفادوها من صناعة غيرهم، فهم أيضا قد أنفقوا نقد شبابهم وأيام حياتهم إلى آخر عمرهم في تكثير الاصطلاحات وضبط الكتب والصحف، كطائفة من علماء تفسير القرآن الذين يرون ان الاستفادة من القرآن منحصرة في ضبط اختلافات القراءات ومعاني المفردات وتصاريف الكلمات والمحسنات اللفظية والمعنوية ووجوه اعجاز القرآن والمعاني العرفية واختلاف افهام الناس فيها وجمعها، ويغفلون بالكلية عن دعوات القرآن وجهاته الروحية ومعارفه الالهية، فهؤلاء ايضا كمريض رجع إلى الطبيب وأخذ وصفة دوائه ورأى علاج نفسه في ضبط النسخة وحفظها وكيفية تركيباتها؛ فهؤلاء يقتلهم المرض ولا ينتج لهم العلم بالوصفة والرجوع إلى الطبيب نتيجة اصلا.

ايها العزيز ان جميع العلوم عملية حتى علم التوحيد فله ايضا أعمال قلبية وقالبية؛ ان التوحيد هو من باب التفعيل وهو عبارة عن اعادة الكثرة إلى الوحدة وهو من الاعمال الروحية والقلبية. فما دمت واقعا في الكثرات الافعالية ولم تعرف السبب الحقيقي ولم تنل بصيرة مشاهدة الحق، ولم تر الحق في الطبيعة، والجهات والكثرات الطبيعية وغير الطبيعية فانية في الحق وأفعاله، ولم ترفرف على قلبك راية سلطان وحدة فاعلية الحق، فأنت بعيد عن الخلوص والاخلاص والصفاء والتصفية بالكامل، ومطرود من التوحيد. فالرياءات الافعالية بأجمعها وأكثر الرياءات القلبية من نقصان التوحيد الافعالي. فمن يرى المخلوق الضعيف المسكين المستكين مؤثراً في دار التحقق ويعده متصرفا في مملكة الحق كيف يستطيع أن يرى نفسه غنيّا عن شدّ قلوب المخلوقين ويخلص عمله ويصفّيه من شرك الشيطان؟

فلا بدّ من أن تصفّى العين والمنبع حتى ينبع منها ماء صافٍ، والا فلا



تتوقع أن ينبع الماء الصافي من العين الموحلة. فأنت اذا علمت أن قلوب عباد الله تحت تصرف الحق وأذقت ذائقة القلب معنى يا مقلّب القلوب.. وأسمعت سامعته ذلك فلا تكن مع ما فيك من الضعف والمسكنة مهتما بصيد القلوب.. واذا أفهمت القلب حقيقة بيده ملكوت كل شيء، وله الملك وبيده الملك لاستغنيت عن جذب القلوب، ولما رأيت نفسك محتاجا إلى القلوب الضعيفة لهذه المخلوقات الضعيفة ويحصل لك الغنى القلبي. إنّك لمّا أحسست في نفسك الحاجة ورأيت الناس حلا لعقدتك فاحتجت إلى جلب القلوب، ولمّا ظننت نفسك متصرفا في القلوب باظهار القداسة فاحتجت إلى الرياء ولو كنت ترى الحق حلال العقد ونفسك غير متصرفة في الكون لما احتجت إلى هذه الانواع من الشرك.

أيها المشرك المدّعي للتوحيد، وأيها الابليس المتلبس بصورة ابن آدم لقد ورثت هذا من الشيطان اللعين الذي يرى نفسه متصرفا ويهتف لأغوينّهم. فذلك المنحوس الشقّي واقع في حجب الشرك ورؤية النفس، والذين يرون العالم وأنفسهم مستقلة لا مستظلّة ومتصرفة لا مملوكة فإنهم ورثوا الشيطنة من ابليس.

فاستيقظ من النوم الثقيل وأوصل إلى قلبك الآيات الشريفة للكتاب الالهي والصحيفة النورانية الربوبية. فإن هذه الآيات العظيمة قد أنزلت لايقاظي وايقاظك؛ ونحن حصرنا جميع حظوظنا منه في تجويده وصورته، وغفلنا عن معارفه حتى سيطر الشيطان علينا ووقعنا تحت سلطته.

فأنا أختم الكلام على العجالة في هذا المقام وأتركه لمحل آخر. وفي آداب القراءة أشير إلى نبذة من هذا المطلب ان شاء الله وأفتح طريق الاستفادة من القرآن لنفسي ولعباد الله بإذن الله وحسن توفيقه والسلام..





الفصل الخامس

في ذكر بعض درجات الإخلاص

فحيث وصل الكلام إلى هنا لا بدّ أن أذكر بعض الدرجات الأخرى للاخلاص بما يناسب المقام.

فمن درجات الاخلاص تصفية العمل من رؤية استحقاق الثواب والأجر؛ وفي المقابل شوبه بطلب الأجر ورؤية استحقاق الاجرة والثواب. وهذا لا يخلو من درجة من الاعجاب بالعمل لابدّ للسالك من تخليص نفسه منه. وهذه الرؤية من نقصان معرفة حاله وحق الخالق تعالى شأنه؛ وهذا أيضا من الشجرة الشيطانية الخبيثة التي ترجع إلى رؤية النفس وفعلها والانيّة والأنانية. فالانسان المسكين ما دام في حجاب رؤية أعمال نفسه ويراها من نفسه ويرى نفسه متصرفا في الامر فلن ينجو من هذا المرض ولا يحقق هذه التصفية والتخليص. فالسالك لابد له أن يجهد ويفهم القلب بالرياضات القلبية والسلوك العقلي والعرفاني، ان جميع الاعمال من الهبات الالهية والنعم التي أجراها الحق تعالى على يد العبد، فإذا استقر التوحيد الفعلي في قلب السالك، فلن يرى العمل من نفسه ولا يطلب الثواب بل يرى الثواب تفضّلا والنعم ابتداء.

وقد ذكرت هذه اللطيفة الالهية كثيرا في كلمات الائمة والاطهار عليهم السلام و خصوصا الصحيفة السجادية، هذه الصحيفة النورانية التي نزلت من سماء عرفان العارف بالله والعقل النوراني لسيد الساجدين لخلاص عباد الله من سجن الطبيعة وتفهيمهم أدب العبودية والقيام بخدمة الربوبية. فقد



ذكرت هذه اللطيفة الإلهية كثيرا، كما في الدعاء الثاني والثلاثين يقول عليه السلام: "**لك الحمد على ابتدائك بالنعم الجسام وإلهامك الشكر على الاحسان**". وفي موضع آخر يقول: "**نعمك ابتداء واحسانك التفضّل**". وفي مصباح الشريعة يقول: "**وأدنى حدّ الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا فيوجب به على ربه مكافأة لعمله**".

والدرجة الاخرى للاخلاص تصفية العمل من الاستكثار والفرح به والاعتماد والتعلق به. وهذا أيضا من مهمات سلوك السالك، لأن الاستكثار يصد السالك عن قافلة السالكين إلى الله ويحبسه في سجن الطبيعة، وهو أيضا ينبت من الشجرة الخبيثة الشيطانية وينشأ من حب النفس الذي هو ارث الشيطان الذي قال: "**خلقتني من نار وخلقته من طين**"؛ وهو من جهل الانسان بمقامه ومقام معبوده جلّت عظمته.

اذا كان المسكين الممكن يعرف مقام نقصه وعجزه وضعفه ومسكنته ويعرف مقام عظمة الحق ومجده وكماله فلا يرى عمله عظيما أبدا ولا يحسب نفسه قائما بالامر؛ فالمسكين يتوقع من ركعتين لصلاة ـ لا تساوي سنة منها في سوق أهل الدنيا أكثر من ثمانين دينارا، هذا إذا كانت صحيحة ومجزية ـ توقعات غير متناهية! وهذا هو الفرح والاستكثار في العمل الذي هو مبدأ لكثير من المفاسد الاخلاقية والفعلية، يطول ذكرها، وقد أشاروا عليهم السلام في الاحاديث إلى هذا المطلب، كما في الكافي الشريف باسناده إلى موسى بن جعفر سلام الله عليهما أنه قال لبعض ولده: "**يا بني عليك بالجدّ ولا تخرجنّ نفسك من حد التقصير في عبادة الله عزّ وجلّ**". وقال عليه السلام في حديث آخر: "**كل عمل تريد به الله عزّ وجلّ فكن مقصّرا عند نفسك فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون الا من عصمه الله عزّ وجلّ**".

وعنه عليه السلام: "**لا تستكثروا كثير الخير**". وفي الصحيفة الكاملة



في وصف ملائكة الله يقول عليه السلام: **"الذين يقولون اذا نظروا إلى جهنم تزفر إلى أهل معصيتك سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك"**.

فيا أيها الضعيف، ففي الوقت الذي يعترف فيه رسول الله بالعجز والتقصير ويقول: **﴿ ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك ﴾** وهو أعرف خلق الله، وعمله أنور من أعمال جميع الناس وأعظم من جميعها وكذا الائمة المعصومون يظهرون ذاك النحو من القصور والتقصير في المحضر المقدس؛ فماذا يتأتى من بعوضة هزيلة. نعم ان مقام معرفتهم بعجز الممكن وعزّة الواجب وعظمته تعالى شأنه كانت تقتضي تلك الاظهارات والاعترافات. وأما نحن المساكين فمن الجهل والحجب المتنوعة التي أمسكت برقابنا قمنا نتكبّر ونعجب بأنفسنا ونتظاهر بأعمالنا، فيا سبحان الله ما أصدق كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: **"عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله"**. أليس من فقدان العقل ان الشيطان يعمّي علينا أمرا ضروريا ولا نقوم بوزنه في ميزان العقل. انّا نعلم بالضرورة ان أعمالنا وأعمال جميع البشرالعاديين بل أعمال جميع ملائكة الله والروحانيين في ميزان أعمال رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى سلام الله عليهم ليس لها قدر محسوس، ولا تعد شيئا، وفي نفس الوقت الاعتراف بالتقصير واظهار العجز عن القيام بالامر من أولئك الاعاظم متواتر بل فوق حد التواتر، وهاتان القضيتان الضروريتان تنتجان لنا ألا نفرح بشيء من أعمالنا؛ بل علينا اذا قمنا بالعبادة والطاعة طول عمر الدنيا أن نكون خجلين وننكس رؤوسنا في محضره. ومع هذه الحال فقد تمكن الشيطان في قلوبنا وسيطر على عقولنا وحواسنا بحيث لا نخرج بنتيجة من هذه المقدمات الضرورية بل تكون أحوال قلوبنا على العكس.

ان مولى كانت ضربة واحدة منه يوم الخندق أفضل من جميع عبادات الجن والانس، بتصديق رسول الله، يظهر في عبادته ورياضاته ـ التي كان



علي بن الحسين وهو أعبد خلق الله يُظهر العجز أن يكون مثله ـ العجز والتذلّل والاعتراف بالقصور والتقصير أكثر منا. ورسول الله الذي كان علي المرتضى وجميع ما سوى الله عبيدا لجنابه ومتنعمين من سقطات موائد نعمته في معارفه ومتعلمين بتعليمه، بعدما خلع بخلعة النبوّة الختمية، الذي كان نهاية مسير دائرة الكمال واللبنة الاخيرة للمعرفة والتوحيد يقوم بالامر عشر سنوات في جبل حراء على قدميه ويقوم بالطاعة حتى تتورّم قدماه الشريفتان وأنزل الله تعالى عليه ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾، أيها الطاهر الهادي ما أنزلنا عليك القرآن لتقع في المشقة فانك طاهر وهاد وان كان الناس لا يطيعونك فهو من نقصهم وشقاوتهم لا من نقصان سلوكك أو هدايتك، ومع ذلك يعلن صلوات الله عليه عجزه وقصوره.

ان السيد ابن طاووس (قدس سره) ينقل حديثا عن علي بن الحسين عليه السلام ونحن نُبارك هذه الرسالة به وان كان الحديث طويلا، ولكن بما إنه ذكر بعض حالات المولى، تتعطّر شامة الارواح به وتلتذ ذائقة القلوب منه.

عنه (قدس سره) في فتح الابواب باسناده عن الزهري قال:

"دخلت مع علّي بن الحسين عليهما السلام على عبدالملك بن مروان قال: فاستعظم عبدالملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليهما السلام فقال: يا أبا محمد لقد بيّن عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله قريب النسب وكيد السبب وانك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤت أحد مثلك ولا قبلك الا من مضى من سلفك. وأقبل يثني عليه ويطريه، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم يا أمير المؤمنين، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى ترم



قدماه ويضمأ في الصيام حتى يعصب فوه فقيل له يا رسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول صلى الله عليه وآله: أفلا أكون عبدا شكورا الحمد لله على ما أولى وأبلى وله الحمد في الآخرة والاولى والله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سرّ ولا علانية ولولا أن لأهلي عليّ حقّا ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقا لا يسعني الا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ثم لم أرددهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين.. وبكى عليه السلام وبكى عبد الملك" الخبر..

ونحن أغمضنا عن ترجمة الحديث الشريف كما صرفنا النظر عن بعض مراتب الاخلاص التي لا تناسب المقام ووضع الرسالة، لئلا يوجب طول الكلام وملالة الخاطر.



الباب الرابع

في ذكر نبذة من آداب القرءة وقطعة من أسرارها
وفيه تفسير سورة الحمد المباركة ونبذة من تفسير سورة
التوحيد وسورة القدر المباركتين
وهو من أعز أبواب هذه الرسالة
وفيه عدة مصابيح





المصباح الأول

في مطلق آداب قراءة القرآن الشريف

وفيه عدة فصول

الفصل الأول

في آداب القراءة

أحد الآداب المهمة لقراءة الكتاب الالهي الذي يشترك فيه العارف والعامّي وتحصل منه النتائج الحسنة ويوجب نورانية القلب وحياة الباطن: التعظيم؛ وهو موقوف على فهم عظمته وجلاله وكبريائه، وهذا المعنى وان كان بحسب الحقيقة خارجا عن نطاق البيان وفوق طاقة البشر، لأن فهم عظمة كل شيء بفهم حقيقته وحقيقة القرآن الإلهي الشريف قبل تنزله إلى المنازل الخلقية وتلبسه بالاطوار الفعلية هي من الشؤون الذاتية والحقائق



العلمية للحضرة الواحدية، وهو حقيقة الكلام النفسي الذي هو مقارعة ذاتية في الحضرة الاسمائية، وهذه الحقيقة لا تحصل لاحد لا بالعلوم الرسمية ولا بالمعارف القلبية ولا بالمكاشفة الغيبية الا بالمكاشفة الالهية التامة لذات النبي الخاتم المباركة صلى الله عليه وآله في محفل أنس قاب قوسين بل في خلوة سرّ مقام أو أدنى، وأيدي آمال العائلة البشرية قاصرة عنها الا الخلّص من أولياء الله الذين اشتركوا في روحانية تلك الذات المقدسة بحسب الانوار المعنوية والحقائق الالهية وفنوا بواسطة التبعية التامة، فيه فإنهم يتلقون علوم المكاشفة بالوراثة منه صلى الله عليه وآله، وتنعكس حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس النورانية والكمال التي تجلّت لقلبه المبارك من دون التنزّل إلى المنازل والتطور بالاطوار. وهذا القرآن لا تحريف فيه ولا تغيير، ومن كتاب الوحي الالهي. والذي يقدر على تحمّل هذا القرآن هو النفس الشريفة لولي الله المطلق علي بن أبي طالب عليه السلام وأما سائر الخلق فلا قدرة لهم على أخذ هذه الحقيقة الا مع تنزّلها من مقام الغيب إلى موطن الشهادة والتطور بالاطوار الملكية والاكتساء بكسوة الالفاظ والحروف الدنياوية. وهذا أحد معاني التحريف الذي وقع في كل الكتاب الالهي والقرآن الشريف وجميع الأيات الشريفة قد جعلت في متناول يد البشرية مع التحريف بل التحريفات الكثيرة على حسب المنازل والمراحل التي طواها من حضرة الاسماء إلى أخيرة عوالم الشهادة والملك، وعدد مراتب التحريف مطابق لعدد مراتب بطون القرآن مطابقة النعل بالنعل، الا أن التحريف عبارة عن التنزّل من الغيب المطلق إلى الشهادة المطلقة بحسب مراتب العوالم، والبطون عبارة عن الرجوع من الشهادة المطلقة إلى الغيب المطلق، فمبدأ التحريف ومبدأ البطون متعاكسان والسالك إلى الله اذا وصل إلى أي مرتبة من مراتب البطون يكون قد تخلص من مرتبة من مراتب التحريف إلى أن يصل إلى البطون المطلق وهي البطن السابع بحسب المراتب الكلية فيتخلص من التحريف المطلق. فعلى



هذا يمكن أن يكون القرآن الشريف محرّفا لشخص بجميع أنواع التحريف ولشخص آخر ببعض مراتبه ولا يكون لشخص محرّفا أصلا ويمكن أن يكون محرّفا لشخص في حال وله غير محرف في حال آخر ويكون محرّفا ببعض أنواع التحريف في حال ثالث.

وكما علمت إن فهم عظمة القرآن خارج عن طاقة الادراك ولكن الاشارة الاجمالية إلى عظمة هذا الكتاب المتنزل الموجود في متناول جميع البشر موجبة لفوائد كثيرة.

اعلم أيها العزيز أن عظمة كل كلام وكتاب اما بعظمة متكلمه وكاتبه واما بعظمة مطالبه ومقاصده، وإما بعظمة نتائجه وثمراته وإما بعظمة الرسول والواسطة فيه، وإما بعظمة المرسل اليه وحامله، وإمّا بعظمة حافظه وحارسه، واما بعظمة شارحه ومبيّنه، واما بعظمة وقت ارساله وكيفيته. وبعض هذه الامور دخيل في العظمة ذاتا وجوهرا، وبعضها عرضا وبالواسطة وبعضها كاشف عن العظمة. وجميع هذه الامور التي ذكرناها موجودة في هذه الصحيفة النورانية بالوجه الاعلى والأوفى بل هي من مختصاتها بحيث ان غيره من الكتب اما ألاّ يشترك معه في شيء منها أصلا، أو لا يشترك معه في جميع المراتب.

أما عظمة متكلمه ومنشئه وصاحبه فهو العظيم المطلق الذي كانت جميع انواع العظمة المتصورة في الملك والملكوت وجميع أنواع القدرة النازلة من الغيب إلى الشهادة رشحة من تجليات عظمة فعل ذاته المقدسة ولا يمكن أن يتجلى الحق تعالى بالعظمة لأحد، وانما يتجلى من وراء آلاف الحجب والسرادقات، كما في الحديث: "**ان لله تبارك وتعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لاحرقت سبحات وجهه دونه**".

وعند أهل المعرفة قد صدر هذا الكتاب الشريف من الحق تعالى بمبدئّية جميع الشؤون الذاتية والصفاتية والفعلية، وبجميع التجليات الجمالية والجلالية، وليس لسائر الكتب السماوية هذه المرتبة والمنزلة.



وأما عظمته بسبب محتوياته ومقاصده ومطالبه فيستدعي ذلك عقد فصل على حدة، بل فصول وأبواب ورسالة مستقلة وكتاب مستقل حتى تخرج نبذة منها إلى حيز البيان والتحرير، ونحن نشير بطريق الاجمال في فصل مستقل إلى كلياته، وفي ذلك الفصل نشير إلى عظمته من حيث النتائج والثمرات ان شاء الله.

وأما عظمة رسول الوحي وواسطة الايصال فهو جبرائيل الامين والروح الاعظم الذي يتصل بذاك الروح الاعظم الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلّم بعد خروجه عن الجلباب البشري وتوجيه شطر قلبه إلى حضرة الجبروت وهو أحد أركان دار التحقق الاربعة بل هو أعظم أركانها وأشرف أنواعها لان تلك الذات النورانية ملك موكل للعلم والحكمة وصاحب الارزاق المعنوية والاطعمة الروحانية، ويستفاد من كتاب الله والاحاديث الشريفة تعظيم جبرائيل وتقدمه على سائر الملائكة.

وأما عظمة المرسل إليه ومتحمّله، فهو القلب التقي النقي الاحمدي الاحدي الجمعي المحمدي الذي تجلى له الحق تعالى بجميع الشؤون الذاتية والصفاتية والاسمائية والافعالية وهو صاحب النبوة الختمية والولاية المطلقة وهو أكرم البرية وأعظم الخليقة وخلاصة الكون وجوهرة الوجود وعصارة دار التحقق واللبنة الاخيرة وصاحب البرزخية الكبرى و الخلافة العظمى.

وأما حافظه وحارسه فهو ذات الحق المقدسة جلّ جلاله، كما قال في الآية الكريمة المباركة: ﴿**إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون**﴾.

وأما شارحه ومبيّنه فالذوات المطهرة للمعصومين من رسول الله إلى حجّة العصر عجّل الله فرجه الذين هم مفاتيح الوجود ومخازن الكبرياء ومعادن الحكمة والوحي وأصول المعارف والعوارف وأصحاب مقام الجمع والتفصيل.

وأمّا وقت الوحي فليلة القدر أعظم الليالي وخير من ألف شهر وأنور



الازمنة، وهي في الحقيقة وقت وصول الوليّ المطلق والرسول الخاتم صلى الله عليه وآله.

وأما كيفية الوحي وحيثياته فهي خارجة عن نطاق البيان في هذا المختصر وتحتاج إلى فصل مستقل قد صرفت النظر عنه لطوله.

الفصل الثاني

في بيان مقاصد الكتاب الشريف الالهي ومطالبه ومضامينه بطريق الاجمال والاشارة

إعلم أن هذا الكتاب الشريف كما صرّح بنفسه كتاب الهداية وهادي سلوك الانسانية ومربيّ النفوس وشافي الامراض القلبية ومنير طريق السير إلى الله.

وبالجملة، فإن الله تبارك وتعالى لسعة رحمته بعباده أنزل هذا الكتاب الشريف من مقام قربه وقدسه وتنزّل به على حسب ما يناسب العوالم حتى وصل إلى هذا العالم الظلماني وسجن الطبيعة وصار على كسوة الالفاظ وصورة الحروف لخلاص المسجونين في سجن الدنيا المظلم ونجاة المغلولين بأغلال الامال والأماني، وايصالهم من حضيض النفس والضعف والحيوانية إلى أوج الكمال والقوة الانسانية، ومن مجاورة الشيطان إلى مرافقة الملكوتيين بل الوصول إلى مقام القرب وحصول مرتبة لقاء الله التي هي أعظم مقاصد أهل الله ومطالبهم، فمن هذه الجهة إن هذا الكتاب هو كتاب الدعوة إلى الحق والسعادة. وبيان كيفية الوصول إلى هذا المقام ومحتوياته اجمالا ما له دخل في هذا السير والسلوك الالهي أو يعين السالك والمسافر إلى الله، وعلى نحو كلّي أحد مقاصده المهمّة الدعوة إلى

معرفة الله وبيان المعارف الالهية من الشؤون الذاتية والاسمائية والصفاتية والافعالية وأكثرها مطلوبية هو توحيد الذات والاسماء والافعال، قد ذكر على نحو مستقصى بعضه بالصراحة وبعضه بالاشارة.

وليعلم ان المعارف من معرفة الذات إلى معرفة الافعال قد ذكرت في هذا الكتاب الجامع الالهي على نحو تدركه كل طبقة على قدر استعدادها. كما أن علماء الظاهر والمحدثين والفقهاء رضوان الله عليهم يبيّنون ويفسّرون آيات التوحيد الشريفة وخصوصا توحيد الافعال على نحو يخالف ويباين ما يفسّرها أهل المعرفة وعلماء الباطن.

والكاتب يرى كلا التفسيرين صحيحا في محله لأن القرآن هو شفاء الامراض الباطنية ويعالج كل مريض على نحو خاص، كما أن الكريمة ﴿ **هو الاول والآخر والظاهر والباطن** ﴾. والكريمة ﴿ **الله نور السموات والارض** ﴾. والكريمة ﴿ **هو الذي في السماء وفي الأرض إله** ﴾. والكريمة ﴿ **وهو معكم** ﴾. والكريمة ﴿ **أينما تولّوا فثمّ وجه الله** ﴾. إلى غير ذلك في توحيد الذات والآيات الكريمة في آخر سورة الحشر وغيرها في توحيد الصفات. والكريمة ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾. والكريمة ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾. والكريمة ﴿ **يسبح له ما في السموات والارض** ﴾. في توحيد الافعال التي يدل بعضها بوجه دقيق وبعضها بوجه أدقّ دلالة عرفانية، وهي شفاء للأمراض بنحو ما عند كل طبقة من طبقات علماء الظاهر والباطن. وفي نفس الوقت الذي تكون بعض الآيات الشريفة مثل الآيات الأول من سورة الحديد وسورة التوحيد المباركة قد نزلت للمتعمقين في آخر الزمان حسب الحديث الشريف في الكافي، فلأهل الظاهر منها نصيب كاف، وهذا من معجزات هذا الكتاب الشريف ومن جامعيته.

ومن مقاصده الاخر ومطالبه: الدعوة إلى تهذيب النفوس وتطهير

البواطن من أرجاس الطبيعة، وتحصيل السعادة. وبالجملة، كيفية السير والسلوك إلى الله. وهذا المطلب منقسم إلى شعبتين مهمتين.

احداهما: التقوى بجميع مراتبها المتضمنة للتقوى عن غير الحق والاعراض المطلق عما سوى الله.

وثانيهما: الايمان بتمام المراتب والشؤون المتضمن للاقبال على الحق، والرجوع والانابة إلى ذاته المقدسة، وهذا من المقاصد المهمة لهذا الكتاب الشريف. وأكثر مطالبه ترجع إلى هذا المقصد إما بالواسطة أو بدونها.

ومن مقاصد هذه الصحيفة الالهية: قصص الانبياء والاولياء والحكماء وكيفية تربية الحق ايّاهم، وتربيتهم الخلق. فإن في هذه القصص فوائد لا تحصى وتعاليم كثيرة. وفي هذه القصص من المعارف الالهية والتعاليم وأنواع التربية الربوبية المذكورة فيها والمرموزة ما يحيّر العقل.

فيا سبحان الله، وله الحمد والمنّة، ففي قصة خلق آدم عليه السلام والامر بسجود الملائكة وتعليم الاسماء وقضايا ابليس وآدم التي تكرّر ذكرها في كتاب الله في التعليم والتربية والمعارف والمعالم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ما يحيّر الانسان. ولاجل هذه النكتة كرّرت القصص القرآنية كقصة آدم وموسى وابراهيم وسائر الانبياء. فليس هذا الكتاب كتاب قصة وتاريخ بل هو كتاب السير والسلوك إلى الله، وكتاب التوحيد والمعارف والمواعظ والحكم. والمطلوب في هذه الامور هو التكرار كي يؤثّر في القلوب القاسية وتأخذ منها موعظته. وبعبارة أخرى ان من يريد أن يربّي ويعلّم وينذر ويبشر فلا بدّ له أن يضمّن مقصده بالعبارات المختلفة والبيانات المتنوعة، فتارة في ضمن قصة وحكاية وأخرى في ضمن تاريخ ونقل، وحينا بصراحة اللهجة، وحينا بالكناية والامثال والرموز حتى يتمكن كل من النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة من الاستفادة منها، وحيث أن هذا الكتاب الشريف لاجل سعادة جميع الطبقات والبشرية جمعاء، ويختلف

هذا النوع الانساني في حالات القلوب والعادات والاخلاق والازمنة والامكنة، ولا يمكن أن تكون دعوته على نحو واحد، فربّ نفوس لا تكون حاضرة لاخذ التعاليم بصريح اللهجة وتلقّي أصل المطلب بنحو بسيط ولا تتأثر بهذا الأسلوب، فلا بد أن تكون دعوة هؤلاء بحسب تركيبتهم الذهنية لإفهامهم المقصد، ورب نفوس لا شغل لها بالقصص والحكايات والتواريخ وانما علاقتها بلبّ المطالب ولباب المقاصد فلا يوزن هؤلاء مع الطائفة الاولى بميزان واحد، وربّ قلوب تتناسب مع التخويف والانذار وقلوب تألف الوعد والتبشير، فلهذه الجهة دعا هذا الكتاب الشريف الناس بالاساليب المختلفة والفنون المتعددة والطرق المتنوعة، والتكرار لمثل هذا الكتاب لازم وحتمي، والدعوة والموعظة من دون تكرار وتفنّن خارجة عن حد البلاغة، وما يتوقّع منها وهو التأثير في النفوس لا يحصل من دون تكرار.

ففي هذا الكتاب الشريف تذكر القضايا بحلاوة لا يوجب تكرارها الملل في الانسان. فهو عند كل مرة يكرّر أصل المطلب، يذكر له خصوصيات وتفاصيل لا تكون في المرة السابقة، فنجده يركز النظر على نكتة عرفانية أو أخلاقية مهمة وتكون القضية دائرة حولها، وبيان هذا المطلب يستلزم استقصاءا كاملا في القصص القرآنية، ولا يسع هذا المختصر. وفي أمل هذا الضعيف بلا مؤونة أن أؤلف بالتوفيق الالهي وبالمقدار الميسور كتابا في خصوص القصص القرآنية وحلّ رموزها وأساليبها التعليمية والتربوية، وان كان القيام بهذا الامر من مثل الكاتب أمل لا ينال، وخيال باطل للغاية.

وبالجملة، ذكر قصص الانبياء عليهم السلام وكيفية سيرهم وسلوكهم وكيفية تربيتهم عباد الله وحكمهم مواعظهم ومجادلاتهم الحسنة من أعظم أبواب المعارف والحكم، وأعلى أبواب السعادة والتعاليم قد فتحها الحق تعالى وجلّ مجده على عباده، فكما أن لارباب المعرفة وأصحاب السلوك منها حظا وافرا ونصيبا كافيا كذلك لسواهم ايضا نصيب واف وسهم غير

محدود. فمثلا أهل المعرفة يدركون من الكريمة الشريفة ﴿فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا﴾ إلى آخر الآيات، كيفية سلوك ابراهيم عليه السلام وسيره المعنوي، ويتعلمون طريق السلوك إلى الله والسير إلى جنابه، وحقيقة السير الأنفسي والسلوك المعنوي من منتهى ظلمة الطبيعة التي عبّر عنها في ذلك المسلك بـ (جنَّ عليه الليل) إلى التخلص من مطلق الانيّة والانانية وترك النفسانية وعبادة النفس والوصول إلى مقام القدس والدخول في محفل الانس؛ حيث أشير في هذا المسلك إليه بقوله ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض﴾. وغيرهم يدركون منها السير الافاقي وكيفية تربية خليل الرحمن أمّته وتعليمه ايّاهم. وعلى هذا المنوال سائر القصص والحكايات، مثل قصة آدم وابراهيم وموسى ويوسف وعيسى وعلامات موسى مع الخضر، فإن استفادات أهل المعارف والرياضات والمجاهدات مع غيرهم متفاوتة.

ويدخل في هذا القسم، أو هو مقصد مستقل حِكم ومواعظ ذات الحق المقدسة؛ حيث أنه بنفسه دعا العباد بلسانه القدير حيث يناسب، إما إلى المعارف الالهية والتوحيد والتنزيه كسورة التوحيد المباركة أو أواخر سورة الحشر وأوائل سورة الحديد وسائر موارد الكتاب الالهي الشريف، ولاصحاب القلوب والسوابق الحسنى من هذه القسم حظوظ لا تحصى. فمثلا أصحاب المعارف يستفيدون من الكريمة المقدسة ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ قرب النافلة والفريضة، هذا في حين يفهم الأخرون منها الخروج بالبدن والهجرة مثلا إلى مكة أو إلى المدينة. او أن الحق تعالى دعا إلى تهذيب النفوس والرياضات الباطنية كالكريمة الشريفة ﴿قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾ إلى غير ذلك.. أو الدعوة إلى العمل الصالح كما هو معلوم، أو التحذير من أضدادها. ويدخل في هذا القسم أيضا الحكم



اللقمانية وحكم سائر العظماء والمؤمنين المذكورة في الموارد المختلفة في هذه الصحيفة الالهية كقضايا أصحاب الكهف.

ومن مطالب هذه الصحيفة النورانية بيان أحوال الكفار والجاحدين والمخالفين للحق والحقيقة والمعاندين للانبياء والاولياء عليهم السلام وبيان كيفية عواقب أمورهم وكيفية بوارهم وهلاكهم؛ كقضايا فرعون وقارون ونمرود وشدّاد وأصحاب الفيل وغيرهم من الكفرة والفجرة، ففي كل واحدة منها مواعظ وحكم بل معارف لاهلها، وفي هذا القسم تدخل قضايا ابليس الملعون. وفيه أيضا أو أنه قسم مستقل قضايا غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإن فيها ايضا مطالب شريفة مذكورة، منها كيفية مجاهدات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لايقاظ المسلمين من نوم الغفلة وتحريضهم على الجهاد في سبيل الله وتنفيذ كلمة الحق وإماتة الباطل.

ومن مطالب القرآن الشريف بيان قوانين ظاهر الشريعة والاداب والسنن الالهية، وقد ذكرت كلّيّاتها وأصولها في هذا الكتاب النوراني. والعمدة في هذا القسم الدعوة إلى أصول المطالب وضوابطها مثل باب الصلاة والزكاة والخمس والحج والصوم والجهاد والنكاح والارث والقصاص والحدود والتجارة وأمثالها، وحيث أن هذا القسم علم ظاهر الشريعة وعامّ المنفعة ومجعول لجميع الطبقات من حيث تعمير الدنيا والاخرة، وتستفيد كل طبقات الناس منه بمقداره. فالدعوة اليها كثيرة لهذا السبب، وفي الاحاديث والاخبار أيضا خصوصياتها وتفاصيلها إلى حدّ وافر وتصانيف علماء الشريعة في هذه القسم أكثر وأعلى من سائر الأقسام.

ومن مطالب القرآن الشريف: أحوال المعاد وبراهين إثباته وكيفية عذابه وعقابه والجزاء والثواب فيه وتفاصيل الجنة والنار والتعذيب والتنعيم. وقد ذكر في هذه القسم حالات أهل السعادة ودرجاتهم من أهل المعرفة والمقرّبين إلى أهل الرياضة والسالكين وحتى أهل العبادة والناسكين.



وكذلك حالات أهل الشقاوة ودرجاتهم من الكفار والمحجوبين والمنافقين والجاحدين وأهل المعصية والفاسقين. ولكن ما كان أكثر فائدة لحال العامة كان أكثر ذكرا وبصراحة اللهجة، وما كان مفيدا لطبقة خاصة فقد ذكر بطريق الرمز والاشارة مثل ﴿**ورضوان من الله أكبر**﴾، وآيات لقاء الله لتلك الطائفة، ومثل: ﴿**كلاّ انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ للطائفة الأخرى. وقد ذكر هذا القسم أي في قسم تفصيل المعاد والرجوع إلى الله معارف لاتحصى وأسرار صعبة مستصعبة لا يمكن الاطّلاع على كيفيّتها الا بالسلوك البرهاني أو النور العرفاني.

ومن مطالب هذه الصحيفة الالهية كيفية الاحتجاجات والبراهين التي أقامتها الذات المقدسة الحق تعالى بنفسه لاثبات المطالب الحقة والمعارف الالهية كالاحتجاج لاثبات الحق والتوحيد والتنزيه والعلم والقدرة وسائر الاوصاف الكمالية، وقد تجد في هذا القسم براهين دقيقة يستفيد أهل المعرفة منها استفادة كاملة مثل: ﴿**شهد الله أنه لا اله الا هو**﴾. وقد تجد براهين يستفيد الحكماء منها والعلماء بنحو، ويستفيد أهل الظاهر وعامة الناس بنحو آخر، كالكريمة ﴿**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**﴾، ومثل الكريمة ﴿**إذاً لذهب كل اله بما خلق**﴾. ومثل آيات أول سورة الحديد وسورة التوحيد المباركة وغيرها، كالاحتجاج لإثبات المعاد ورجوع الأرواح وإنشاء النشأة الأخرة والاحتجاج لاثبات ملائكة الله والانبياء العظام الموجود في موارد مختلفة من هذا الكتاب الشريف.

هذه حال احتجاجات نفس الذات المقدسة. أو أن الحق تعالى نقل براهين الانبياء والعلماء لاثبات المعارف مثل احتجاجات خليل الرحمن سلام الله عليه وغيره.

هذه أهم مطالب هذا الكتاب.. والا فالمطالب المختلفة الأخرى أيضا موجودة ويستلزم احصاؤها وقتا كافيا.





الفصل الثالث

في بيان طريق الاستفادة من القرآن الكريم

فاذا علمت الان مقاصد هذه الصحيفة الالهية ومطالبها فلا بد لك أن تأخذ بعين الاعتبار مطلبا مهما يكشف لك بالتوجّه اليه طريق الاستفادة من الكتاب الشريف، وتنفتح على قلبك أبواب المعارف والحكم وهو أن يكون نظرك إلى الكتاب الالهي الشريف نظر التعليم، وتراه كتاب التعليم والافادة وترى نفسك مكلفا بالتعلّم والاستفادة، وليس مقصودنا من التعليم والتعلم والافادة والاستفادة أن تتعلم منه الجهات الادبية والنحو والصرف أو تأخذ منه جهة الفصاحة والبلاغة والنكات البيانية والبديعية، أو تنظر في قصصه وحكاياته بالنظر التاريخي والاطّلاع على الامم السالفة، فليس شيء من هذه داخلا في مقاصد القرآن، بل هو بعيد عن المقصد الاصلي للكتاب الالهي بمراحل.

والذي أوجب ان تكون استفادتنا من هذا الكتاب العظيم قليلة جدا هو هذا الفهم. فإما ألا ننظر اليه نظر التعليم والتعلّم كما هو الغالب علينا، ونقرأه للثواب والاجر فقط؛ فينصب جهدنا على تجويده فقط والقراءة الصحيحة حتى ننال الثواب، ونحن واقفون عند هذا الحد وقانعون بهذا.. ها قد قرأنا القرآن لأكثر من اربعين سنة ولم تحصل الاستفادة منه بوجه الا الاجر وثواب القراءة. وإما أن نشتغل ـ ان كان هدفنا التعليم والتعلّم ـ بالنكات البديعيّة والبيانية ووجوه اعجازها، أو أعلى من هذا بقليل، بالجهات التاريخية وسبب نزول الآيات وأوقات النزول، وكون الآيات والسور مكية



أو مدنية، واختلاف القراءات واختلاف المفسرين من العامة والخاصة وسائر الامور العرضية الخارجة عن المقصد حتى صارت هذه الامور بنفسها سببا للاحتجاب عن القرآن والغفلة عن الذكر الالهي. بل ان مفسّرينا العظام ايضا صرفوا عمدة همّهم في احدى هذه الجهات أو أكثر ولم يفتحوا باب التعاليم على الناس.

وبعقيدة الكاتب لم يُكتب لحد اليوم تفسير لكتاب الله، لأن معنى التفسير بشكل عام هو أن يكون شارحا لمقاصد الكتاب ويجعل أكبر همه بيان مقصد صاحبه. فهذا الكتاب الشريف الذي هو بشهادة من الله تعالى كتاب الهداية والتعليم ونور طريق سلوك الانسانية، على مفسّره أن يفهّم المتعلم في كل قصّة من قصصه بل في كل آية من آياته جهة الاهتداء إلى عالم الغيب وحيثية الهداية إلى طريق السعادة، وسلوك طريق المعرفة والانسانية.

فالمفسر يكون مفسرا إذا فهّمنا المقصد من النزول لا سبب النزول كما هو في التفاسير، ففي قصة آدم وحواء أو قضاياهما مع ابليس من ابتداء خلقهما إلى نزولهما إلى الارض، مما ذكره الحق تعالى مكررا في كتابه كم من المعارف والمواعظ قد ذكرت ورمزت، وكم أشير فيها إلى معايب النفس وكمالاتها ومعارفها وأخلاق ابليس ونحن عنه غافلون.

وبالجملة، كتاب الله هو كتاب المعرفة والاخلاق والدعوة إلى السعادة والكمال، فكتاب التفسير أيضا لا بد وأن يكون كتابا عرفانيا وأخلاقيا ومبيّنا للأبعاد العرفانية والاخلاقية وسائر جهات الدعوة إلى السعادة الموجودة في القرآن.

فالمفسّر الذي يغفل عن هذه الجهة أو يصرف النظر عنها أو لا يهتم بها، فقد غفل عن مقصود القرآن والهدف الاساسي لإنزال الكتب وارسال الرسل. وهذا هو الخطأ الذي حرم الأمة الاسلامية ولقرون من الاستفادة من القرآن الشريف وسدّ طريق الهداية على الناس، فلا بد لنا أن نأخذ



المقصود من تنزيل هذا الكتاب من نفس هذا الكتاب بغض النظر عن الجهات العقلية البرهانية المتعلقة بفهم المقصد، فمصنف الكتاب أعرَف بمقصده. فإذا نظرنا إلى ما قاله هذا المصنف فيما يرجع إلى شؤون القرآن، نرى أنه يقول ﴿ **ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين** ﴾. فعرّف هذا الكتاب على أنه كتاب الهداية، نرى أنه في سورة قصيرة كرّر مرّات عديدة ﴿ **ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر** ﴾. نرى أنه يقول ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل اليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾. ونرى أنه يقول ﴿ **كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولو الالباب** ﴾، إلى غير ذلك من الآيات الشريفة التي يطول ذكرها.

وبالجملة، لا نقصد بهذا الكلام انتقاد التفاسير، فإن كل واحد من المفسرين تحمّل المشقات الكثيرة والمتاعب التي لا نهاية لها حتى صنف كتابا شريفا، فلله درّهم وعلى الله أجرهم، بل مقصودنا هو أنه لا بد أن يفتح للناس طريق الاستفادة من هذا الكتاب الشريف الذي هو الكتاب الوحيد في السلوك إلى الله والكتاب الاحدي في تهذيب النفوس والآداب والسنن الالهية، وأعظم وسيلة للربط بين الخالق والمخلوق والعروة الوثقى والحبل المتين للتمسّك بعزّ الربوبية. فعلى العلماء والمفسرين أن يكتبوا التفاسير بالفارسية والعربية وليكن هدفهم بيان التعاليم والأحكام العرفانية والاخلاقية وبيان كيفية ربط المخلوق بالخالق، وبيان الهجرة من دار الغرور إلى دار السرور والخلد، كما تضمن هذا الكتاب الشريف، فصاحب هذا الكتاب ليس هو السكاكي والشيخ حتى يكون مقصده جهات البلاغة والفصاحة وليس هو سيبويه والخليل حتى يكون منظوره جهات النحو والصرف، وليس المسعودي وابن خلّكان حتى يبحث حول تاريخ العالم. هذا الكتاب ليس كعصا موسى ويده البيضاء أو نفس عيسى الذي يحيي الموتى فيكون للاعجاز فقط وللدّلالة على صدق النبي الاكرم بل هذه الصحيفة الالهية



كتاب احياء القلوب بالحياة الابدية للعلم والمعارف الالهية، هذا كتاب الله ويدعو إلى الشؤون الالهية جلّ وعلا. فالمفسّر لابد وأن يعلّم الشؤون الالهية ويرجع الناس إلى تفسيره لتعلّم الشؤون الالهية حتى تحصل الاستفادة منه **﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾**. فأي خسران أعظم من أن نقرأ الكتاب الالهي منذ ثلاثين أو أربعين سنة ونراجع التفاسير ونحرم مقاصده، **﴿ ربّنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾**.

الفصل الرابع

في بيان رفع الموانع والحجب بين المستفيد والقرآن

فاذا علمت الان عظمة كتاب الله من جميع الجهات المقتضية للعظمة وانفتح طريق استفادة المطالب منه فاللازم على المتعلم والمستفيد من كتاب الله ان يجري أدبا آخر من الاداب المهمة حتى تحصل الاستفادة وهو رفع موانع الاستفادة، ونحن نعبّر عنها بالحجب بين المستفيد والقرآن، وهذه الحجب كثيرة نشير إلى بعضها:

من الحجب العظيمة حجاب رؤية النفس، فيرى المتعلم نفسه بسبب هذا الحجاب مستغن أو غير محتاج للاستفادة وهذا من أكبر المكائد المهمة للشيطان حيث أنه يزيّن للانسان دائما الكمالات الموهومة ويرضي الانسان ويقنعه بما فيه ويسقط من عينه كل ما ليس بحوزته، مثلا يقنع أهل التجويد بذاك العلم الجزئي ويزيّنه في أعينهم ويسقط سائر العلوم من أعينهم ويطبّق معنى "حملة القرآن" عليهم، ويحرمهم من فهم الكتاب الالهي النوراني والاستفادة منه، ويرضي أصحاب الادب [اللغوي] بتلك الصورة الفاقدة للب، ويمثّل جميع شؤون القرآن بما عندهم، ويشغل أهل التفاسير المتعارفة



بوجوه القراءات والآراء المختلفة لارباب اللغة ووقت النزول وشأن النزول وكون الآيات مكية أو مدنية وتعدادها وتعداد الحروف وأمثال تلك الامور. ويقنع أهل العلوم أيضا بعلم فنون الدلالات فقط ووجوه الاحتجاجات وأمثالها حتى أنه يحبس الفيلسوف والحكيم والعارف الاصطلاحي في الغليظ من حجاب الاصطلاحات والمفاهيم وأمثال ذلك. فعلى المستفيد أن يخرق جميع هذه الحجب وينظر إلى القرآن من ورائها، ولا يتوقف في شيء من هذه الحجب فيتأخر عن قافلة السالكين ويحرم من الدعوات الالهية الحلوة.. ويستفاد حكم عدم الوقوف وعدم القناعة عند حدّ معين من القرآن الشريف نفسه.

والاشارة إلى هذا المعنى في القصص القرآنية كثيرة، فموسى الكليم مع ما له من المقام العظيم في النبوّة لم يقتنع بذلك المقام وما توقف عند مقام علمه الشامخ، وبمجرد أن لاقى شخصا كاملا كالخضر قال له بكل تواضع وخضوع: "هل أتّبعك على أن تعلّمني ممّا علّمت رشدا" وصار ملازما لخدمته حتى أخذ منه العلوم التي احتاج إليها.

وابراهيم عليه السلام لم يقتنع بمقام شامخ الايمان والعلم الخاص للانبياء فقال: "**ربّ أرني كيف تحيي الموتى**". فأراد أن يرتقي من الايمان القلبي إلى مقام الاطمئنان الشهودي. وأعظم من ذلك ان الله تبارك وتعالى يأمر نبيّه الخاتم ـ وهو أعرف خلق الله مطلقا ـ في الكريمة الشريفة ﴿**وقل ربّ زدني علما**﴾. فهذه الاوامر في الكتاب الالهي ونقل قصص الانبياء لأجل أن نتنبّه ونستيقظ من نوم الغفلة.

ومن الحجب: حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة، وهذا قد يكون من سوء استعداد الشخص والاغلب انه يوجد من التبعية والتقليد. وهذا من الحجب التي حجبتنا بالاخص عن معارف القرآن. مثلا اذا رسخ في قلوبنا اعتقاد بمجرّد الاستماع إلى الاب أو الام أو بعض جهلة



أهل المنبر تكون هذه العقيدة حاجبة بيننا وبين الآيات الشريفة الالهية. فإن وردت آلاف الآيات والروايات التي تخالف تلك العقيدة، فامّا أن نصرفها عن ظاهرها أو أن لا ننظر فيها نظر الفهم. والامثال فيما يرجع إلى العقائد والمعارف كثيرة. ولكنّي امتنع عن عدّها لاني أعلم بأن هذا الحجاب لا يخرق بكلام مثلي، ولكن أشير إلى واحد منها من باب المثال، حيث أنه أسهل للفهم في الجملة.

إن تلك الآيات الكثيرة الراجعة إلى لقاء الله ومعرفة الله، والروايات الكثيرة في هذا الموضوع مع كثير من الاشارات والكنايات والصراحات في الادعية والمناجاة للائمة عليهم السلام بمجرّد ما تصطدم بتلك العقيدة - التي نشأت في هذا الميدان وانتشرت من العوام بأن طريق معرفة الله مسدود بالكلّية حيث يقيسون باب معرفة الله ومشاهدة جماله على باب التفكر في الذات على الوجه الممنوع بل الممتنع - فإمّا أن يؤوّلوا ويوجّهوا تلك الآيات والروايات، وكذلك الاشارات والكنايات والصراحات في أدعية الائمة ومناجاتهم، وإمّا الاّ يدخلوا في هذا الميدان أصلا ولا يفتحوا على أنفسهم تلك المعارف التي هي قرّة عين الانبياء والاولياء.

فممّا يوجب الاسف الشديد لاهل الله أن بابا من المعرفة الذي يمكن أن يقال أنه غاية بعثة الانبياء ومنتهى مطلوب الاولياء قد سدّوه على الناس بحيث يعدّ التفوّه به كفرا محضا وصرف الزندقة. إنّ هؤلاء يرون معارف الانبياء والاولياء في ما يختص بذات الحق تعالى وأسمائه وصفاته مساوية لمعارف العوام وربات الحجال فيه، بل يظهر من هؤلاء أحيانا ما هو أعظم من ذلك فيقول أحدهم: ان لفلان عقائد عامية حسنة فيا ليت لنا مثلما له من العقيدة العامية.. وهذا الكلام منه صحيح لان هذا المسكين الذي يتفوّه بهذا الكلام قد أضاع العقائد العامية ويرى معارف الخواص وأهل الله باطلة، فهذا التمنّي منه عينا كتمني الكفار الذين حكى الله عنهم في الكريمة



الالهية ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾. ونحن ان أردنا أن نذكر الآيات والاخبار في لقاء الله بالتفصيل لفضح هذه العقيدة الفاسدة الناشئة عن الجهل والغرور الشيطاني، لاستلزم ذلك كتابا على حدة؛ فضلا من أن نذكر المعارف التي وقعت وراء ستر النسيان بسبب هذا الحجاب الغليظ، حتى يُعلم أن أحد مراتب مهجورية القرآن وهجران القرآن ولعلّ الاسف عليها أشدّ هو هذه؛ كما يقول تعالى في الكريمة الشريفة: ﴿**وقال الرسول يا ربِّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾.

ان مهجورية القرآن لها مراتب كثيرة ومنازل لا تحصى، ولعلنا متصفون بالعمدة منها. أترى أننا اذا جلّدنا هذه الصحيفة الالهية جلدا نظيفا وقيّما وعند قراءتها او الاستخارة بها قبّلناها ووضعناها على أعيننا ما اتخذناه مهجورا؟ أترى اذا صرفنا معظم عمرنا في تجويده وجهاته اللغوية والبيانية والبديعية قد أخرجنا هذا الكتاب الشريف عن المهجورية؟ هل اننا اذا تعلّمنا القراءات المختلفة وأمثالها قد تخلّصنا من عار هجران القرآن؟ هل اننا اذا تعلمنا وجوه إعجاز القرآن وفنون محسّناته قد نجونا من شكوى رسول الله؟ هيهات.. فإنه ليس شيء من هذه الامور مورد نظر القرآن ومنزّله العظيم الشأن.. ان القرآن كتاب إلهي وفيه الشؤون الالهية. القرآن هو الحبل المتصل بين الخالق والمخلوق ولا بد ان يوجد الربط المعنوي والارتباط الغيبي بتعاليمه بين عباد الله ومربّيهم، ولا بد أن يحصل من القرآن العلوم الالهية والمعارف اللدنيّة، ان رسول صلى الله عليه وآله قال حسب ما رواه الكافي "**انما العلم ثلاثة: آية محكمة وفريضة عادلة وسنّة قائمة**".

فالقرآن الشريف حامل لهذه العلوم فعندما نتعلم من القرآن هذه العلوم فما اتّخذناه مهجورا. واذا قبلنا دعوات القرآن وأخذنا التعاليم من قصص الانبياء عليهم السلام المشحونة بالمواعظ والمعارف والحكم، اذا اتعظنا نحن من مواعظ الله تعالى ومواعظ الانبياء والحكماء المذكورة في

القرآن فما اتّخذناه مهجورا، والا فالغور في الصورة الظاهرية للقرآن ايضا إخلاد إلى الارض ومن وساوس الشيطان ولا بد من الاستعاذة بالله منه.

ومن الحجب المانعة من الاستفادة من هذه الصحيفة النورانية: الاعتقاد بأنه ليس لاحد حق الاستفادة من القرآن الشريف الا بما كتبه المفسّرون أو فهموه. وقد اشتبه على الناس التفكر والتدبّر في الآيات الشريفة بالتفسير بالرأي الممنوع، وبواسطة هذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة جعلوا القرآن عاريا من جميع فنون الاستفادة واتخذوه مهجورا كليا؛ في حين ان الاستفادات الاخلاقية والايمانية والعرفانية لا ربط لها بالتفسير، فكيف بالتفسير بالرأي. فمثلا اذا استفاد احد من كيفية تباحث موسى مع الخضر وكيفية تعاملهما وشدّ موسى رحاله اليه مع ما له من عظمة مقام النبوّة لاخذ العلم الذي لم يكن عنده، وكيفية عرض حاجته على الخضر كما ذكرت في الكريمة الشريفة: ﴿ **هل أتّبعك على أن تعلّمن ممّا علّمت رشدا** ﴾، وكيفية جواب الخضر والاعتذارات التي وقعت من موسى، عظمةَ مقام العلم وآداب سلوك المتعلم مع المعلّم ـ ولعلها تبلغ من الآيات المذكورة إلى عشرين أدبا ـ فما علاقة هذه الاستنتاجات بالتفسير فضلا من أن تكون تفسيرا بالرأي. والاستفادة من هذا القبيل في القرآن كثيرة، ففي المعارف مثلا، اذا استفاد أحد من قوله تعالى ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾، الذي يحصر جميع المحامد بالله و يخصص جميع الثناءات بالحق تعالى، التوحيد الافعالي، وقال بأنه يستفاد من الآية الشريفة ان كل كمال وجمال وكلّ عزّة وجلال الموجودة في العالم وتنسبها العين الحولاء والقلب المحجوب إلى الموجودات هي من الحق تعالى وليس لموجود من قبل نفسه شيء، ولهذا تكون المحمدة والثناء خاصة بالحق ولا يشاركه فيها أحد، فأيّ ربط لهذا بالتفسير حتى يسمّى بالتفسير بالرأي أو لا يسمى؟ إلى غير ذلك من الامور التي تستفاد من لوازم الكلام ولا ربط



لها بوجه بالتفسير. مضافا إلى أن في التفسير بالرأي ايضا كلاما وهو أنه لعله غير مربوط بآيات المعارف والعلوم العقلية التي توافق الموازين البرهانية وبالآيات الاخلاقية التي فيها للعقل دخل، لان هذه التفاسير مطابقة للبرهان العقلي المتين أو الاعتبارات العقلية الواضحة، فإذا كان ظاهر الكلام على خلافها فاللازم أن يصرف الكلام عن ظاهره، مثلا في الكريمة ﴿**وجاء ربك**﴾ و ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ التي يكون الفهم العرفي فيها مخالفا للبرهان؛ فإنّ رد هذا الظاهر والتفسير المطابق للبرهان ليس تفسيرا بالرأي ولا يكون ممنوعا بوجه.

فمن المحتمل بل من المظنون أن التفسير بالرأي راجع إلى آيات الاحكام التي تقصر عنها أيدي الآراء والعقول، ولابد وأن تؤخذ بصرف التعبّد والانقياد من خزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما أن أكثر الروايات في هذا الباب وردت في مقابل فقهاء العامة الذين كانوا يريدون أن يفهموا دين الله بعقولهم وقياساتهم، وما في بعض الروايات الشريفة من أنه ليس شيء أبعد عن عقول الرجال من تفسير القرآن، وكذلك الرواية الشريفة "**ان دين الله لا يصاب بالعقول**" تشهد بأن المقصود من دين الله الاحكام التعبّديّة للدين، والا فباب اثبات الصانع والتوحيد والتقديس واثبات المعاد والنبوّة بل مطلق المعارف حقٌ طلق للعقول، ومن مختصاتها. وان ورد في كلام بعض المحدثين من ذوي المقام العالي ان الاعتماد في اثبات التوحيد على الدليل النقلي، فمن غرائب الامور بل من المصيبات التي لابد أن يستعاذ بالله منها. ولا يحتاج هذا الكلام إلى التهجين والتوهين و إلى الله المشتكى.

ومن الحجب المانعة من فهم القرآن الشريف، ومن الاستفادة من معارف هذا الكتاب السماوي ومواعظه حجاب المعاصي والكدورات الحاصلة من الطغيان وعصيان ساحة رب العالمين المقدسة؛ فتحجب



القلب عن إدراك الحقائق.

وليعلم كما أن لكل عمل من الاعمال الصالحة أو السيئة صورة في عالم الملكوت تتناسب معه، فله صورة أيضا في ملكوت النفس، تحصل بواسطتها في ملكوت النفس: إمّا النورانية ويكون القلب مطهّرا ومنوّرا وفي هذه الحالة تكون النفس كالمرآة المصقولة صافية، ويليق للتجليات الغيبية وظهور الحقائق والمعارف فيه، وإما ان يصير ملكوت النفس بها ظلمانياً وخبيثاً، وفي هذه الصورة يكون القلب كالمرآة المريّنة والمدنّسة، لا تنعكس فيها المعارف الالهية ولا الحقائق الغيبية، وحيث أن القلب في هذه الحالة يقع بالتدريج تحت سلطة الشيطان ويكون المتصرف في مملكة الروح ابليس فيقع السمع والبصر وسائر القوى أيضا تحت تصرف ذاك الخبيث، وينسد السمع بالكلية عن المعارف والمواعظ الالهية، ولا ترى العين الأيات الباهرة الالهية وتعمى عن الحق وآثاره وآياته ولا يتفقّه القلب في الدين، ويحرم من التفكر في الآيات والبيّنات وتذكر الحق والاسماء والصفات، كما قال الحق تعالى ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضلّ** ﴾. فيكون نظرهم إلى العالم كنظر الانعام والحيوانات الخالية من الاعتبار والتدبّر، وقلوبهم كقلوب الحيوانات لا نصيب لها من التفكر والتذكّر، بل تزداد حالة الغفلة والاستكبار فيهم يوما بعد يوم من جراء النظر في الآيات وسماع المواعظ، فهم أرذل وأضّل من الحيوان.

ومن الحجب الغليظة التي هي ستر سميك بيننا وبين معارف القرآن ومواعظه: حجاب حبّ الدنيا، فيصرف القلب بواسطة تمام همّته في الدنيا وتكون وجهة القلب تماما إلى الدنيا ويغفل القلب بواسطة هذه المحبة عن ذكر الله، ويعرض عن الذكر والمذكور، وكلما ازداد التعلق بالدنيا وأوضاعها ازداد حجاب القلب وساتره ضخامة، وربما تغلب هذه العلاقة



على القلب ويتسلّط سلطان حب الجاه والشرف على القلب بحيث يطفىء نور فطرة الله تماماً، وتغلق ابواب السعادة على الانسان، ولعل المراد من اقفال القلوب المذكورة في الآية الشريفة ﴿ **أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ هذه الاقفال اغلال العلائق الدنيوية. ومن أراد أن يستفيد من القرآن ويأخذ نصيبه من المواعظ الالهية لابدّ وأن يطهّر القلب من هذه الارجاس، ويزيل لوث المعاصي القلبية وهي الاشتغال بالغير عن القلب لان غير المطهّر ليس محرما لهذه الاسرار قال تعالى: ﴿ **انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسّه الا المطهّرون** ﴾. فكما أن غير المطهّر الظاهري ممنوع عن ظاهر هذا الكتاب ومسّه في العالم الظاهر تشريعا وتكليفا، كذلك ممنوع من معارفه ومواعظه وباطنه وسرّه من كان قلبه متلوثا بأرجاس التعلّقات الدنيوية، وقال تعالى: ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾.. إلى آخره. فغير المتقي وغير المؤمن بحسب تقوى وايمان العامة محروم من الانوار الصورية لمواعظه وعقائده الحقة، وغير المتقي وغير المؤمن بحسب سائر مراتب التقوى، الخاص منها وخاص الخاص وتقوى أخصّ الخواص محروم من سائر مراتبها. والتفصيل حول تلك المراتب وذكر سائر الآيات الدالة على المقصود موجب للتطويل، ولكن نختتم هذا الفصل بذكر آية شريفة الهية تكفي لاهل اليقظة بشرط التدبّر فيها، قال تبارك وتعالى: ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾.

فخصوصيات هذه الآية الشريفة كثيرة، والبيان حول نكاتها يستلزم رسالةً على حدة ليس الان مجالها.





الفصل الخامس

في التفكّر

من آداب قراءة القرآن حضور القلب، وقد ذكرناه في الآداب المطلقة للعبادات في هذه الرسالة ولا يلزم اعادته، ومن آدابه المهمة: التفكر، والمقصود من التفكر أن يبحث في الآيات الشريفة عن المقصد والمقصود، وحيث أن مقصد القرآن كما تبين نفس الصحيفة النورانية هو الهداية إلى سبل السلام والإخراج من جميع مراتب الظلمات إلى عالم النور، والهداية إلى الطريق المستقيم فلا بد أن يحصّل الانسان بالتفكر في الآيات الشريفة مراتب السلامة من المرتبة الدانية الراجعة إلى القوى الملكية إلى منتهى النهاية فيها، وهي حقيقة القلب السليم، على ما ورد تفسيره عن أهل البيت، وهو أن يلاقي الحق وليس فيه غيره؛ وتكون سلامة القوى الملكية والملكوتية ضالة قارئ القرآن فإنها موجودة في هذا الكتاب السماوي ولا بد أن يستخرجها بالتفكر، واذا صارت القوى الانسانية سالمة من التصرّف الشيطاني وسلك طرق السلامة وعمل بها ففي كل مرتبة من السلامة تحصل ينجو من ظلمة ويتجلى فيه النور الالهي الساطع قهرا، حتى اذا خلص من جميع أنواع الظلمات التي أولها ظلمات عالم الطبيعة بجميع شؤونها وآخرها ظلمة التوجّه إلى الكثرة بتمام شؤونها، يتجلى النور المطلق في قلبه ويهديه إلى طريق الانسانية المستقيم وهو في هذا المقام طريق الربّ **﴿ان ربي على صراط مستقيم﴾**.

وقد كثرت الدعوة إلى التفكر وتمجيده وتحسينه في القرآن الشريف قال تعالى: **﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل اليهم لعلّهم يتفكرون﴾**.



وفي هذه الآية مدح عظيم للتفكر، لانها جعلت غاية انزال الكتاب السماوي العظيم والصحيفة النورانية المجيدة احتمال التفكر، وهذا من شدّة الاعتناء به حيث أن مجرد احتماله صار موجبا لهذه الكرامة العظيمة، وقال تعالى في الآية الاخرى: ﴿ **فاقصص القصص لعلّهم يتفكرون** ﴾.

والآيات من هذا القبيل أو ما يقرب منه كثيرة والروايات ايضا في التفكر كثيرة. فقد نقل عن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم انه لما نزلت الآية الشريفة ﴿ **إنّ في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات** ﴾ إلى آخرها.. قال صلى الله عليه وآله: "**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**".

والعمدة في هذا الباب ان يفهم الانسان ما هو التفكر الممدوح، لأنه لا شك في أن التفكر ممدوح في القرآن والحديث، فأحسن التعبير فيه ما قاله الخواجة عبدالله الانصاري قدس سره: اعلم ان التفكّر تلمّس البصيرة لاستدراك البغية، يعني أن التفكر هو تجسس البصيرة (وهي بصر القلب) للوصول إلى المقصود والنتيجة التي هي غاية الكمال، ومن المعلوم أن المقصد هو السعادة المطلقة التي تحصل بالكمال العلمي والعملي.

فلا بد للانسان أن ينال المقصود والنتيجة الانسانية وهي السعادة في الآيات الشريفة للكتاب الالهي وفي قصصه وحكاياته وحيث أن السعادة هي الوصول إلى السلامة المطلقة وعالم النور والطريق المستقيم، فلا بد للانسان أن يطلب من القرآن المجيد الشريف سبل السلامة ومعدن النور المطلق والطريق المستقيمة كما أشير اليها في الآية الشريفة السابقة، فاذا أدرك القارئ المقصد، صار بصيرا في تحصيله وانفتح له طريق الاستفادة من القرآن الشريف وفتحت له أبواب رحمة الحق، ولم يصرف عمره القصير العزيز ورأسمال تحصيل سعادته على أمور ليست مقصودة لرسالة الرسول صلى الله عليه وآله وكف عن فضول البحث والكلام، في مثل هذا الامر المهم.



فإذا أشخص بصيرته مدّة إلى هذا المقصود وصرف نظره عن سائر الامور تتبصّر عين قلبه ويكون بصره حديدا ويكون التفكر في القرآن للنفس أمرا عاديا وتنفتح طرق الاستفادة وتفتح له أبواب لم تكن مفتوحة لحينها، ويستفيد مطالب ومعارف من القرآن ما كان لينالها بأي شكل، فحينها يفهم كون القرآن شفاء للامراض القلبية، ويدرك مفاد الآية الشريفة ﴿ **وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا** ﴾ ومعنى قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه "وتعلموا القرآن فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور "ولا يطلب من القرآن شفاء الامراض الجسمانية فقط بل يجعل عمدة المقصد شفاء الامراض الروحانية الذي هو مقصد القرآن، فإن القرآن ما نزل لشفاء الامراض الجسمانية وان كان يحصل به، كما أن الانبياء عليهم السلام لم يبعثوا للشفاء الجسماني وان كانوا يشفون، فهم أطباء النفوس والشافين للقلوب والارواح.

الفصل السادس

في التطبيق

من الآداب المهمة لقراءة القرآن التي تنيل الانسان نتائج كثيرة وفوائد غير معدودة هو التطبيق.

وكيفيّتة انه حينما يتفكر في كل آية من الآيات الشريفة يطبق مفادها على حاله ويرفع نقصانه بواسطة هذا التطبيق ويشفي أمراضه به، مثلا في قصة آدم الشريفة يتفكر لماذا طرد الشيطان من جناب القدس مع تلك السجدات والعبادات الطويلة.. فيطهّر نفسه منه لان مقام القرب الالهي محل المطهّرين، فمع الاوصاف والاخلاق الشيطانية لا يمكن التقدم إلى ذلك الجناب الرفيع. ويستفاد من الآيات الشريفة أن مبدأ عدم سجود



ابليس هو رؤية النفس، العجب فطبّل أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.. إن رؤية ابليس لنفسه صارت سببا للعجب والكبر، وهذا الكبر صار سببا للاستقلال مقابل الحق وعصيان الامر فصار مطرودا من الجناب ونحن خطبنا الشيطان الملعون والمطرود من أول عمرنا واتصفنا بأوصافه الخبيثة ولم نتفكر في أن ما كان سبب المطرودية من جناب القدس اذا كان موجودا في أي شخص فهو مطرود؛ وليس للشيطان خصوصية، فما كان سببا لابعاده عن جناب القدس لن يسمح لنا بالدخول إليه، وأنا أخاف من أن نكون شركاء ابليس في اللعن الذي نلعنه.

ونتفكر أيضا في هذه القصة الشريفة ونرى ما هو السبّب لمزيّة آدم وأفضليته على ملائكة الله، فنتصف نحن أيضا بمقدار الطاقة به. فنرى أن سبب التفضيل هو تعليم الاسماء كما قال تعالى: "وعلّم آدم الاسماء كلّها" والمرتبة العالية من تعليم الاسماء هو التحقق بمقام أسماء الله. كما أن المرتبة العالية من إحصاء الاسماء المذكور في الرواية الشريفة إن لله تسعا وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، هو التحقق بحقيقتها التي توصل الانسان إلى جنة الاسماء.

الانسان يستطيع أن يكون مظهرا لاسماء الله، والأية الكبرى الالهية بالرياضات القلبية، ويكون وجوده وجودا ربّانيا، ويكون المتصرّف في مملكته يدي الجمال والجلال الالهي. وفي الحديث ما يقرب من هذا المعنى من أن "روح المؤمن أشدّ اتصالا بالله تعالى من اتصال شعاع الشمس بها أو بنورها".

وفي الحديث الصحيح **"لايزال يتقرّب الي عبدي بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يأخذ بها"**. وفي الحديث **"عليٌ عين الله ويد الله"** إلى غير ذلك.. وفي الحديث **"نحن أسماؤه الحسنى"** والشواهد العقلية والنقلية في هذا الخصوص كثيرة.



وبالجملة، من أراد أن ينال من القرآن الشريف الحظ الوافر والفائدة الكافية، فلا بدّ له أن يطبّق كل آية شريفة من الآيات على حالات نفسه حتى تحصل له الاستفادة الكاملة، مثلا يقول الله تعالى في سورة الانفال في الآية الشريفة: ﴿**انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربّهم يتوكّلون**﴾، فلا بد للسالك من أن يلاحظ هل هذه الاوصاف الثلاثة تنطبق عليه؟ وهل أن قلبه يوجِلُ اذا ذكر الله ويخاف؟ واذا تليت عليه الآيات الشريفة الالهية هل يزداد نور الايمان في قلبه؟ وكذلك اعتماده وتوكله على الحق تعالى؟ أم أنه عن كل هذه المراتب متأخر، ومن كل هذه الخصائص محروم؟ فإن أراد أن يفهم أنه من الحق تعالى خائف وقلبه من خوف الله وجل فلينظر إلى أعماله.

الانسان الخائف لا يتجاسر في محضر الكبرياء على مقامه المقدس ولا يهتك الحرمات الالهية في حضور الحق، واذا قوي الايمان بتلاوة الآيات الالهية يسري نور الايمان إلى المملكة الظاهرية ايضا، فمن غير الممكن أن يكون القلب نورانيا ولا يكون اللسان والكلام والعين والنظر والأذن والاستماع نورانيا. فالبشر النوراني هو الذي تكون جميع قواه الملكية والملكوتية منيرة، فمضافا إلى هداية نفسه إلى السعادة والطريق المستقيم يكون مضيئا لسائر الخلق أيضا ويهديهم إلى طريق الانسانية، كما أنه اذا توكل أحد على الله تعالى و اعتمد عليه فيقطع الطمع عمّا في أيدي الآخرين ويحط رحل حاجته وفقره عند باب الغني المطلق، ولا يرى سائر الذين هم مثله فقراء ومساكين حلاّلين لمشاكله.

فوظيفة السالك إلى الله هي أن يعرض نفسه على القرآن الشريف، فكما أن الميزان في صحة الحديث وعدم صحته واعتباره وعدم اعتباره ان يعرضه على كتاب الله، فما خالف كتاب الله فهو باطل وزخرف. كذلك الميزان في الاستقامة والاعوجاج والشقاء والسعادة هو أن يكون مستقيما



وصحيحا في ميزان كتاب الله، وكما أن خلق رسول الله هو القرآن فعليه أن يجعل خُلقه موافقا للقرآن حتى يكون مطابقا لخُلق الولي الكامل ايضا، والخُلق الذي يكون مخالفا لكتاب الله فهو زخرف وباطل.

وكذلك جميع المعارف وأحوال قلبه وأعمال الباطن والظاهر لابد أن يطبّقها على كتاب الله ويعرضها عليه، حتى يتحقق بحقيقة القرآن ويكون القرآن صورته الباطنية.

وانت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

وفي هذا المقام آداب أخر قد ذكرنا بعضها في أول هذه الرسالة في آداب مطلق العبادات، وبعضها متضمن في هذه الآداب، وذكر بعضها ينجرّ إلى التطويل، فلهذه الجهة صرفنا النظر عنه والله العالم.

ختام

في ذكر نبذة من الروايات الشريفة لتتميم الفائدة والتبرّك بكلام العترة الطاهرة.

ففي الكافي الشريف باسناده إلى سعد عن باقر العلوم عليه السلام قال: **"يا سعد تعلّموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر اليها الخلق والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف ثمانون ألف صفّ أمّة محمد وأربعون أل صف من سائر الامم، فيأتي على صف المسلمين في صورة رجل فيسلّم فينظرون اليه ثم يقولون لا إله الا الله الحليم الكريم ان هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته غير أنه كان أشدّ اجتهادا منا في القرآن فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نُعطَه، ثم يجاوز حتى يأتي على صف الشهداء فينظرون اليه ثم يقولون: لا اله الا الله الرب الرحيم ان هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنه من شهداء البحر فمن هناك أعطي من البهاء والفضل ما لم نُعطه. قال: فيتجاوز حتى يأتي صف شهداء البحر في**



صورة شهيد.. ثم ذكر الحديث اتيانه صفوف النبيين والمرسلين إلى أن يعرّفه رسول الله صلى الله عليه وآله" الحديث بطوله.

وعن الامام الصادق عليه السلام: "اذا جمع الله عزّ وجلّ الاولين والاخرين اذا هم بشخص قد أقبل لم ير قطّ أحسن صورة منه فاذا نظر اليه المؤمنون وهو القرآن قالوا هذا منّا، هذا أحسن شيء رأينا، فاذا انتهى اليهم جازهم" إلى آخر الحديث.

والاحاديث بهذا المضمون كثيرة وهي دليل واضح على ما يقوله أهل المعرفة بأن لموجودات هذا العالم صور أخروية، ومن أحاديث هذا الباب يستفاد أن للاعمال أيضا صورا أخروية.

وفي الكافي الشريف باسناده إلى باقر العلوم عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله "أنا أول وافد على العزيز الجبّار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمّتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتي".

وفي حديث آخر: "فيقول الجبار: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لاكرمنّ اليوم من أكرمك ولاهيننّ من أهانك".

وليعلم أنه لو لم نكن نحيي أحكام القرآن ومعارفه بالعمل بها والتحقق بحقيقتها لا نستطيع أن نجيب رسول الله في ذلك اليوم. فأي إهانة أعظم من أن ننبذ مقاصد القرآن ودعواته وراء الظهر، فليس إكرام القرآن وأهله وهم أهل بيت العصمة بتقبيل جلده أو أضرحتهم المطهرة فقط فهذه مرتبة ضعيفة من الاحترام والتكريم، والتي تصبح مقبولة إذا عملنا بأوامره وأوامرهم عليهم السلام، والا فهو يشبه الاستهزاء واللعب. وقد حذر تحذيرا شديدا في الاحاديث الشريفة من قارئ القرآن الذي لا يعمل به كما نقل عن عقاب الاعمال للشيخ الصدوق رضوان الله عليه باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث "من تعلّم القرآن فلم يعمل به وآثر عليه حبّ الدنيا وزينتها استوجب



سخط الله وكان في الدرجة مع اليهود والنصارى الذي ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم"، ومن قرأ القرآن وأراد به السمعة و الوصول إلى الدنيا لقي الله ووجهه عظم لا لحم فيه وزجه القرآن على قفاه حتى يدخل النار ويسقط في النار مع الذين سقطوا ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول ربّ لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فيؤمر به إلى النار ومن قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وتفقها في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما يعطى الملائكة والانبياء والمرسلون، ومن تعلّم القرآن يريده رياء وسمعة ليماري به السفهاء ويباهي به العلماء ويطلب به الدنيا بدّد الله عزّ وجل عظامه يوم القيامة ولم يكن في النار أشدّ عذابا منه وليس نوع من أنواع العذاب الا ويعذب من شدّة غضب الله عليه وسخطه، ومن تعلّم القرآن وتواضع في العلم وعلّم عباد الله يريد ما عند الله لم يكن في الجنة أعظم ثوابا منه ولا أعظم منزلة منه ولم يكن في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة ولا نفيسة الا كان له فيها أوفر النصيب وأشرف المنازل".

وقد وردت روايات كثيرة في خصوص التفكر في معاني القرآن والاتعاظ به والتأثر به. كما في الكافي الشريف عن الامام الصادق عليه السلام قال: **"ان هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدّجى فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور"**.. ومقصوده عليه السلام أنه كما أن الانسان لا بد له من النور الظاهري اذا كان يمشي في الظلمات حتى يصان من خطر السقوط في المهاوي، كذلك لابدّ له أن يمشي في ظلمات طريق السير إلى الاخرة وإلى الله بالقرآن الذي هو نور الهداية والمصباح المنير في طريق العرفان والايمان، كي لا يقع في المزلاّت المهلكة.



وفي معاني الاخبار في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **"الفقيه من لا يترك القرآن رغبة عنه ويتوجّه إلى غيره، الا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقّه"**.

وروي في الخصال ومعاني الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **"حملة القرآن عرفاء أهل الجنة"**.

ومن المعلوم أن المراد من هذا الحمل هو حمل معارف القرآن وعلومه التي تكون نتيجته في الاخرة ان الحامل يكون في عداد اهل المعرفة وأصحاب القلوب، كما أنه لو حمل صورة القرآن من دون الاتعاظ بمواعظه وتحمّل معارفه وحكمه والعمل بأحكامه وسننه، فهو كما قال تعالى: "مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا".

والاحاديث الشريفة في شؤون القرآن الشريف وآدابه أكثر من أن تسع في هذا المختصر. والسلام على محمد وآله.



المصباح الثاني

في ذكر نبذة من آداب القراءة في خصوص الصلاة

وفيه عدة فصول

الفصل الاول

[في آداب القراءة في الصلاة خاصة]

اعلم أن للقراءة في هذا السفر الروحاني والمعراج الالهي مراتب ومدارج نكتفي ببعضها بما يناسب هذه الرسالة.

أولها: ألّا يشتغل القارئ الا بتجويد القراءة وتحسين العبارة، ويحصر همّه بالتلفّظ بهذه الكلمات وتصحيح مخارج الحروف حتى يؤدي التكليف ويسقط عنه. ومعلوم أن التكاليف لهؤلاء الاشخاص موجبة للكلفة والمشقة وقلوبهم منها متضجرة وبواطنهم عنها منحرفة، وليس لهم حظ من العبادة،



الا أنهم ليسوا معاقبين بعقاب تاركها، إلا ان يتفضّل عليهم من خزائن الغيب ويقعوا موردا للاحسان والانعام لمجرد لقلقة اللسان، ويحدث لهذه الطائفة أحيانا أن تكون ألسنتهم مشغولة بذكر الحق وقلوبهم عنه عارية وخالية ومتعلقة بالكثرات الدنيوية والمشاغل الملكية، وهذه الطائفة داخلة في الصلاة بحسب الصورة ولكنهم بحسب الباطن والحقيقة مشغولون بالدنيا ومأربها وشهواتها، ويتفق أحيانا أن تكون قلوبهم أيضا مشغولة بالتفكر في تصحيح صورة الصلاة. ففي هذه الصورة قد دخلوا في صورة الصلاة بحسب القلب واللسان، وهذه الصورة منهم مقبولة ومرضية.

الطائفة الثانية: هم الذين لا يقتنعون بهذا الحد بل يرون الصلاة وسيلة لتذكر الحق ويعدّون القراءة تحميدا وثناء على الحق، ولهذه الطائفة مراتب كثيرة يطول ذكرها. ولعله أشير إلى هذه الطائفة في الحديث القدسي الشريف "**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله يقول الله حمدني عبدي وأثنى عليّ وهو معنى سمع الله لمن حمده. و اذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظّمني عبدي، واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجّدني عبدي، وفي رواية فوّض إليّ عبدي واذا قال ايّاك نعبد وإياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي، واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**".

وحيث أن الصلاة قد قسمت بحسب هذا الحديث الشريف بين الحق والعبد فلا بدّ للعبد أن يقوم بحق المولى إلى حده ويقوم بأدب العبودية الذي ذكره هذا الحديث حتى يعامله الحق تعالى شأنه باللطائف الربوبية كما يقول تعالى ﴿**أوفوا بعهدي أوف بعهدكم**﴾.

والحق تعالى قد أقام آداب العبودية في القراءة على أربعة اركان:

الركن الأول: التذكر، ولا بد أن يحصل في بسم الله الرحمن الرحيم



وينظر العبد السالك إلى جميع دار التحقق بالنظر الاسمي الذي هو الفناء في المسمّى، ويعوّد القلب على أن يكون طالبا للحقّ في جميع ذرّات الممكنات ويوصل فطرة تعلّم الاسماء التي خُمّرت في ذاته بمقتضى جامعية النشأة والظهور من حضرة الاسم الله الأعظم التي أشير إليها في قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها إلى مرتبة الفعلية والظهور، ويحصل هذا المقام من الخلوة مع الحق وشدّة التذكر والتفكر في الشؤون الالهية، حتى ينتهي إلى حدّ يكون قلب العبد حقانيا ولا يكون في جميع زواياه اسم سوى الحق. وهذه مرتبة من الفناء في الالوهية، التي لا تستطيع القلوب المنكوسة القاسية للجاحدين انكارها مع هذا البيان، الا أن يكون جحودها جحودا ابليسيا، فإن تلك القلوب والعياذ بالله متنفّرة بالطبع من اسم الحق وذكره، وتنقبض اذا جرى حرف من المعارف الالهية أو ذكر من أسماء الله، ولا يفتحون بصيرتهم الا إلى الشهوات البطنية والفرجية، وفي هذه الطائفة أفراد لا يعتقدون للانبياء والأولياء عليهم السلام أيضا سوى المقامات الجسمانية والجنة الجسمانية التي يُقضى فيها الوطر الحيواني، ويحسبون عظمة المقامات الاخروية كالعظمة الدنيوية بسعة البساتين والانهار الجارية وكثرة الحور والغلمان والقصور، واذا سمعوا كلاما عن العشق والمحبة والجذبة الالهية فيتهجّمون على صاحبه بالالفاظ الركيكة والكلمات القبيحة، وكأن هذا الكلام سبّ لهم وعليهم أن يردوا عليه! فهؤلاء سدود طريق الانسانية وأشواك طريق معرفة الله وشياطين الانس المخادعون ويقطعون الطريق على الحق واسمائه وصفاته وذكره ويتوجهون إلى المقاصد الحيوانية والشهوات البطنية والفرجية. فهؤلاء عمال الشيطان بمقتضى: "ولاقعدنّ لهم صراطك المستقيم"، يقعدون على الصراط الإلهي المستقيم ولا يدعون أحدا يحصل له الانس مع إلهه، أو ينجو من ظلمات التعلّق بالشهوات الحيوانية التي منها التعلّق بالحور والقصور.



ومن الممكن أن يستشهد هؤلاء من أدعية الانبياء وأهل بيت العصمة عليهم السلام بأنهم أيضا كانوا يطلبون الحور والقصور. وهذا من قصور هذه الطائفة حيث أنهم لم يفرقوا بين حبّ كرامة الله حيث يكون النظر فيه إلى كرم المحبوب وعطائه الذي هو علامة المحبة والعناية وبين حب الحور والقصور وأمثالها استقلالا، والذي هو في خميرة الشهوة الحيوانية. فحب كرامة الله هو حب الله ويسري إلى الكرم والعناية بالتبع (أنا للعالم عاشق حيث منه الكون أجمع).

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

والا فما لعليّ والحور والقصور؟ وأي علاقة بينه وبين الأهواء النفسانية والشهوات الحيوانية؟ من كانت عبادته عبادة الاحرار لا يكون جزاؤه جزاء التجار.. قد أُرخي عنان القلم وبعدت عن المطلب.

وبالجملة من عوّد نفسه على قراءة الأيات والاسماء الالهية من كتاب التكوين والتدوين الالهين يصير قلبه بالتدريج على صورة الذكرى والآية ويتحقق باطن الذات بذكر الله واسم الله وآية الله كما فسر وطبّق "الذكر" على الرسول الاكرم وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليهما وآلهما والاسماء الحسنى على أئمة الهدى وكذلك فسّرت وطبّقت "آية الله" عليهم، فهم الأيات الالهية واسماء الله الحسنى وذكر الله الأكبر. ومقام الذكر من المقامات العالية الجليلة التي لا يسع المجال لبيانها وهو فوق حدود التقرير والتحرير، وتكفي لاهل المعرفة والجذبة الالهية وأصحاب المحبة والعشق الآية الشريفة الالهية ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾. وقال الله تعالى لموسى: ﴿**يا موسى أنا جليس من ذكرني**﴾.. وفي رواية الكافي قال رسول الله صلى الله عليه وآله "**من اكثر ذكر الله أحبه الله**"

وفي الوسائل باسناده إلى الصادق عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ "**يابن آدم اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي، يابن آدم اذكرني في**



خلاء أذكرك في خلاء يابن آدم اذكرني في ملأ أذكرك في ملأ خير من ملئك". وقال: "ما من عبد ذكر الله في ملأ من الناس الا ذكره الله في ملأ من الملائكة".

الركن الثاني: التحميد وهو في قول المصلّي الحمد لله رب العالمين.

اعلم ان المصلّي اذا تحقق بمقام الذكر ورأى جميع ذرّات الكائنات، من أعلى موجودات إلى أدناها أسماء إلهية وأخرج عن قلبه جهة الاستقلال ونظر إلى موجودات عوالم الغيب والشهود بعين الاستظلال تحصل له مرتبة التحميد ويعترف قلبه ان جميع المحامد من مختصات الذات الاحدية وليس لسائر الموجودات فيها شركة لأنه ليس لها كمال من أنفسها حتى يقع الحمد والثناء لها، ويأتي البيان التفصيلي لهذه اللطيفة الالهية في تفسير هذه السورة المباركة ان شاء الله تعالى.

الركن الثالث: هو التعظيم، وهو يحصل في الرحمن الرحيم

إن العبد السالك إلى الله اذا حصر المحمدة في ركن التحميد بالحق تعالى وسلب الكمال والتحميد عن الكثرات الوجودية يقرب من أفق الوحدة وتعمى بالتدريج عينه الناظرة إلى الكثرة وتتجلى على قلبه الصورة الرحمانية التي هي بسط الوجود والصورة الرحيمية التي هي بسط كمال الوجود. ويصف الحق بالاسمين المحيطين الجامعين المضمحلة فيهما الكثرات فيحصل للقلب بواسطة التجلي الكمالي الهيبة الحاصلة من الجمال فتستقر عظمة الحق في قلبه.

واذا تمكنت هذه الحالة في قلبه ينتقل إلى الركن الرابع وهو مقام التقديس الذي هو حقيقة التمجيد. وبعبارة أخرى تفويض الامر إلى الله، وهو عبارة عن رؤية مقام مالكية الحق وقاهريته وزوال غبار الكثرة وانكسار أصنام كعبة القلب، وظهور مالِك بيت القلب والتصرف فيه بلا مزاحم شيطاني. ويصل في هذه الحالة إلى مقام الخلوة. ولا يكون بين العبد والحق



حجاب وتقع اياك نعبد واياك نستعين في تلك الخلوة الخاصة ومجمع الانس، ولهذا قال: هذا بيني وبين عبدي، واذا شملته العناية الازلية وأفاق يسأله الاستقامة في هذا المقام والتمكين بقوله اهدنا الصراط المستقيم، ولهذا فسّر اهدنا بألزمنا وأدمنا وثبّتنا. وهذا لاولئك الذين خرجوا من الحجاب ووصلوا إلى المطلوب الازلي. وأما أمثالنا نحن أهل الحجاب لا بد وأن نسأل الهداية من الحق تعالى بمعناها المعروف، ولعلّه تأتي بقية من هذا في تفسير سورة الحمد المباركة، ان شاء الله تعالى.

تكميل: يظهر من الحديث القدسي الشريف أن الصلاة كلها قسّمت بين الحق والعبد وقد ذكر الحمد من باب النموذج والمثل. فبناء على هذا نقول: مثلا ان التكبيرات الصلاتية من الافتتاحية وغيرها التي تقال أثناء تقلب الاحوال الصلاتية هي حظ الربوبية وقسمة الذات المقدسة، فإن قام العبد السالك إلى الله بوظيفة العبودية هذه وأدّى حق الربوبية بقدر وسعه فيؤدي الحق تعالى أيضا بألطافه الخاصة الازلية حق العبد وهو فتح باب المراودة والمكاشفة، كما اشار اليه في الحديث الشريف في مصباح الشريعة حيث يقول: **فاذا كبّرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه**"، إلى أن قال: فاعتبر انت قلبك حين صلاتك فإن كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسرورا بمناجاته ملتذا بمخاطباته فاعلم أنه قد صدّقك في تكبيرك، والا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه.

وعلى هذا المقياس ففي كل حال من الاحوال والأفعال الصلاتية حق لله تعالى لابد للعبد من القيام به وهو آداب العبودية في ذلك المنزل وللعبد حظ ونصيب يعطيه الحق باللطف الخفي والرحمة الجلية بعد قيام العبد بآداب العبودية، واذا رأى نفسه في هذه المواقيت الالهية محروما من العنايات الخاصة فيعلم أنه لم يقم بآداب العبودية، وعلامة ذلك للمتوسطين





ان لا تذيق ذائقة القلب لذة المناجاة وحلاوة العبادات ويحرم عن البهجة والسرور والانقطاع إلى الحق.

والعبادة التي تخلو من اللذة والحلاوة عبادة بلا روح ولا يستفيد القلب منها.

فيا أيها العزيز آنس القلب بآداب العبودية وأذق ذائقة الروح حلاوة الذكر، وهذه اللطيفة الالهية تحصل في بدء الامر بشدة التذكر والانس بذكر الحق، ولكن في الذكر لا يكونن القلب ميّتا ولا تستولينّ عليه الغفلة، فإذا آنست القلب بالتذكر فتشملك العنايات الازلية بالتدريج ويفتح على قلبك أبواب الملكوت؛ وعلامة ذلك التجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت.

اللهم أعطنا نصيباً من لذة المناجاة وحلاوة المخاطبين واجعلنا في زمرة الذاكرين والمنقطعين إلى عزّ قدسك، وهب لقلوبنا الميّتة حياة دائمة واقطعها عمّن سواك ووجهها اليك انك ولي الفضل والانعام.

الفصل الثاني
في بعض آداب الاستعاذة

قال تعالى: **﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون انما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون ﴾**.

من الآداب المهمة للقراءة وخصوصا القراءة في الصلاة التي هي السفر الروحاني إلى الله والمعراج الحقيقي ومرقاة وصول اهل الله، الاستعاذة من الشيطان الرجيم الذي هو شوكة طريق المعرفة ومانع السير والسلوك إلى الله، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه في سورة الاعراف المباركة حيث



قال: ﴿فبما أغويتني لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم﴾، فإنه أقسم ان يسد الطريق على أبناء آدم ويمنعهم عنه. ففي الصلاة التي هي الصراط المستقيم للانسانية ومعراج الوصول إلى الله لا يتحقق الوصول من دون الاستعاذة من هذا القاطع للطريق، ولا يحصل الامان من شرّه من دون الاستعاذة بحصن الالوهية الحصين، ولا تتحقق هذه الاستعاذة بلقلقة اللسان والصورة الفاقدة للروح، والدنيا بلا آخرة، كما هو مشهود في أشخاص نطقوا بهذا اللفظ لمدة أربعين أو خمسين سنة وما نجوا من شرّ هذا القاطع للطريق ويتبعون الشيطان في الاخلاق والأعمال بل في العقائد القلبية. ولو كنا مستعيذين حقاً من شرّ هذا الخبيث، لأعاذنا الحق تعالى بذاته المقدسة وهو الفيّاض المطلق وصاحب الرحمة الواسعة والقدرة الكاملة والعلم المحيط والكرم البسيط، وأصلح ايماننا وأخلاقنا وأعمالنا. فلا بدّ أن نعلم بأنّ تأخّرنا عن هذا السير الملكوتي والسلوك الالهي بسبب إغواء الشيطان والوقوع تحت السلطنة الشيطانية من قصورنا أو من تقصيرنا، حيث لم نقم بآدابه المعنوية وشرائطه القلبية، كما أن عدم نيلنا في جميع الاذكار والأوراد والعبادات نتائجها الروحية والآثار الظاهرية والباطنية فهو بسبب هذه المسألة الدقيقة. ويستفاد من الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة للمعصومين عليهم السلام آداب كثيرة وتعدادها كلها يحتاج إلى الفحص الكامل واطالة الكلام ونحن نكتفي بذكر بعضها.

فمن مهمّات آداب الاستعاذة الخلوص كما نقل سبحانه عن الشيطان انه قال: ﴿فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين﴾. وهذا الاخلاص كما يظهر من الكريمة الشريفة أعلى من الاخلاص العملي سواء في العمل الجوانحي أم الجوارحي لأن المخلَص جاء بصيغة المفعول، ولو كان المنظور هو الاخلاص العملي لكان التعبير بصيغة الفاعل. فالمقصود من هذا الاخلاص هو خلوص الهوية الانسانية بجميع الشؤون الغيبية

والظاهرية حيث الاخلاص العملي من رشحاته، وهذه الحقيقة واللطيفة الالهية وان كانت لا تحصل للعامة في ابتداء السلوك الا بشدة الرياضات العملية وخصوصا الرياضات القلبية التي هي أصلها، كما أشير اليه في الحديث المشهور: "**من أخلص لله أربعين صباحا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**"، فمن أخلص أربعين صباحا (بمقدار تخمير طينة آدم، وكان أربعين صباحا، والربط بينهما معلوم عند أهل المعرفة وأصحاب القلوب) نفسه لله وأخلص أعماله القلبية والقالبية للحق تعالى يصبح قلبه الهيا ولا ينفجر من القلب الالهي سوى عيون الحكمة، فيكون لسانه الذي هو أكبر ترجمان للقلب ناطقا بالحكمة.

ففي أول الامر يكون اخلاص العمل موجبا لخلوص القلب فاذا صار القلب خالصا تظهر على مرآة القلب أنوار الجلال والجمال التي أودعت بالتخمير الالهي في الطينة الآدمية، وتتجلى وتسري من باطن القلب إلى ظاهر ملك البدن.

وبالجملة، ذاك الخلوص الذي يوجب الخروج من تحت السلطنة الشيطانية هو خلوص هوية الروح وباطن القلب لله تعالى، و إلى هذا الخلوص يشير أمير المؤمنين سلام الله عليه في المناجاة الشعبانية: **إلهي هب لي كمال الانقطاع اليك**.. فإذا وصل القلب إلى هذه المرتبة من الاخلاص، وانقطع بالكامل عما سوى الله ولم يتطرق في مملكة وجوده غير الحق، فإن الشيطان ـ الذي يجد طريقه إلى الانسان من غير طريق الحق ـ لن يجد طريقا إليه؛ ويقبله الحق تعالى في معاذه ويقع في الحصن الحصين للالوهية، كما قال تعالى: **كلمة لا اله الا الله حصني فمن دخل في حصني أمن من عذابي**.. وللدخول في حصن لا اله الا الله مراتب كما أن للأمن من العذاب أيضا مراتب، فمن دخل بباطنه وظاهره وقلبه وقالبه في حصن الحق وصار في معاذه فقد أمن من جميع مراتب العذاب، وأعلى مراتبها



عذاب الاحتجاب عن جمال الحق والفراق عن وصال المحبوب جلّ وعلا فالمولى أمير المؤمنين يقول في دعاء كميل: **فهبني صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك**. ويدنا عن الوصول إليه قاصرة. فمن حصل له هذا المقام فهو عبد الله على الحقيقة ويقع تحت قباب الربوبية ويكون الحق تعالى متصرفا في مملكته ويخرج من ولاية الطاغوت. وهذا المقام من أعز مقامات الاولياء وأخص مدارج الاصفياء وليس لسائر الناس منه حظ، بل لعل القلوب القاسية للجاحدين والنفوس الصلبة للمجادلين البعيدة عن هذه المرحلة بمراحل تنكر هذه المقامات، ويحسبون الكلام في أطرافها باطلا، بل ينسبون ـ والعياذ بالله ـ هذه الامور، التي هي قرّة عين الاولياء والكتاب والسنّة مشحونة بها، إلى اختراعات الصوفية وأراجيف الحشوية.

ونحن ايضا ان ذكرنا هذه المقامات التي هي في الحقيقة مقام الكمّل فليس من جهة أن لنا فيها حظا أو أننا نمدّ اليها عين الطمع، بل من جهة أننا لا نجوّز انكار المقامات ونرى ذكر الاولياء ومقاماتهم دخيلا في تصفية القلوب وتخليصها وتعميرها. لأن ذكر خير أصحاب الولاية والمعرفة يوجب المحبة والتواصل والتناسب، وهذا التناسب يوجب التجاذب وهذا التجاذب يؤدي إلى التشافع الذي ظاهره الاخراج من ظلمات الجهل إلى أنوار الهداية والعلم، وباطنه الظهور بالشفاعة في عالم الآخرة؛ لأن شفاعة الشافعين لا تكون من دون تناسب وتجاذب باطني ولا تكون من الجزاف والباطل.

وبالجملة، التخلّص بهذه المرتبة الكاملة، وان كان لا يتحقق لغير الكمّل من الاولياء والاصفياء عليهم الصلاة والسلام بل المقام الكامل لهذه المرتبة من مختصات النبي الخاتم والقلب الخالص النوراني الاحدي الاحمدي الجمعي المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم بالاصالة وللكمّل والخلّص من أهل بيته بالتبعية. ولكن لا يجوز للمؤمنين والمخلصين أيضا أن يغضّوا النظر عن جميع مراتبه ويقنعوا بالاخلاص الصوري العملي



والخلوص الظاهري الفقهي؛ لأن الوقوف في المنازل من الأعمال العبقرية لإبليس، الذي قعد على صراط الانسان والانسانية، لمنعه بأيه وسيلة ممكنة من العروج إلى الكمالات والوصول إلى المدارج. فلا بدّ من علوّ الهمة وتقوية الارادة، فلعل هذا النور الالهي واللطيفة الربانية تسري من الصورة إلى الباطن ومن الملك إلى الملكوت.

والانسان اذا نال أي مرتبة من الاخلاص يكون بمقدارها في لواذ الحق وتتحقق الاستعاذة وتقصر يد تصرّف العفريت الخبيث والشيطان عنه.

فأنت اذا أخلصت الصورة الملكية الانسانية لله، وجعلت الجيوش الظاهرة الدنيوية للنفس التي هي عبارة عن القوى المتشتتة في ملك البدن في ملاذ الحق وطهّرت الاقاليم السبعة الارضية أي البصر والسمع واللسان والبطن والفرج واليد والرجل من قذارات المعاصي وجعلتها تحت تصرّف ملائكة الله التي هي الجيوش الالهية فتصير هذه الاقاليم بالتدريج حقانية وتتصرّف بتصرف الحق حتى يكون هو نفسه أيضا من ملائكة الله أو مثل ملائكة الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. فتحصل المرتبة الاولى من الاستعاذة ويرحل الشيطان وجيوشه عن المملكة ويتوجّهون إلى الباطن ويهجمون على القوى الملكوتية النفسانية، فمن هذه الجهة يصير عمل السالك أصعب وسلوكه أدق، ولا بد له أن يجعل قدم سيره أقوى ومراقبته أكمل ويستعيذ بالله المتعال من المهالك النفسانية، من العجب والرياء والكبر والخيلاء وغيرها، ويشتغل بالتدريج بتصفية الباطن من الكدورات المعنوية والقذارات الباطنية.

وفي هذا المقام بل جميع المقامات، إن من مهمّات السلوك وأركان العروج التوجّه التام إلى التوحيد الحق الفعلي وتذكير القلب بهذه اللطيفة الالهية والمائدة السماوية، واذاقة القلب حقيقة مالكية الحق تعالى للسموات والارض والباطن والظاهر والملك والملكوت حتى يرتاض القلب



بالتوحيد في الالهية ونفي الشريك في التصرف ويخمّر بالتخمير الالهي ويربّى بالتربية التوحيدية، فلا يرى القلب ولا يعلم في هذه الحالة مفزعا ولا ملجأ ولا ملاذا ولا معينا سوى الحق، ويستعيذ بالحق ومقام الالوهية المقدس بالطوع والحقيقة، وما لم يمنع القلب عن تصرّف سائر الخلق ولم يغمض عين الطمع عن الموجودات لا يلوذ بالله على الحقيقة، وتكون دعواه كاذبة، وينسلك بحسب مسلك أهل المعرفة في زمرة المنافقين ويُنسب إلى الخدعة والخديعة.

وفي هذا الوادي المهيب والبحر العميق المهول، فإن استفادة التوحيدات الثلاثة استفادة علمية من نفخة حكيم رباني أو عارف نوراني يتصل علمه بالأولياء الكاملين يعين باطن القلب اعانة لائقة؛ ولكن شرط هذه الاستفادة أن يشتغل بها بنظر الآية والعلامة والسير والسلوك إلى الله، وإلا كان نفسه شوكة الطريق وحجاب رؤية جمال المحبوب.. كما وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا العلم في حديث الكافي الشريف بـ: "آية محكمة".

وبالجملة، اذا استحكم في القلب أصل التوحيد الفعلي للحق وسقي بماء العلم التوأم للعمل اللطيف الذي يقرع باب القلب تكون نتيجته تذكر مقام الالوهية، ويصفو القلب بالتدريج للتجلي الفعلي للحق. فاذا خلت الدار من الخائن والعش من الأجنبي يتصرف في البيت صاحبه وتجعل يد ولاية الحق القوى الملكوتية والملكية من ملكوت الباطن والقلب إلى الملك وظاهر البدن تحت تصرفه وحكومته وترتحل الشياطين كلها من هذه المرحلة أيضا وترجع مملكة الباطن إلى استقلالها الذي هو عين الاستظلال بالحق، وهذه هي المرتبة الثانية (من اللطيفة الربانية للاستعاذة). وبعد هذا المقام استعاذة الروح واستعاذة السر وسائر مراتب الاستعاذة التي لا تتناسب مع هذه الاوراق. وهذا المقدار أيضا ظهر في صورة الكتابة من طغيان القلم أو



من إجراء قلم المولى جلّ وعلا، وإليه المفزع.

ومن الآداب والشرائط الاستعاذة التي أشير إليها في الآية الشريفة التي ذكرناها في أول الفصل هو الايمان وهو غير العلم، حتى العلم الذي حصل بالبرهان الحكمي (قدم الاستدلاليين خشبية).

الايمان حظ القلب الذي يحصل من شدة التذكر والتفكر والأنس والخلوة مع الحق. فإن الشيطان مع أن له العلم بالمبدأ والمعاد بنصّ القرآن محسوب في زمرة الكفّار، فلو كان الايمان عبارة عن هذا العلم البرهاني يلزم أن يكون الواجدون لهذا العلم بعيدين عن تصرّف الشيطان ويتلألأ فيهم نور هداية القرآن، مع أننا نرى أن هذه الاثار لا تحصل بالايمان البرهاني. فإن اردنا أن نخرج من تصرّف الشيطان ونقع تحت عوذة الحق لابد وأن نوصل الحقائق الايمانية إلى القلب بالارتياض القلبي الشديد ودوام التوجّه أو كثرته وشدّة المراودة والخلوة حتى يصبح القلب إلهيا. فإذا صار القلب إلهياً يخلو من تصرّف الشيطان كما قال الله تعالى: ﴿**الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾. فالمؤمنون الذين يتصرف الحق تعالى ويتولى ظاهرهم وباطنهم وسرّهم وعلانيتهم خالصون من تصرّفات الشيطان وداخلون في سلطان الرحمن، ويخرجهم من جميع مراتب الظلمات إلى النور المطلق فينتقلون من ظلمة المعصية والطغيان ومن ظلمة كدورات الاخلاق الرذيلة وظلمة الجهل والكفر والشرك ورؤية النفس وحب النفس والعجب إلى نور الطاعة والعبادة وأنوار الاخلاق الفاضلة ونور العلم وكمال الايمان والتوحيد ورؤية الله وطلب الله وحب الله.

كما أن من آداب الاستعاذة التوكل، وهو أيضا من شعب الايمان ومن الانوار الحقيقية للّطيفة الايمانية وهو تفويض الامور إلى الحق الذي يحصل من ايمان القلب بالتوحيد الفعلي وتفصيله خارج عن نطاق هذه الاوراق.

فاذا لم ير العبد السالك مفزعا وملاذا غير الحق تعالى، وعلم أن



التصرّف في الامور منحصر بالذات المقدسة، تحصل في القلب حالة الانقطاع والإلتجاء والتوكل وتصير استعاذته حقيقية، فاذا لجأ بالحقيقة إلى حصن الربوبية والالوهية الحصين، يجعله لا محالة في كنف فضله الواسع ورحمته الكريمة انه ذو فضل عظيم.

تتميم ونتيجة

قد علم من مطالب الفصل السابق ان حقيقة الاستعاذة عبارة عن حالة وكيفية نفسانية تحصل من العلم الكامل البرهاني بمقام التوحيد الفعلي للحق والايمان به. أي أنه بعدما فهم من طريق العقل المنور بالبرهان المتين الحكمي والشواهد النقلية المستفادة من النصوص القرآنية واشارات الكتاب الالهي والاحاديث الشريفة وبدائعها ان السلطنة الايجادية والاستقلال في التأثير بل أصل التأثير منحصر بالذات الالهية المقدسة وليس لسائر الموجودات فيها شركة ـ كما قرّر في محله ـ لابد له من تنبيه القلب إليها، وأن يكتب بقلم العقل على لوح القلب حقيقة لا اله الا الله ولا مؤثّر في الوجود الا الله. فاذا آمن القلب بهذه اللطيفة الايمانية والحقيقة البرهانية تحصل حالة انقطاع والتجاء. واذا وجد الشيطان قاطع طريق الانسانية وعدوه القوي تحصل له حالة الاضطرار وهذه الحالة القلبية هي حقيقة الاستعاذة، وحيث أن اللسان ترجمان القلب يظهر بلسانه تلك الحالة القلبية مع كمال الاضطرار والاحتياج ويقول بالحقيقة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. واذا لم يكن في القلب اثر من هذه الحقائق وكان المتصرف في القلب وسائر مملكته الوجودية هو الشيطان، كانت استعاذته ايضا بتصرف الشيطان وتدبيره. وفي التلفّظ ينطق بالاستعاذة بالله من الشيطان، ولكن في الحقيقة، حيث أن التصرف شيطاني تقع الاستعاذة بالشيطان من الله تعالى، وتحقق هذه الاستعاذة عكس المطلوب، ويستهزئ الشيطان بقائلها. وتتبين نتيجة هذه السخرية بعد كشف الغطاء وانطواء



حجاب الطبيعة ومثل هذا الشخص الذي استعاذته لفظية فقط كمثل من يريد أن يستعيذ من شرّ العدوّ الجرّار بحصن منيع، ولكنه يعدو بنفسه نحو العدوّ، ويولّي الوجه عن الحصن ويقول لفظاً إنّي أعوذ من شرّ هذا العدو بهذا الحصن. هذا الشخص مضافا إلى أنه يبتلى بشر العدو، يكون مورد سخريته ايضا.

الفصل الثالث

في أركان الاستعاذة

وهي أربعة:

الأول: المستعيذ. الثاني: المستعاذ منه. الثالث: المستعاذ به. الرابع: المستعاذ لأجله.

اعلم أن لهذه الأركان تفاصيل كثيرة خارجة عن مجال هذه الأوراق ونحن نكتفي بذكر مختصر منها.

الركن الأول في المستعيذ:

وهو الحقيقة الإنسانية من أول منزل السلوك إلى الله إلى منتهى النهاية للفناء الذاتي، وإذا تم الفناء المطلق هلك الشيطان وتمت الاستعاذة.

وتفصيل هذا الإجمال أن الإنسان ما دام مقيما في بيت النفس والطبيعة ولم يشتغل بالسفر الروحاني والسلوك إلى الله وهو تحت السلطنة الشيطانية بجميع شؤونها ومراتبها لم يتلبس بحقيقة الاستعاذة. ولقلقة لسانه تكون بلا فائدة بل هي تثبيت وتحكيم للسلطنة الشيطانية إلا بالتفضل والعناية الإلهية. فإذا تلبس بالسير والسلوك إلى الله وشرع في السفر الروحاني فما دام في السير والسلوك فكل ما كان مانعا له من هذا السفر وشوكا في طريقه فهو شيطانه سواء أكان من القوى الروحانية الشيطانية أم من الجن

والأنس، لأن الجن والأنس أيضا إذا كانوا شوك الطريق ومانعو السلوك إلى الله فإنهم من أعوان الشيطان وتصرفه كما أشار إليه سبحانه وتعالى في سورة الناس المباركة حيث يقول: ﴿ **من شرّ الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس** ﴾، فالشيطان إن كان جنّا فيستفاد من الآية الشريفة إن الوسواس الخنّاس الذي هو الشيطان جنّ وإنس ـ أحدهما بالأصالة والآخر بالتبعية، وان كان الشيطان حقيقة أخرى شبيهة بالجن فيعلم من الآية الشريفة أن هذين النوعين يعني الجن والأنس أيضا تمثّلات شيطانية ومن مظاهره. وقد أشار إلى هذا المعنى في آية أخرى أيضا حيث يقول: ﴿ **شياطين الأنس والجن** ﴾ وقد أشار سبحانه في هذه السورة المباركة إلى الأركان الأربعة المذكورة كما هو ظاهر.

وبالجملة، الإنسان قبل شروعه في السلوك والسير إلى الله ليس مستعيذا، وبعد نهاية السير، وعدم بقاء أي من آثار العبودية ونيل الفناء الذاتي المطلق لا يبقى أثر من الاستعاذة والمستعاذ منه والمستعيذ، ولا يكون في قلب العارف شيء سوى الحق والسلطنة الإلهية، وليس له خبر عن قلبه وعن نفسه أيضا، وأعوذ بك منك أيضا ليس في هذا المقام. فإذا حصل له الصحو والأنس والرجوع تكون الاستعاذة حقيقية أيضا ولكن لا كاستعاذة السالك. ولهذا أمر الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضا بالاستعاذة كما قال الله تعالى: ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾. و ﴿ **قل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربّ أن يحضرون** ﴾.

فالإنسان لا يكون مستعيذا في مقامين. أحدهما قبل السلوك وهو حالة الاحتجاب المحض تحت تصرف الشيطان وسلطنته، والآخر بعد ختم السلوك وحصول الفناء المطلق، لأنه لا يكون ثمة خبر عن المستعيذ والمستعاذ له والاستعاذة.

والإنسان مستعيذ في مقامين، أحدهما حال السلوك إلى الله، وهو



يستعيذ من أشواك الوصول التي قعدت على الصراط المستقيم للإنسانية كما حكى سبحانه من قول الشيطان: "فما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم"، والآخر في حال الصحو والرجوع من الفناء المطلق، حيث يستعيذ من الإحتجابات التلوينية وغيرها.

الركن الثاني في المستعاذ منه:

وهو إبليس اللعين والشيطان الرجيم الذي يمنع الإنسان بحبائله المتنوعة من الوصول إلى المقصد، وحصول المقصود. وما ذكره بعض أعاظم أهل المعرفة من أن حقيقة الشيطان عبارة عن جميع العالم بجنبته السوائية فليس بتام لدى الكاتب لأن الجنبة السوائية التي هي عبارة عن الصورة الموهومة العارية عن الحقيقة الخالية عن التحقق والواقعية من حبائل إبليس التي يشغل الإنسان بها، ولعله إلى هذا المعنى أشير في قوله تعالى: ﴿ **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر** ﴾ و إلا فنفس إبليس حقيقة ذات تجرّد مثالي والحقيقة الإبليسية الكليّة التي هي رئيس الأبالسة والإبليس الكل أيضا، كما أن الحقيقة العقلية المجرّدة الكلية وهي آدم الأول هي عقل الكل. وإن القوى الواهمة الجزئية الملكية من مظاهر إبليس وشؤونه، كما أن العقول الجزئية شؤون العقل الكلّي ومظاهره. وتفصيل هذا المقام وتحقيقه خارج عن مجال هذه الرسالة.

وبالجملة، ما كان في هذا السلوك الإلهي والسير إلى الله مانعا من السير وشوكا في الطريق فهو الشيطان أو مظاهره التي أعمالها أيضا عمل الشيطان، وما كان من عوالم الغيب والشهود والعوارض الحاصلة للنفس وحالاتها المختلفة حجابا لجمال المحبوب سواء أكان من العوالم الملكية الدنيوية كالفقر والغنى والصحة والمرض والقدرة والعجز والعلم والجهل والآفات والعاهات وغيرها، أو كان من العوالم الغيبية التجردية والمثالية كالجنة وجهنم، والعلم المتعلق بها حتى العلوم العقلية البرهانية الراجعة



إلى توحيد الحق وتقديسه كل ذلك من حبائل إبليس التي تمنع الإنسان عن الحقّ والأنس به والخلوة معه وتشغله بذلك، حتى الاشتغال بالمقامات المعنوية والوقوف في المدارج الروحانية الذي ظاهره الوقوف في الصراط الإنساني وباطنه الوقوف في صراط الحق الذي هو الجسر الروحاني لجهنم الفراق والبعد وينتهي إلى جنة اللقاء. وهذا الجسر مخصوص بطائفة قليلة من أهل المعرفة وأصحاب القلوب، وهو من الحبائل العظيمة لإبليس الأبالسة و لابد من الاستعاذة منه بذات الحق المقدسة جلّ شأنه.

وبالجملة، ما منعك عن الحق وحجبك عن جمال المحبوب الجميل فهو شيطانك سواء أكان في صورة الإنسان أم الجن، وكل ما يمنعك به الشياطين عن هذا المقصد والمقصود فهو حبائل الشيطان سواء كان من سنخ المقامات والمدارج أو العلوم والكمالات أو الحرف والصنائع أو العيش والراحة أو المشقة والذلّة أو غيرها، وهذه عبارة عن الدنيا المذمومة؛ وبعبارة أخرى تعلق القلب بغير الحق هو دنياه وهو المذموم وحبائل الشيطان و لابد من الاستعاذة منها. وما نقل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه كان يقول: **"أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التي لا يجاوزهنّ بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها وشر ما ينزل من الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير"** فلعل المقصود منه هذا المعنى.

والاستعاذة بوجه الله وبكلمات الله هي الاستغراق في بحر الجمال والجلال، وما منع الإنسان منه فهو من الشرور ومرتبط بعالم الشيطان ومكائده ولا بدّ من الاستعاذة منه بوجه الله سواء أكان من الحقائق السماوية الكاملة أو الأرضية الناقصة إلا أن يكون طارقا بخير وهو الطارق الإلهي الذي يدعو إلى الخير المطلق وهو الحق تعالى.



الركن الثالث: في المستعاذ به:

اعلم أن حقيقة الاستعاذة حيث أنها متحققة في السالك إلى الله وحاصلة في السير والسلوك إلى الحق، أي إن الاستعاذة تختص بالسالك في مراتب السلوك، فتختلف حقيقة الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ منه والمستعاذ به بحسب مقامات ومراتب السائرين و مدارج ومنازل السالكين، ويمكن أن تكون إشارة إلى ذلك سورة الناس الشريفة حيث يقول تعالى: **﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس﴾** فيستعيذ السالك بمقام الربوبية من مبادئ السلوك إلى حدود مقام القلب، ويمكن أن تكون هذه الربوبيّة، الربوبية الفعلية فتطابق أعوذ بكلمات الله التامات. فإذا انتهى سير السالك إلى مقام القلب فيظهر في القلب مقام السلطنة الإلهية فيستعيذ في هذا المقام بمقام ملك الناس من شر تصرفات إبليس القلبية وسلطنته الباطنية الجائرة، كما يستعيذ في المقام الأول من شر تصرفاته الصدرية، ولعل ما قاله تعالى **﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾** مع أن الوسوسة في القلوب والأرواح أيضا من الخناس، لأجل أن الأنسب في مقام التعريف أن يكون التعريف بالشأن العمومي والصفة الظاهرة عند الكل.

فإذا تجاوز السالك مقام القلب أيضا إلى مقام الروح الذي هو من النفخة الإلهية واتصاله بالحق اشّد من اتصال شعاع الشمس بالشمس، فيشرع في هذا المقام مبادئ الحيرة و الهيمان والجذبة والعشق والشوق، ويستعيذ في هذا المقام أيضاً بإله الناس، فإذا ترقى من هذا المقام وكانت الذات بلا مرآة الشؤون نصبَ عينيه، وبعبارة أخرى إذا وصل إلى مقام السر، فالمناسب له أعوذ بك منك. وفي هذه المقامات تفصيل لا يناسب هذه المقالة.

وأعلم أن الاستعاذة باسم الله من حيث جامعيته تناسب جميع المقامات



وهي في الحقيقة الاستعاذة المطلقة، وسائر الاستعاذات استعاذات مقيّدة.

الركن الرابع: في المستعاذ له، يعني غاية الاستعاذة:

اعلم أن ما هو المطلوب بالذات للإنسان المستعيذ فهو من نوع الكمال والسعادة والخير، ويتفاوت ذلك على حسب مراتب السالكين ومقاماتهم تفاوتا كثيرا. فالسالك ما دام في بيت النفس وحجاب الطبيعة تكون غاية سيره حصول الكمالات النفسانية و السعادات الطبيعية الخسيسة. وهذا في مبادئ السلوك، فإذا خرج من بيت النفس وذاق شيئا من المقامات الروحانية و الكمالات التجردية فيصير مقصده أعلى و مقصوده أكمل، فيلقي المقامات النفسانية وراء ظهره وتكون قبلة مقصوده حصول الكمالات القلبية و السعادات الباطنية. فإذا أفلت عنان السير في هذا المقام أيضا ووصل إلى منزل السر الروحي فتبرز في باطنه مبادئ التجليات الإلهية ويكون لسان باطنه في بادئ الأمر وجّهت وجهي لوجه الله ثم بعد ذلك وجهت وجهي لأسماء الله أو لله ثم بعد ذلك وجهت وجهي له، ولعل الجهة في وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض راجعة إلى المقام الأول بمناسبة الفاطرية.

وبالجملة، فالسالك غايته الحقيقية في كل مقام حصول الكمال والسعادة بالذات، وحيث أن مع السعادة والكمالات في كل مقام شيطان قرين وفخ من أفخاخه مانع من الحصول، فلا بد للسالك أن يستعيذ بالحق تعالى من ذلك الشيطان وشروره وحبائله لحصول المقصود الأصلي والهدف الذاتي. ففي الحقيقة، غاية الاستعاذة للسالك حصول ذلك الكمال المترقب والسعادة المطلوبة والحق تعالى جلت عظمته غاية الغايات ومنتهى الطلبات. وفي هذا المقام أو ما بعده يمحى كل شيء إلا هو جل وعلا، وتقع الاستعاذة من الشيطان بالتبع وفي حال الصحو. والحمد لله أولا و آخراً.





الفصل الرابع
في بعض آداب التسمية

روي في التوحيد عن الرضا عليه السلام حين سئل عن تفسير البسملة: **"معنى قول القائل بسم الله أي اسم على نفسي سمة من سمات الله وهي العبادة. قال الراوي: فقلت: ما السمة؟ قال: العلامة"**.

اعلم جعلك الله وإيانا من المتّسمين بسمات الله أن الدخول في منزل التسمية لا يتيسر للسالك إلا بعد الدخول في منزل الاستعاذة واستيفاء حظوظ ذاك المنزل، فما دام الإنسان في تصرّف الشيطان ومقهوراً تحت سلطنته فهو متّسم بالسمات الشيطانية، وإذا غلب على باطنه وظاهره غلبة تامة يصير هو بجميع مراتبه آية وعلامة له، وإذا أتى بالتسمية في هذا المقام فيقولها بالإرادة الشيطانية والقوة الشيطانية واللسان الشيطاني ولا يحصل من استعاذته وتسميته سوى تأكيد السلطنة الشيطانية. فإن استيقظ بتوفيق الله من نوم الغفلة وحصلت له حالة اليقظة وأحسّ بلزوم السير والسلوك إلى الله بنور الفطرة الإلهية وأنوار التعاليم القرآنية وسنن الهداة إلى طريق التوحيد في منزل اليقظة وأدرك القلب موانع السير فتحصل له حالة الاستعاذة بالتدريج وبعد ذلك يدخل منزل الاستعاذة بالتوفيق الرباني. فإذا تطهّر من القذارات الشيطانية فيتجلى في مرآة السالك من تلك الأنوار الإلهية على حسب ما يتناسب بمقدار تطهير الباطن والظاهر وفي أول الأمر تكون الأنوار مشوبة بالظلمات بل تكون الظلمة غالبة، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا. وبالتدريج فكلما قوي السلوك، يغلب النور على الظلمة وتظهر سمات الربوبية في السالك. فتصير تسميته حقيقية إلى حد ما، وشيئا

فشيئا ترتحل العلامات الشيطانية بالتدريج، وهي في الظاهر مخالفة نظام المدينة الفاضلة، وفي الباطن العجب والاستكبار وأمثالها، وفي باطن الباطن رؤية النفس وحبها وأمثالها، عن مملكة باطن السالك وظاهره، وتحل مكانها سمات الله؛ وهي في الظاهر حفظ نظام المدينة الفاضلة وفي الباطن العبودية و ذلة النفس وفي باطن الباطن حب الله ورؤية الله. فإذا صارت المملكة إلهية وخلت من شياطين الجن والإنس وظهرت فيها السمات الإلهية يتحقق السالك بمقام الإسمية.

ففي البداية تكون تسمية السالك عبارة عن الاتصاف بالسمات والعلامات الإلهية، ثم يترقى عن هذه المرتبة ويصل بنفسه إلى مقام الاسمية، وهذا أوائل قرب النافلة، فإذا تحقق بقرب النافلة نال تمام الاسمية فلا يبقى بعد شيء من العبد والعبودية، وإذا وصل أحد إلى هذا المقام تقع جميع صلاته بلسان الله. وهذا يتحقق في القليل من الأولياء.

وأما للمتوسطين وأمثالنا الناقصين فالأدب أن نسمَ القلب بسمة العبودية ووسمتها عند التسمية ونخبر القلب عن سمات الله والآيات والعلامات الإلهية ولا نكتفي بلقلقة اللسان، فلعل من العنايات الأزلية نبذة تشمل حالنا وتجبر ما سبق منا وينفتح لقلوبنا طريق إلى تعلّم الأسماء ويحصل سبيل إلى المقصود.

ويمكن أن يكون المقصود من السمة من سمات الله في هذا الحديث الشريف سمة الرحمة الرحمانية، والرحمة الرحيمية وعلامتها لأن هذين الأسمين الشريفين من الأسماء المحيطة التي وصلت جميع دار التحقق في ظلّهما إلى أصل الوجود وكماله، ولا زالت. والرحمة الرحمانية والرحيمية شاملة لجميع دار الوجود، حتى أن الرحمة الرحيمية التي تكون جميع هدايات الهادين إلى طريق التوحيد من تجلياتها تشمل الجميع إلا الخارجين عن فطرة الاستقامة بسوء اختيارهم،الذين حرموا أنفسهم منها



لا أن الرحمة غير شاملة لحالهم؛ حتى أنه في عالم الآخرة وهو يوم حصاد ما زرع من الحسنة والسيئة، فالذين زرعوا القبيح هم بأنفسهم قاصرون عن الاستفادة من الرحمة الرحيمية.

وبالجملة، إذا أراد السالك أن تكون تسميته حقيقيّة فلا بد له أن يوصل رحمات الحق تعالى إلى قلبه ويتحقق بالرحمة الرحمانية والرحيمية، وعلامة حصول نموذج منها في القلب أنه ينظر إلى عباد الله بنظر العناية والتلطف ويطلب الخير والصلاح للجميع وهذا هو نظر الأنبياء العظام والأولياء الكمل عليهم السلام، غاية الأمر أن لهم نظرين أحدهما النظر إلى سعادة المجتمع ونظام العائلة والمدينة الفاضلة، والآخر النظر إلى سعادة الشخص، وهم محبون بشكل كامل لهاتين السعادتين. والقوانين الإلهية التي تؤسس وتنفّذ وتكشف وتجري بأيديهم، يراعون فيها هاتين السعادتين حتى في إجراء القصاص والحدود والتعزيرات وأمثالها والتي تبدو أنها أسّست وقنّنت بلحاظ نظام المدينة الفاضلة، قد لوحظ فيها كلتا السعادتين لأن لهذه الأمور في الأغلب دخالة كاملة في التربية الروحية للإنسان وإيصاله إلى السعادة حتى الذين ليس لهم نور الإيمان والسعادة فيقتلونهم بالجهاد وأمثاله كيهود بني قريظة، فهذا القتل لهم أيضا صلاح وإصلاح ويمكن أن يقال أن قتلهم كان من الرحمة الكاملة للنبي الخاتم لأنهم مع وجودهم في هذا العالم يهيّئون لأنفسهم في كل يوم أنواع العذاب الذي لا يساوي يوم من عذاب الآخرة وعسرها كل أيام الحياة في هذا العالم. وهذا المطلب واضح جدا عند أولئك الذين يعلمون ميزان عذاب الآخرة وعقابها والأسباب والمسببات فيها، فالسيف الذي يضرب أعناق يهود بني قريظة وأمثالهم كان ولا يزال أقرب إلى أفق الرحمة، منه إلى أفق الغضب والسخط.

وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وجهة الرحمة الرحيمية. فلا بد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يذيق قلبه من الرحمة الرحيمية



ولا يكون نظره في الأمر والنهي التظاهر والاستعراض وفرض أمره ونهيه؛ لأنه إن مشى بهذا الإعتبار لا يحصل الهدف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو حصول سعادة العباد وإجراء أحكام الله في البلاد. بل ربما تحصل النتيجة المعاكسة من الأمر بالمعروف من إنسان جاهل، وترتكب منكرات إضافية بسبب أمر أو نهي من جاهل يصدر من جهة الهوى النفسي والتصرف الشيطاني، وأما إذا كانت دواعي الإنسان لإرشاد الجاهلين وإيقاظ الغافلين حس الرحمة والشفقة وحق الإنسانية والأخوة فتكون كيفية البيان والإرشاد المترشحة من القلب الرحيم على نحو يؤثر حتماً في المواد اللائقة تأثيرا حسنا وتتنازل القلوب الصلبة القاسية عن استكبارها واستنكارها.

فمما يؤسف له أننا لا نتعلم من القرآن، ولا يكون نظرنا إلى هذا الكتاب الإلهي الكريم نظر التدبر والتعلم، واستفادتنا من هذا الذكر الحكيم قليلة ومعدومة، فتفكر الآن في الآية الشريفة:

﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا ليّنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾، فإنها تشق طرقا من المعرفة وأبوابا من الرجاء والأمل لقلب الانسان.

إن فرعون الذي قد بلغ من الطغيان إلى حد أنه قال: "أنا ربكم الأعلى" وبلغ علوه وفساده إلى درجة نزلت فيه **﴿ يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم ﴾** وبمجرد أنه رأى مناما وأخبره الكهنة والسحرة أن موسى بن عمران سيطلع، فرّق بين الرجال والنساء، وذبح الأطفال الأبرياء وارتكب كل ذلك الفساد، فإن الله الرحمن نظر برحمته الرحيمية إلى كل الأرض فأختار من نوع البشر أشدّهم تواضعا وأكملهم، أي نبيّا عظيم الشأن ورسولا عالي المقام مكرم كموسى بن عمران على نبيّنا وآله وعليه السلام وعلّمه ورعاه بيد تربيته كما قال تعالى: **﴿ ولما بلغ أشدّه واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ﴾** وشدّ ظهره بأخ كريم كهارون عليه السلام ، وأنتجب



تبارك وتعالى هذين العظيمين اللذين كانا أفضل وردتي باقة عالم الانسانية؛ كما قال تعالى: ﴿ **وأنا اخترتك** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري** ﴾. وغيرها من الآيات الشريفة الواردة في هذا الموضوع الخارجة عن وسع البيان، ولقلب العارف منها نصيب لا يمكن أن يقال، وخصوصا من هاتين الكلمتين الشريفتين ولتصنع على عيني.. واصطنعتك لنفسي.. وأنت أيضا لو فتحت عين قلبك لسمعت نغمة روحانية لطيفة وامتلأت كل مسامع قلبك ووجودك من سرّ التوحيد.

وبالجملة، فإن الله تبارك وتعالى هيأ كل هذه المقدمات وروّض موسى الكليم بالرياضات الروحانية كما قال تعالى: ﴿ **وفتنّاك فتونا** ﴾. وأرسله سنين لخدمة شعيب شيخ طريق الهداية ومرتاض عالم الإنسانية، كما قال تعالى: ﴿ **فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى** ﴾ وبعد ذلك ولأجل اختبار وفتنة أعلى أرسله إلى صحراء على طريق الشام حيث أضل الطريق وهطلت عليه الأمطار وأحاطت به الظلمات الحالكة وعرض على زوجته مخاض الولادة. ولما أغلقت عليه جميع سبل الطبيعة وتضجر قلبه الشريف من الكثرات وانقطع إلى الحق بجبلة الفطرة الصافية ووصل بسفره الإلهي الروحاني في هذه البيداء المترامية الحالكة إلى منتهاه، آنس من جانب الطور نارا إلى أن قال: ﴿ **فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين** ﴾، وبعد كل هذه الامتحانات والتربيات الروحانية، فلأي شيء هيّأه الله تعالى؟.. لكي يدعو ويهدي ويرشد وينجي عبدا طاغيا، باغيا، يطبل أنا ربكم الأعلى.. وكان يرتكب كل ذلك الفساد في الأرض. وكان من الممكن أن يحرقه الله تعالى بصاعقة غضبه، ولكن الرحمة الرحيمية ترسل إليه رسولين عظيمين ويوصيهما في نفس الوقت أن يقولا له قولا



لينا لعله يتذكر الله أو يخشى من عمله وعاقبة أمره. هذا هو دستور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه طريقة إرشاد أمثال فرعون الطاغوت.

فإذا أردت أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وترشد خلق الله فتذكر من هذه الآيات الشريفة التي أنزلت للتذكر والتعليم وتعلّم منها، والقَ عباد الله بقلب مليء بالمحبة وفؤاد عطوف واطلب الخير لهم من صميم القلب، فإذا وجدت قلبك رحمانياً ورحيمياً فقم بالأمر والنهي والإرشاد كي يرقق برقُ عطف قلبك القلوبَ القاسية، وتلين حديد القلوب بالموعظة الممتزجة بنار محبتك.

وهذا الوادي غير وادي البغض في الله والحب في الله حيث يجب على الإنسان أن يعادي أعداء الدين، كما ورد في الروايات الشريفة والقرآن الكريم. فهو في محله صحيح وهذا أيضا في محله صحيح. وليس الآن مجال بيانه.

الفصل الخامس

في البيان الاجمالي من تفسير سورة الحمد المباركة وفيه نبذة من آداب التحميد والقراءة

اعلم أن العلماء اختلفوا في متعلق باء بسم الله الرحمن الرحيم وذكر كل حسب مشربه من العلم والعرفان متعلقا لها؛ كما أن علماء الادب اشتقوا من مادة الابتداء أو الاستعانة كلمة وجعلوها مقدّرة. وما ورد في بعض الروايات ايضا من أن بسم الله أي أستعين اما على وفق مذاق العامة كما هو شائع في كثير من الروايات، واختلاف الاحاديث الكثيرة محمول على هذا المعنى، ولهذا قال الرضا عليه السلام في نفس الباب: بسم الله أي اسم نفسي بسمة من سمات الله. او ان المقصود من الاستعانة ألطف مما يدركه العامة وفيه سر التوحيد بنحو أدق.

وبعض أهل المعرفة جعله متعلقا بظهَر وقال: أي ظهر الوجود ببسم الله وهذا على حسب مسلك أهل المعرفة وأصحاب السلوك والعرفان، حيث أنهم يرون ظهور جميع الموجودات وذرات الكائنات وعوالم الغيب والشهادة بتجلي الاسم الالهي الجامع أي الاسمِ الاعظم، فبناء على هذا فإن الاسم بمعنى الدليل والعلامة أو بمعنى العلو والارتفاع عبارة عن التجلي الفعلي الانبساطي للحق الذي يسمى الفيض المنبسط والاضافة الاشراقية، لأنه بحسب هذا المسلك فإن دار التحقق بأسرها من العقول المجردة الى آخر مراتب الوجود تعينات هذا الفيض وتنزلات هذه اللطيفة. ويؤيد هذا المسلك الكثير من الآيات الالهية الشريفة والاحاديث الكريمة لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، كما يقول في حديث الكافي الشريف: **"ان الله خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشيئة"**. وقد يوجّه هذا الحديث الشريف كل على حسب مسلكه، وأظهر التوجيهات ما يطابق هذا المسلك، وهو أن يكون المراد من المشيئة المشيئة الفعليّة وهي عبارة عن الفيض المنبسط، والمراد من الاشياء مراتب الوجود التي هي تعيّنات هذه اللطيفة وتنزلاتها. فيكون معنى الحديث هكذا:

ان الله تعالى خلق المشيئة الفعلية التي هي ظلّ المشيئة الذاتية القديمة بنفسها وبلا واسطة وخلق سائر موجودات عالم الغيب والشهادة بتبعها، وللسيد المحقق الداماد (قدس سره) مع ما له من مقام التحقيق والتدقيق توجيه عجيب لهذا الحديث الشريف، كما أن توجيه المرحوم الفيضِ أيضا بعيد عن الصواب.

وبالجملة، الاسم عبارة عن نفس التجلي الفعلي الذي به تحققت دار التحقق بأسرها، واطلاق الاسم على الامور العينية في لسان الله ولسان رسوله وأهل بيت العصمة عليهم السلام كثير، مثل ما ورد عنهم عليهم السلام: **"نحن الأسماء الحسنى"**.. وفي الأدعية الشريفة: **"وباسمك**



الذي تجليت به على فلان" كثيرة.

ويحتمل أن يكون بسم الله في كل سورة متعلقا بتلك السورة، فمثلا بسم الله سورة الحمد المباركة متعلق بالحمد وهذا مطابق للذوق العرفاني ومسلك أهل المعرفة لأنه اشارة الى أن حمد الحامدين وثناء المثنين ايضا بقيومية الاسم الله، فبناء على هذا فالتسمية في مقدمة جميع الاقوال والافعال التي هي من جملة المستحبات الشرعية للتذكر بأن كل قول وفعل لابد وأن يتحقق بقيومية اسم إلهي لأن جميع ذرات الوجود تعيّن اسم الله وباعتبار آخر هي نفسها اسماء الله، فبناء على هذا الاحتمال معنى بسم الله بنظر الكثرة في كل سورة وفي كل قول وفعل مختلف.

وقال الفقهاء لابد وأن يتعين بسم الله الرحمن الرحيم لكل سورة؛ فاذا قرأ بسم الله بنية سورة معيّنة في الصلاة فلا يجوز الشروع بسورة أخرى بتلك التسمية. وهذا القول على المسلك الفقهي لا يخلو من وجه، وطبق هذا التحقيق وجيه، وبالنظر الى اضمحلال الكثرات في حضرة الاسم الأعظم الله، فلبسم الله في جميع السور معنى واحد.

كما أن هذين الرأيين موجودان في مراتب الوجود ومنازل الغيب والشهود. فبنظر الكثرة ورؤية التعينات والموجودات المتكثرة ومراتب الوجود وتعينات العالم تكون الأسماء مختلفة، فرحمانية ورحيمية وقهرية ولطفية. وبنظر اضمحلال الكثرات وانمحاء الأنوار الوجودية في النور الأزلي للفيض المقدس، فليس لغير الفيض المقدس والأسم الجامع الالهي خبر ولا اثر، وهذان النظران موجودان في الأسماء والصفات الالهية ايضا. فبالنظر الاول تكون حضرة الواحدية مقام كثرة الأسماء والصفات وجميع الكثرات من تلك الحضرة، وبالنظر الثاني ليس سوى حضرة الاسم الله الأعظم من اسم أو رسم وهذان النظران حِكميان وبقدم الفكر. واما اذا كان النظر نظرا عرفانيا بفتح أبواب القلب وبقدم السلوك والرياضات القلبية يتجلى



الحق تعالى بالتجليات الفعلية والاسمية والذاتية في قلوب أصحابها تارة بنعت الكثرة وطورا بنعت الوحدة. وقد أشير الى هذه التجليات في القرآن الشريف تارة بالصراحة مثل قوله تعالى: ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا** ﴾ وأخرى بالاشارة مثل مشاهدات ابراهيم ورسول الله صلى الله عليه وآله المذكورة في سورتي الأنعام والنجم. والاشارة الى ذلك في الأخبار وأدعية المعصومين عليهم السلام كثيرة؛ خصوصا في دعاء السمات العظيم الشأن الذي لا يتجرأ المنكرون على انكار سنده ومتنه وهو مقبول للعامة والخاصة، والعارف والعامي، وفي ذلك الدعاء الشريف من المضامين العالية والمعارف الكثيرة ما يغشي شميمه قلب العارف ونسيمه ينفخ النفخة الالهية في رُوع السالك مثل قوله: "**وبنور وجهك الذي تجليت به للجبل فجعلته دكا وخر موسى صعقا وبمجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام وبطلعتك في ساعير وبظهورك في جبل فاران**" .

وبالجملة، لابد للسالك الى الله في وقت التسمية أن يفهم قلبه أن جميع الموجودات الظاهرة والباطنة وجميع عوالم الغيب والشهادة تحت تربية أسماء الله، بل ظاهرة بظهور أسماء الله وجميع حركاته وسكناته وجميع العالم بقيومية الاسم الله الأعظم، فمحامده للحق وعبادته واطاعته وتوحيده واخلاصه كل ذلك بقيومية الاسم الله، فاذا أُحكم واستقر هذا المقام وهذه اللطيفة الالهية في قلبه بواسطة التذكر الشديد الذي هو غاية العبادات، كما قال تعالى في خلوة الأنس ومحفل القدس لكليمه موسى بن عمران: ﴿ **انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري** ﴾. فجعل غاية اقامة الصلاة ذكره، فبعد التذكر الشديد يفتح لقلب العارف طريق آخر من المعارف ويجذب الى عالم الوحدة حتى يكون لسان حاله وقلبه بالله، الحمد لله، وأنت كما أثنيت على نفسك، وأعوذ بك منك.



هذا اجمال من سر تعلق باء بسم الله، ونبذة من المعارف التي تستفاد منها.

وأما أسرار الباء ونقطة تحت الباء التي باطنها مقام الولاية العلوية ومقام جمع الجمع القرآني فيستلزم مجالا أوسع.

وأما حقيقة الاسم فإن لها مقاما غيبيا وغيب الغيبي، وسريا وسر السرّي، ومقام ظهور وظهور الظهور، وحيث ان الاسم علامة الحق وفان في الذات المقدسة فكل اسم يكون أقرب الى أفق الوحدة وأبعد عن عالم الكثرة فهو في الأسمية أكمل، وأتم الأسماء اسم يكون مبرأ عن الكثرات حتى عن الكثرة العلمية، وهو التجلي الغيبي الأحدي الأحمدي في حضرة الذات بمقام الفيض الأقدس، ولعله تشير إليه الكريمة الشريفة أو أدنى وبعده التجلي بحضرة الاسم الله الأعظم في الحضرة الواحدية، وبعده التجلي بالفيض المقدس، وبعده التجليات بنعت الكثرة في حضرات الأعيان الى نهاية دار التحقق، وقد كتبت تفصيل هذا الاجمال في رسالتي مصباح الهداية وشرح دعاء السحر.

والله مقام الظهور بالفيض المقدس ان كان المراد بالاسم التعينات الوجودية واطلاق الله عليه من جهة اتحاد الظاهر والمظهر وفناء الاسم في المسمى بلا اشكال. ولعل الكريمة ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ والكريمة ﴿**هو الذي في السماء اله وفي الأرض اله**﴾ تكونا اشارة الى هذا المقام وشاهدتين على هذا الاطلاق، وان كان المراد من الاسم مقام التجلي بالفيض المقدس، فالله مقام الواحدية وجمع الاسماء، وبعبارة أخرى مقام الاسم الأعظم، ولعل هذا أظهر من سائر الاحتمالات. وان كان المقصود من الاسم: الاسم الأعظم، فمقام الذات أو مقام الفيض الاقدس، ويختلف مقام الرحمن الرحيم على حسب هذه الاحتمالات كما هو واضح.

والرحمن والرحيم يمكن أن يكونا صفتي الاسم ويمكن أن يكونا



صفتي الله والأنسب أن يكونا صفتي الاسم لأنهما في التحميد صفتي الله. فعلى هذا، تكون مصونة من احتمال التكرار، وان كان له وجه أيضا اذا كانا صفة لله. وفي التكرار أيضا نكتة البلاغة. وان أخذناهما صفة للاسم فيؤيد أن المراد من الاسم الأسماء العينية لأن المتصف بالصفات الرحمانية والرحيمية ليس الا الأسماء العينية، فاذا كان المراد من الاسم الاسم الذاتي والتجلي بالمقام الجمعي فالرحمانية والرحيمية من الصفات الذاتية التي ثبتت لحضرة الاسم الله في التجليات بمقام الواحدية، والرحمة الرحمانية والرحيمية الفعلية من تنزلاتها ومظاهرها. وان كان المراد من الاسم التجلي الجمعي الفعلي وهو مقام المشيئة، فالرحمانية والرحيمية من صفات الفعل، فالرحمة الرحمانية هي بسط أصل الوجود وهي عامة لجميع الموجودات ولكنها من الصفات الخاصة للحق، لأنه ليس له شريك في بسط أصل الوجود. وسائر الموجودات قاصرة الأيدي عن الرحمة الايجادية ولا مؤثر في الوجود الا الله ولا اله في دار التحقق الا الله.

وأما الرحمة الرحيمية التي تكون هداية هداة الطريق ايضا من رشحاتها فهي مخصوصة للسعداء وفطرة العليّين ولكنها من الصفات العامة التي لسائر الموجودات أيضا منها حظ ونصيب، وإن كنا أشرنا سابقا ان الرحمة الرحيمية ايضا من الرحمة العامة وعدم شمولها الاشقياء من جهة نقصانهم لا من ناحية تحديد الرحمة، ولهذا كانت الهداية والدعوة عامة لكل العائلة البشرية كما يدل عليه القرآن الشريف، وبنظر آخر الرحمة الرحيمية ايضا مختصة بالحق تعالى وليس لغيره فيها شركة. وفي الروايات الشريفة بينت الرحمة الرحيمية بصورة مختلفة بحسب اختلاف النظر والاعتبار. فتارة قالوا: ان الرحمن اسم خاص لصفة عامة، والرحيم اسم عام لصفة خاصة؛ وقالوا: الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة، وقالوا: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة؛ وأخرى: يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.





تحقيق عرفاني:

قال علماء الادب أن الرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة وللمبالغة ولكن المبالغة في الرحمن أكثر منها في الرحيم. والقياس يقتضي ان يكون الرحيم مقدما على الرحمن ولكن الرحمن حيث انه بمنزلة العَلم الشخصي ولا يطلق على سائر الموجودات فلهذا قُدم. وقال البعض ان كليهما بمعنى واحد وتكرارهما لمحض التأكيد.

وأما الذوق العرفاني الذي نزل القرآن بأعلى مراتبه، فيقتضي ان يكون الرحمن مقدما على الرحيم؛ لأن القرآن الشريف عند أصحاب القلوب نازلة التجليات الالهية والصورة الكتبية للاسماء الربوبية الحسنى. وحيث ان الاسم الرحمن اكثر الاسماء الالهية احاطة بعد الاسم الاعظم وقد حقق عند أصحاب المعرفة أن التجلي بالاسماء المحيطة مقدم على التجلي بالاسماء المحاطة، وكل اسم يكون اكثر احاطة فالتجلي به أيضا مقدم، فلذا كان التجلي الاول في الحضرة الواحدية التجلي بالاسم الله الاعظم وبعده التجلي بمقام الرحمانية، وان التجلي بالرحيمية بعد التجلي بالرحمانية وهكذا في التجلي الظهوري الفعلي أيضا التجلي بمقام المشيئة الذي هو الاسم الاعظم في هذا المشهد وظهور الاسم الاعظم الذاتي مقدم على جميع التجليات، والتجلي بمقام الرحمانية الذي له الاحاطة بجميع موجودات عالم الغيب والشهادة، واليه الاشارة **"ورحمتي وسعت كل شيء"** مقدم على سائر التجليات واليه يشير **"سبقت رحمته غضبه"** ببعض الوجوه.

وبالجملة، حيث أن بسم الله بحسب الباطن والروح صورة التجليات الفعلية، وبحسب السر وسرّ السرّ صورة التجليات الاسمائية بل الذاتية والتجليات المذكورة هي التجليات بمقام الله أولا وبعده بمقام الرحمن وبعده بمقام الرحيم، فلا بد أن تكون صورتها اللفظية والكتبية ايضا كذلك حتى

تطابق النظام الالهي والرباني، وأما تأخر الرحمن الرحيم في سورة الحمد المباركة عن رب العالمين فلعله من جهة أنه في بسم الله كان النظر إلى ظهور الوجود من مكامن غيب الوجود، وفي السورة الشريفة النظر الى

الرجوع والبطون، وفي هذا الاحتمال إشكال. ولعله لأجل الاشارة الى احاطة الرحمة الرحمانية والرحيمية، ولعله لنكتة أخرى. وعلى كل حال فإن هذه النكتة التي ذكرت في بسم الله جديرة بالتصديق ولعلها من بركات الرحمة الرحيمية في قلبي أنا اللاشيء، وله الحمد على ما أنعم.

بحث وتفصيل:

قال علماء الظاهر أن الرحمن والرحيم مشتقة من الرحمة ومأخوذ فيها العطوفة والرقة. وروي عن ابن عباس (رضي الله عنه): "أنهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطوف على عباده بالرزق والنعم". وحيث أن العطوفة والرقة يلزمها الانفعال، فمن هذه الجهة قالوا بالتأويل والتوجيه في اطلاقهما على الذات المقدسة وذهبوا الى أنه مجاز، وبعض قالوا باطلاق هذا النحو من الاوصاف من قبيل: خذ الغايات واترك المبادىء. فاطلاقها على الحق بلحاظ الآثار والافعال لا بلحاظ المبادىء والاوصاف، فمعنى الرحمن والرحيم في الحق أي من كان يعامل عباده بالرحمة بل عد المعتزلة جميع صفات الحق من هذا القبيل أو ما يقرب منه. وبناء عليه فاطلاقها أيضا على الحق مجاز، وعلى كل حال فكونها مجازا بعيد وخصوصا في الرحمن، فإنه بناء على المجازية لا بد أن يلتزم بأمر عجيب وهو أن هذه الكلمة قد وضعت لمعنى لا يجوز الاستعمال فيه ولا يجوز، وفي الحقيقة هذا مجاز بلا حقيقة، فتأمل.

وقال أهل التحقيق في الجواب على هذا النوع من الاشكالات أن الالفاظ موضوعة للمعاني العامة والحقائق المطلقة، فبناء على هذا فالتقيّد بالعطوفة والرقة ليس داخلا في الموضوع له، وفيما وضع له لفظ الرحمة



كذلك، وهذا التقييد هو مخترع الاذهان العامية والا فلا دخل له في أصل الوضع، وهذا المطلب بعيد عن التحقيق ظاهرا، لانه من المعلوم أن الواضع أيضا هو أحد هؤلاء الأشخاص العرفيين، ولم يلاحظ في حين الوضع المعاني المجردة والحقائق المطلقة، نعم لو كان الواضع هو الحق تعالى أو الأنبياء بالوحي أو الإلهام الالهيين لكان لهذا المطلب وجه ولكن هو أيضا غير ثابت.

وبالجملة، فظاهر هذا الكلام مخدوش. ولكن ليس من المعلوم أن يكون هذا الظاهر ايضا مقصودا لأهل التحقيق. بل يمكن أن يقال في بيان هذا المطلب أن واضع الألفاظ وان لم يلاحظ في حين الوضع المعاني المطلقة المجردة، ولكن ما وضعت له الالفاظ بإزائه هو المعاني المجردة المطلقة، فمثلا لفظ النور اذا أراد الواضع أن يضعه فما كان في لحاظه من الأنوار وان كانت هذه الانوار الحسية العرضية لانه ما كان يدرك ما وراء هذه الأنوار؛ ولكن ما وقع لفظ النور في ازائه هو الجهة النورية لا جهة اختلاط النور بالظلمة بحيث لو قيل له بأن هذه الأنوار العرضية المحدودة ليست نورا صرفا بل هي نور مختلط بالظلمة والفتور، فهل وضعت لفظ النور بازاء تلك الجهة النورية أو بازاء النورية والظلمانية، فبالضرورة كان الجواب انه في ازاء جهة النورية، واما جهة الظلمة فليس لها دخل في الموضوع له بوجه من الوجوه، كما أنا كلنا نعلم أن الواضع حينما وضع لفظ النار ما كان في نظره غير النيران الدنيوية وما كان سببا لانتقاله الى هذه الحقيقة هو النيران الدنيوية وكان غافلا عن نار الأخرة ونار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، خصوصا اذا لم يكن الواضع معتقدا بعالم الاخرة، ومع ذلك لا تكون هذه الوسيلة للانتقال موجبة للتقييد في الحقيقة، بل النار وقعت بازاء الجهة النارية فلا نقول أن الواضع جرّد المعاني حتى يكون أمرا مستغربا بعيدا بل نقول أن الالفاظ وقعت في ازاء تلك الجهات للمعاني من دون التقييد بقيد، فبناء على هذا



ليس ثمة جهة للاستبعاد في الأمر وكلما كان المعنى خاليا من الغرائب والأجانب فهو الى الحقيقة أقرب ومن شائبة المجاز أبعد، مثلا كلمة نور وهي موضوعة لما فيه جهة الظاهرية بالذات والمظهرية للغير وان كان اطلاقها على هذه الانوار العرضية الدنيوية لا يخلو من الحقيقة لأن في اطلاقها عليها لم تلاحظ جهة المحدودية والاختلاط بالظلمة، بل الملاحظ هو الظهور الذاتي والمظهرية، ولكن اطلاقها على الانوار الملكوتية التي ظهورها أكمل وإلى أفق الذاتية أقرب ومظهريتها أكثر كما وكيفا، واختلاطها بالظلمة والنقص أقل، الى الحقيقة أقرب. واطلاقها على الأنوار الجبروتية بهذا البيان أقرب إلى الحقيقة واطلاقها على الذات المقدسة جل وعلا وهو نور الانوار والخالص من جميع جهات الظلمة وهو صرف النور والنور الصرف اطلاق حقيقي محض وخالص؛ بل يمكن أن يقال أن النور لو كان موضوعا للظاهر بذاته والمظهر لغيره فاطلاقه على غير الحق تعالى حقيقة عند العقول الجزئية، وأما عند العقول المؤيدة وأصحاب المعرفة فمجاز، وفقط اطلاقه على الحق تعالى حقيقة. وهكذا جميع الالفاظ التي وضعت للمعاني الكمالية، أي تلك الامور التي من سنخ الوجود والكمال.

فبناء على ذلك نقول أن في الرحمن الرحيم والعطوف و الرؤوف وأمثالها جهة كمال وتمامية وجهة انفعال ونقص وهذه الالفاظ موضوعة بازاء تلك الجهة الكمالية التي هي أصل تلك الحقيقة، وأما الجهات الانفعالية التي هي من لوازم النشأة وأجنبية عن الحقيقة وغريبة عنها والتي تتلازم وتتشابك معها بعد تنزل هذه الحقائق في البقاع الامكانية والعوالم النازلة الدنيوية كالظلمة التي اختلطت بالنور في النشأة النازلة، فلا دخل لها في المعنى الموضوع له، فإطلاقه على موجود واجد لجهة الكمال ومبرأ من جهات الانفعال والنقص هو صرف حقيقة وحقيقة صرفة.

وهذا المطلب بهذا البيان مضافا الى أنه قريب من ذوق أهل المعرفة



مناسب لوجدان أهل الظاهر أيضا.

فعلى هذا، عُلم أن مطلق هذا النحو من أوصاف الكمال التي اختلطت مع أمر آخر وتلازمت معه في بعض النشأت بعد التنزل ـ والذات المقدسة الحق جلّت عظمته منه مبرأ ـ فاطلاقه على الحق تعالى ليس بمجاز، والله الهادي.

قوله: الحمد لله يعني أن جميع أنواع الحمد مختصة بذات الالوهية المقدسة.

اعلم ايها العزيز أن تحت هذه الكلمة الشريفة سر التوحيد الخاص بل أخص الخواص. واختصاص جميع المحامد من جميع الحامدين بالحق تعالى بحسب البرهان واضح وبيّن عند أصحاب الحكمة وأئمة الفلسفة العالية لأنه قد لزم بالبرهان أن جميع دار التحقق ظل منبسط وفيض مبسوط لحضرة الحق وجميع النعم الظاهرة والباطنة من أي منعم كان، وان كانت على حسب الظاهر وفي انظار العامة من ذاك المنعم فهي من الحق تعالى جل وعلا، وليس لأحد من الموجودات فيها شراكة، حتى الشراكة الإعدادية أيضا التي يقول بها أهل الفلسفة العامية لا الفلسفة العالية؛ فحيث أن الحمد في مقابل النعمة والأنعام والاحسان، وليس في دار التحقق منعم سوى الحق فجميع المحامد مختصة به، وأيضا ليس من جمال سوى جماله أو جميل سواه، فالمدائح أيضا ترجع اليه.

وببيان آخر كل حمد ومدح من كل حامد ومادح بازاء جهة النعمة والكمال، ومحل النعمة والكمال وموردهما الذي ينقصهما ويحددهما ليس دخيلا في الحمد والمدح بوجه من الوجوه بل مناف ومضاد لهما، فالمحامد والمدائح كلها ترجع الى حظ الربوبية وهو الكمال والجمال لا الى حظ المخلوق وهو النقص والتحديد.

وببيان آخر من الفِطَر الإلهية التي فطر جميع الخلق عليها الثناء على



الكامل وشكر المنعم وحمده.

وأيضا من الفِطَر الالهية التنفّر من النقص والناقص ومنقص النعمة. وحيث أن النعمة المطلقة الخالصة من أي شوب أو نقص والجمال والكمال التام التمام المبرأ من كل نقص مختص بالحق وسائر الموجودات تنقص النعم المطلقة والجمال المطلق وتحددهما دون أن تزيدهما وتأيّدهما. ففطرة جميع الناس حامدة ومادحة للذات المقدسة ومتنفرة من سائر الموجودات الا الموجودات التي فنيت في ذات ذي الجلال على حسب السير في ممالك الكمال وبلاد العشق؛ فإن العشق والمحبة لتلك الموجودات وحمدها ومدحها عين عشق الحق وحمده (حب خاصة الله هو حب الله).

وما ذكر الى هنا أيضا على حسب مقامات المتوسطين الذين فيهم بقية من حجاب الكثرة ولم يبرأوا من جميع مراتب الشرك الخفيّ والأخفى ولم يصلوا الى كمال مراتب الخلوص والأخلاص. وأما بحسب عرفان أصحاب القلوب الفانية في بعض الحالات الخاصة، فجميع النعم والكمال والجمال والجلال صورة التجلي الذاتي وجميع المحامد والمدائح مرتبطة بذات الحق تعالى المقدسة، بل المدح والحمد من نفسه لنفسه، كما يشير الى هذا المعنى تعلق بسم الله بالحمد لله.

واعلم ان السالك الى الله والمجاهد في سبيل الله لا بد له أن لا يقتنع بالحد العلمي لهذه المعارف ولا يصرف كل عمره في الاستدلال الذي هو حجاب، بل الحجاب الأعظم، لأن هذه المرحلة لايمكن طيّها بالرجل الخشبية بل ولا بطائر سليمان. ان هذا الوادي وادي المقدسين وهذه المرحلة مرحلة الأحرار، فما لم يخلع نعلي حب الجاه والشرف والأهل والولد وما لم يلق عصا الأعتماد والتوجه الى الغير من يمينه، لا يمكن أن يضع قدمه في الوادي المقدس الذي هو مكان المخلصين ومنزل المقدسين. واذا خطى السالك في هذا الوادي بحقائق الأخلاص وألقى الكثرات والدنيا (وهي خيال



في خيال) وراء ظهره، فإن بقي فيه بقايا من الأنانية فيؤيد من عالم الغيب ويندك جبل انّيته بالتجليات الالهية وتحصل له حالة الصعق والفناء، وقبول هذه المقامات للقلوب القاسية التي ليس عندها خبر سوى الدنيا وحظوظها ولا تتعرف على شيء الا بالغرور الشيطاني يكون صعبا جدا وينسب الى نسج الأوهام؛ مع أن الفناء الذي نحن الان فيه بالنسبة الى الطبيعة والدنيا ـ بحيث أننا غافلون تماما عن عوالم الغيب التي هي أظهر من جميع الجهات من هذا العالم، بل اننا غافلون عن الذات وصفات الذات المقدسة التي يختص بها الظهور ونتشبث لاثبات تلك العوالم والذات المقدسة للحق جلا وعلا بذيل البرهان والاستدلال ـ أغرب وأعجب بمراتب من الفناء الذي يدعيه أصحاب العرفان والسلوك. شعر

الحيرة ثم الحيرة من هذه القصص   كيف يُدهش الخاص في الأخسّ

وان كان الاخص (بالصاد) فليس فيه هذا القدر من الحيرة، لان فناء الناقص في الكامل امر طبيعي وموافق للسنة الالهية. فالحيرة في محل يكون الأخس (بالسين). كما أن هذا الصعق والفناء متحقق الأن لنا جميعا؛ وقد انغمرت اسماعنا وأبصارنا في الطبيعة الى حد ليس لنا أي خبر عن ضوضاء عالم الغيب.

نقل وتحقيق:

اعلم أن علماء الأدب والظاهر قالوا ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري وحيث أنهم غافلون عن جميع الألسنة غير هذا اللسان اللحمي، فلهذا حملوا تسبيح الحق تعالى وتحميده بل مطلق كلام ذاته المقدسة على نوع من المجاز، وكذلك يحملون كلام الموجودات وتسبيحها على المجاز. فيرون أن تكلم الحق تعالى عبارة عن ايجاد الكلام ويقولون أن التسبيح والتحميد في سائر الموجودات هو التسبيح والتحميد الذاتي التكويني، فهؤلاء في الحقيقة يحصرون النطق في نوع البشر، ويظنون أن



ذات الحق المقدسة جل وعلا وسائر الموجودات غير ناطقة، بل نعوذ بالله، يظنونها خرساء ويتوهمون أن ذلك تنزيه للذات المقدسة؛ مع أن هذا تحديد بل تعطيل والحق سبحانه منزه عن هذا التنزيه، كما أن غالب تنزيهات العامه تحديد وتشبيه، ونحن ذكرنا من قبل كيفية وضع الألفاظ للمعاني العامة والمطلقة؛ والان نقول أنا لا نتقيد بالصدق اللغوي أو لزوم تحقق الحقيقة اللغوية في هذه الحقائق الالهية، بل الميزان في هذه المباحث هو صحة الاطلاق ووجود الحقيقة العقلية وان كانت الحقيقة اللغوية أيضا ثابتة بالبيان السابق، فنقول:

ان للسان والتكلم والكلام والكتابة والكتاب والحمد والمدح مراتب على حسب النشآت الوجودية تتناسب كل مرتبة مع نشأة من النشآت ومرتبة من مراتب الوجود. وحيث ان الحمد في كل مورد على جميل والمدح على جمال وكمال، فالحق جلّ وعلا بحسب علمه الذاتي شاهدَ جماله الجميل في حضرة غيب الهوية بأتمّ مراتب العلم والشهود فكان مبتهجا بذاته الجميلة بأشد مراتب الابتهاج.

فتجلى بالتجلي الازلي بأعلى مراتب التجليات في حضرة الذات للذات. وهذا التجلي واظهار ما في المكنون الغيبي والمقارعة الذاتية هو الكلام الذاتي الذي وقع بلسان الذات في حضرة الغيب، ومشاهدة هذا التجلي الكلامي هو سمع الذات، وثناء الذات هذا لذات الحق هو ثناء الحق الذي تعجز سائر الموجودات عن ادراكه. كما أن الذات المقدسة للنبي الخاتم الذي هو أقرب الموجودات وأشرفها يعترف بالعجز ويقول: **"لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"**، ومعلوم ان احصاء الثناء فرع المعرفه بالكمال والجمال، وحيث أن المعرفة التامة للجمال المطلق لا تحصل، فالثناء الحقيقي لا يقع وغاية معرفة أصحاب المعرفه عرفان العجز.

ويقول أهل المعرفه: ان الحق تعالى يحمد ويمدح نفسه بالألسنة الخمسة



وهي لسان الذات من حيث هي، ولسان أحدية الغيب، ولسان الواحدية الجمعية، ولسان الأسماء التفصيلية، ولسان الأعيان. وهذه الألسن غير لسان الظهور الذي أوله لسان المشيئة الى آخر مراتب التعيّنات التي هي لسان الكثرات الوجودية.

واعلم ان لجميع الموجودات حظا بل حظوظا من عالم الغيب الذي هو الحياة المحضة، والحياة سارية في جميع دار الوجود. وهذا المطلب ثابت عند أرباب الفلسفة العالية بالبرهان وعند أصحاب القلوب والمعرفة بالمشاهدة والعيان، وتدل عليه الأيات الإلهية الشريفة وأخبار أولياء الوحي عليهم الصلاة والسلام دلالة تامة، والمحجوبون من أهل الفلسفة العامية وأهل الظاهر حيث لم يدركوا نطق الموجودات قاموا بتأويله وتوجيهه.

ومن العجيب ان أهل الظاهر الذين كانوا يطعنون في أهل الفلسفة بأنهم يؤوّلون كتاب الله على حسب عقولهم أولوا في هذه الموارد الأيات الصريحة والأحاديث الصحيحة بمجرد أنهم لم يدركوا نطق الموجودات، مع أنه ليس لديهم برهان، يؤولون القرآن من دون برهان، وبمجرد الاستبعاد.

بالجملة، ان دار الوجود أصل الحياة وحقيقة العلم والشعور، وتسبيح الموجودات تسبيح نطقي شعوري ارادي وليس تكوينيا ذاتيا كما يقول المحجوبون؛ ولجميع الموجودات على حسب حظها من الوجود معرفة بمقام الباري جلت عظمته، وحيث أنه ليس لموجود من الاشتغال بالطبيعة والانغماس في الكثرة الى الحد الذي للانسان، فلهذا كانت محجوبية الانسان أكثر من جميع الموجودات. إلا أن يخرج من جلباب البشرية ويخرق حجب الكثرة والغيرية فيشاهد جمال الجميل بلا حجاب، فيكون حمده ومدحه أجمع المحامد والمدائح، وهو يثني على الحق ويعبده بجميع الشؤون الالهية وكل الأسماء والصفات.



تتميم:

اعلم أن الكلمة الشريفة "الحمد لله" بحسب ما بيّناه من الكلمات الجامعة التي اذا حمد أحد بها الحق تعالى بلطائفها وحقائقها فقد أدى حق الحمد بقدر ما في الطاقة البشرية، ولهذا وردت في الروايات الشريفة الاشارة الى هذا المعنى كما عن باقر العلوم سلام الله عليه أنه خرج من داره ولم يجد دابته على بابه، فقال: **لو رجعت إلي دابتي لحمدت الله حق حمده، فلمّا وجد دابته ركبها وسوّى ثيابه وقال: الحمد لله.**

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **"لا اله الا الله نصف الميزان والحمد لله يملؤه".**

وهذا لما بيناه من أن الحمد لله جامع للتوحيد أيضا.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله **"قول العبد الحمدلله أثقل في ميزانه من السموات السبع والأرضين السبع".**

ونقل عنه صلى الله عليه وآله ما معناه: لو أن الله سبحانه أعطى جميع الدنيا عبدا من عباده ثم يقول العبد الحمد لله لكان قوله أفضل مما أعطى..

وعنه صلى الله عليه وآله ايضا **"ما من شيء أحب الى الله من قول القائل الحمد لله.. ولهذا أثنى الله به على نفسه"** والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

قوله تعالى رب العالمين: الرب اذا كان بمعنى المتعالي والثابت والسيد فهو من الأسماء الذاتية، واذا كان بمعنى المالك والصاحب والغالب والقاهر فهو من الأسماء الصفاتية، وان كان بمعنى المربّي والمنعم والمتمم فهو من الأسماء الأفعالية.

والعالم ان كان عبارة عما سوى الله الشامل لجميع مراتب الوجود ومنازل الغيب والشهود فلا بد أن يعد الرب من أسماء الصفات؛ وان كان



المراد من العالم عالم الملك الذي هو تدريجي الحصول والكمال، فالمراد من الرب اسم الفعل، وعلى أي حال ليس المراد منه هنا اسم الذات. ولعله لنكتة ما، المراد من العالمين هذه العوالم الملكية التي تكون تحت التربية والتدبير الإلهيين حتى تصل الى كمالها اللائق، والمراد من الربّ هو المربّي الذي هو من اسماء الأفعال.

واعلم أننا نكف في هذه الرسالة عن ذكر الجهات التركيبية واللغوية والأدبية للآيات الشريفة، فقد تعرّض لها العلماء غالبا، وانما نذكر هنا بعض الأمور التي لم يتعرّضوا لها أصلا أو ذكرت ذكرا ناقصا.

وليعلم أن اسماء الذات والصفات والأفعال التي أشير اليها فهي على طبق اصطلاح ارباب المعرفة؛ وبعض مشايخ أهل المعرفة قسّم الأسماء في كتاب انشاء الدوائر الى اسماء الذات واسماء الصفات واسماء الأفعال، وقال إن اسماء الذات هي الله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر العلي العظيم الظاهر الباطن الأول الآخر الكبير الجليل المجيد الحق المبين الواجد الماجد الصمد المتعالي الغنيّ النور الوارث ذو الجلال الرقيب.

واسماء الصفات هي: الحي الشكور القهار القاهر المقتدر القوي القادر الرحمن الرحيم الكريم الغفّار الغفور الودود الرؤوف الحليم الصبور البرّ العليم الخبير المحصي الحكيم الشهيد السميع البصير.

وأسماء الأفعال هي: المبدىء الوكيل الباعث المجيب الواسع الحسيب المقيت الحفيظ الخالق البارىء المصوّر الوهّاب الرّزّاق الفتاح القابض الباسط الخافض الرافع المعزّ المذلّ الحكيم العدل اللطيف المعيد المحيي المميت الوالي التوّاب المنتقم المقسط الجامع المغني المانع الضارّ النافع الهادي البديع الرشيد.(انتهى).

وذكروا في ميزان هذا التقسيم أن الاسماء وان كانت كلها اسماء الذات



ولكنها باعتبار ظهور الذات يقال لها اسماء الذات وباعتبار ظهور الصفات والافعال يقال لها الاسماء الصفاتية والافعالية، أي أن كل اعتبار يكون أظهر فالاسم يكون تابعا له. فلهذا قد يجتمع في بعض الاسماء اعتباران او اعتبارات ثلاثة، فيكون من الاسماء الذاتية والصفاتية والافعالية، او الاثنين من هذه مثل الرب كما ذكر.

وهذا المطلب لايستقيم على مذاق الكاتب ولا يطابق الذوق العرفاني بل ما يبدو للنظر في هذا التقسيم ان الميزان في هذه الاسماء هو ان السالك بقدم المعرفة اذا حصل له الفناء الفعلي، فتجليات الحق تعالى على قلبه هي التجليات باسماء الافعال، وبعد حصول الفناء الصفاتي تكون التجليات الصفاتية وبعد الفناء الذاتي تكون التجليات بأسماء الذات، واذا كان قلبه قادرا على الحفظ بعد الصحو فما يخبر عنه من المشاهدات الافعالية فهو أسماء الافعال، ومن المشاهدات الصفاتية فهو أسماء الصفات. وهكذا أسماء الذات، ولهذا المقام تفصيل لا ينبغي لهذه الاوراق.

وما ذكره في انشاء الدوائر فهو غير صحيح طبقا للميزان الذي عيّنه نفسه كما يتضح ذلك بالنظر الى الاسماء.

ويمكن أن يقال ان هذا التقسيم الثلاثي للأسماء اشير اليه في القرآن الشريف في الآيات الاخيرة من سورة الحشر قال تعالى: ﴿ **هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ الى آخر الآيات الشريفة، ولعل الاولى من هذه الآيات الشريفة تكون اشارة الى الاسماء الذاتية، والثانية اشارة الى الاسماء الصفاتية والثالثة اشارة الى الاسماء الافعالية وتقديم الذاتية على الصفاتية والصفاتية على الافعالية على حسب ترتيب الحقائق الوجودية الالهية لا على حسب ترتيب مشاهدات أصحاب المشاهدة والتجليات القلبية لأرباب القلوب.

ليعلم أن للآيات الشريفة رموزا أخرى لا يناسب المقام ذكرها، وأما كون



الأيه الثانية من الاسماء الصفاتية والثالثة من الافعالية فواضح، وامّا كون عالم الغيب والشهادة والرحمن والرحيم من الاسماء الذاتية فمبني على أن يكون الغيب والشهادة عبارة عن الاسماء الباطنة والظاهرة والرحمانية والرحيمية من تجليات الفيض الاقدس لا الفيض المقدس. واختصاص هذه الاسماء بالذكر، مع أن الحي والثابت والرب وأمثالها يبدو للنظر أنها أقرب الى الاسماء الذاتية، فلعله لاحاطتها لأنها من أمهات الاسماء، والله العالم.

تنبيه:

لقد وقع اختلاف عظيم في لفظ العالمين واشتقاقه ومعناه، فبعض بنى على أن العالمين جمع، ومشتمل على جميع أصناف الخلق من المادي والمجرد، وكل صنف هو عالم بنفسه، وهذا الجمع ليس له مفرد من جنسه، وهذا قول المشهور. وقال بعض ان العالَم بفتح اللام اسم مفعول، وعالم بكسر اللام اسم فاعل، وعالمين بمعنى معلومين، وهذا القول مضافا الى أنه فى حد نفسه لا شاهد له وبعيد، فإطلاق رب المعلومين بارد جدا وبلا مورد. وقال بعض ان اشتقاقه من العلامة، وعليه فيطلق على جميع الموجودات لانها كلها علامة وآية للذات المقدسة والواو والنون باعتبار الاشتمال على ذوي العقول وتغليبهم على سائر الموجودات.

وذهب بعض الى انه مشتق من العلم، وعلى كل حال فاطلاقه على جميع الموجودات صحيح كما أن إطلاقه على ذوي العقول ايضا وجيه. ولكن العالم يطلق على ما سوى الله ويطلق ايضا على كل فرد وصنف، فإن كان الذى يطلق اللفظ على كل فرد وصنف من أهل العرف واللغة فباعتبار أن كل فرد علامة لذات الباري وفى كل شيء له آية، وان كان عارفا الهيا فباعتبار أن كل موجود ظهور للاسم الجامع ومشتمل على كل الحقائق بطريق ظهور أحدية الجمع وسر الوجود. ومن هذه الجهة يمكن أن يقال ان جميع العالم وكل جزء منه هوالاسم الاعظم بمقام احدية الجمع،



والاسماء كلها في الكل وكذا الآيات، وبناء على ما ذكر فايراد الفيلسوف العظيم الشأن صدر الملة والدين(قدس سره) على امثال البيضاوي وارد لانهم لم يتذوقوا هذا المشرب، وأما في مسلك اهل العرفان فليس بصحيح، وحيث ان كلام البيضاوي في هذا المقام وكلام الفيلسوف المذكور طويل تركنا ذكره. فمن اراد فليراجع تفسير سورة الفاتحة للفيلسوف المرحوم.

والرب ان كان من اسماء الصفات بمعنى المالك والصاحب وأشباههما فيمكن أن يكون المراد من العالمين جميع ما سوى الله سواء أكان من موجودات عالم الملك أم الموجودات المجردة الغيبية، وأما إن كان من اسماء الافعال، ولعل هذا هو الأظهر فالمراد من العالمين هوعالم الملك فقط لأن الرب حينئذ بمعنى المربّي، وهذا المعنى يستلزم التدريج والعوالم المجردة منزّهة عن التدريج الزماني وان كان روح التدريج بأحد المعاني متحققا في عالم الدهر عند الكاتب. وبذاك المعنى أثبتنا الحدوث الزماني بمعنى روح الزمان ودهرية التدريج في العوالم المجردة ايضا، وفي المسلك العرفاني ايضا نقول بأن الحدوث الزماني ثابت لجميع العوالم لكن لا على نحو يسعه فهم المتكلمين وأصحاب الحديث.

تنبيه آخر:

اعلم ان الحمد حيث أنه في مقابل الجميل، واستُفيد من الآية الشريفة أن الحمد والثناء ثابتان لمقام الاسم الأعظم الذي هو الاسم الجامع الذي له مقام ربوبية العالمين والرحمة والرحمانية والرحيمية وهو مالك يوم الدين، فلا بد أن يكون لهذه الاسماء الشريفة الرب الرحمن الرحيم والمالك مدخلية تامة في التحميد.

ونحن نذكر بعد ذلك في ذيل مالك يوم الدين بيانا تفصيليا عن هذا المطلب.

ونتكلم الان عن ارتباط مقام ربوبية العالمين بالتحميد. وهذا تناسب



من جهتين.

الجهة الاولى: أن الحامد حيث أنه بنفسه من العالمين بل ربما يكون عالَمًا برأسه أحيانا بل في نظر أهل المعرفة كل موجود من الموجودات عالَم برأسه فيحمد الحق لأنه ربّاه بيده التربوية في مقام الربوبية؛ فأخرجه من الضعف والنقص والوحشة وظلمة العدم الهيولاني الى القوة والكمال والطمأنينة ونورانية العالم الانساني؛ وأوصله عبر المنازل الجسمية والعنصرية والمعدنية والنباتية والحيوانية تحت النظام المنسجم بالحركات الذاتية والجوهرية وأنواع العشق الفطري والجبلي الى منزل الانسانية الذي هو أشرف منازل الموجودات؛ وبعد ذلك أيضا يربيه الى أن يصل الى حدّ لا يسعه الوهم.

صرت عدما كعدم الأرغنون ... أقول إنا إليه راجعون

الجهة الثانية: حيث أن تربية نظام عالم الملك من الفلكيات والعنصريات والجوهريات والعرضيات مقدمة وجود الانسان الكامل، وفي الحقيقة هذا الوليد عصارة عالم التحقق والغاية القصوى للعالمين، ولهذه الجهة صار الوليد الأخير، وحيث أن عالم الملك متحرك بالحركة الذاتية الجوهرية وهذه الحركة الذاتية استكمالية فأينما انتهت فهو غاية الخلقة ونهاية السير، فاذا نظرنا بالطريق الكلي الى الجسم الكل والطبع الكل والنبات الكل والحيوان الكل والانسان الكل، فإن الانسان هو الوليد الأخير الذي وجد بعد الحركات الذاتية الجوهرية للعالم وانتهت الحركات اليه، فيد التربية للحق تعالى قد ربّت الانسان في جميع دار التحقق والانسان هو الأول والآخر.

تنبيه آخر:

وهذا الذي ذكرناه هو في الأفعال الجزئية وبالنظر الى مراتب الوجود؛ والا فبحسب الفعل المطلق ليس لفعل الحق تعالى غاية سوى ذاته المقدسة كما هو مبرهن في محلّه. واذا نظرنا الى الأفعال الجزئية أيضا فغاية خلقة الانسان عالم الغيب المطلق كما ورد في القدسيات "يابن آدم خلقت



الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي".. وفي القرآن الشريف يخاطب موسى بن عمران على نبينا وآله وعليه السلام ويقول ﴿اصطنعتك لنفسي﴾. وأيضا يقول: ﴿وأنا اخترتك﴾. فالانسان مخلوق لأجل الله ومصنوع لذاته المقدسة وهو المصطفى والمختار من بين الموجودات، وغاية سيره الوصول الى باب الله والفناء في ذات الله والعكوف بفناء الله، ومعاده الى الله ومن الله وفي الله وبالله؛ كما يقول سبحانه في القرآن: ﴿إنّ الينا ايابهم﴾.. وسائر الموجودات ترجع الى الحق تعالى بواسطة الانسان؛ بل مرجعها ومعادها الى الانسان كما يقول في الزيارة الجامعة المظهرة لنبذة من مقامات الولاية "واياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم". ويقول: ﴿بكم فتح الله وبكم يختم﴾.. وفي قول الله تعالى: ﴿إنّ إلينا ايابهم ثم إنّ علينا حسابهم.. ﴾ وقوله عليه السلام في الزيارة الجامعة "واياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم" سر من أسرار التوحيد وإشارة الى أن الرجوع الى الانسان الكامل هو الرجوع الى الله لأن الانسان الكامل فانٍ مطلق وباقٍ ببقاء الله وليس له من عند نفسه تعيّن وإنّيّة وأنانية؛ بل هو نفسه من الأسماء الحسنى وهو الاسم الأعظم. كما ان الاشارة الى هذا المعنى في القرآن والأحاديث الشريفة كثيرة. وان القرآن الشريف قد جمع من لطائف التوحيد وحقائقه وسرائره ودقائقه ما تتحير فيه عقول أهل المعرفة وهذا هو الاعجاز العظيم لهذه الصحيفة النورانية السماوية، وليس فقط حسن التركيب ولطف البيان وغاية الفصاحة ونهاية البلاغة وكيفية الدعوة والأخبار عن المغيبات وأحكام الأحكام واتقان تنظيم العائلة وأمثالها والتي يكون كل واحد منها بذاته اعجازا فوق الطاقة وخارقا للعادة. بل يمكن أن يقال أن معروفية القرآن بالفصاحة واشتهار هذا الاعجاز من بين سائر المعجزات في الآفاق لانه كان للعرب في الصدر الأول هذا التخصص وأدركوا هذه الجهة من الاعجاز فحسب، وأما الجهات الأخرى المهمة التي كانت فيه وكانت جهة اعجازها



أرفع، وأساس ادراكها أعلى فلم يدركها أعراب ذلك الزمان، والآن ايضا فالمتّحدون معهم في أفق الفهم لا يدركون من هذه اللطيفة الالهية سوى التركيبات اللفظية والمحسنات البديعية والبيانية، أما المطلعون على أسرار المعارف ودقائقها والخبراء بلطائف التوحيد والتجريد فوجهة نظرهم في هذا الكتاب الإلهي وقبلة آمالهم في هذا الوحي السماوي انما هي معارفه وليس لهم توجّه كثير الى الجهات الأخرى. ومن نظر الى عرفان القرآن وعرفاء الاسلام الذين اكتسبوا المعارف من القرآن وقارن بينهم وبين سائر علماء الأديان وتصنيفاتهم ومعارفهم يعرف أساس معارف الاسلام والقرآن التي هي أس أساس الدين والديانة والغاية القصوى لبعث الرسل وانزال الكتب ويصدق بدون بذل جهد أن هذا الكتاب وحي الهي وهذه المعارف معارف الهية.

ايقاظ ايماني:

اعلم أن ربوبية الحق جلّ شأنه للعالمين على نحوين:

الأول: الربوبية العامة التي تتشارك فيها جميع موجودات العالم. وهي التربية التكوينية التي توصل كل موجود من حد النقص الى الكمال اللائق له تحت تصرف الربوبية. وتقع جميع الترقيات الطبيعية والجوهرية والحركات والتطورات الذاتية والعرضية تحت التصرفات الربوبية.

وبالجملة، تكون التربية التكوينية من منزل مادة المواد والهيولى الأولى الى منزل الحيوانية وحصول القوى الجسمانية والروحانية الحيوانية، وكل منها يشهد بأن الله جلّ جلاله ربي.

والثاني من مراتب الربوبية، الربوبية التشريعية المختصة بالنوع الانساني وليس لسائر الموجودات فيها نصيب، وهذه التربية هي هداية طرق النجاة وإراءة سبل السعادة والانسانية والتحذير من منافياتها التي أظهرها الله سبحانه بواسطة الأنبياء عليهم السلام. فاذا دخل انسان بقدم إختياره تحت



تربية رب العالمين وتصرفه وصار مربى بتلك التربية بحيث لم تكن تصرفات أعضائه وقواه الظاهرية والباطنية تصرفات نفسانية بل كانت تصرفات الهية وربوبية يصل الى مرتبة الكمال الانساني المختص بالنوع الانساني.

ما دام الانسان في منزل الحيوانية يكون متماشياً مع سائر الحيوانات ومن هذا المنزل يكون أمامه سبيلان لابد أن يسلكهما بقدم الاختيار، احداهما طريق السعادة وهي الصراط المستقيم لرب العالمين، ان ربي على صراط مستقيم. والثانية: طريق الشقاوة وهو الطريق المعوّج للشيطان الرجيم. فإن جعل قواه وأعضاء مملكته في تصرّف رب العالمين وصار مربى بتربيته فيسلم القلب وهو سلطان هذه المملكة له. واذا صار القلب مربوبا لرب العالمين فتنقاد سائر جنوده له وتصير المملكة كلها مربوبة له، وفي هذا الوقت يتمكن لسانه الغيبي وهو ظل القلب أن يجيب ملائكة عالم القبر حين تقول له من ربك؟ بأن: الله جلّ جلاله ربي. وحيث أن هذا الشخص قد أطاع رسول الله واقتدى بأئمة الهدى وعمل بكتاب الله فينطق لسانه بقوله: محمد صلى الله عليه وآله نبيّي، وعليّ وأولاده المعصومون أئمتي والقرآن كتابي. لكن إذا لم يصبح القلب الهيا وربوبيا ولم ينتقش نقش لا اله الا الله ومحمد رسول الله وعلي ولي الله على لوحه ولم يصبح صورة باطنية للنفس ولم ينتسب الى القرآن بالعمل به والتفكر والتذكر والتدبّر فيه ولم يرتبط بالقرآن ارتباطا روحيا ومعنويا، ففي سكرات الموت وشدائده وفي حال الموت الذي هو الداهية العظمى تنمحي جميع المعارف من خاطره.

أيا عزيزي، ان الانسان ينسى جميع معلوماته عند ابتلائه بمرض الحصبة أو ضعف قواه الدماغية الا أمورا قد صارت بشدة التذكر والأنس بها جزء من فطرته الثانوية، واذا دهمته داهية عظمى ومخوفة فيغفل عن أكثر أموره ويشطب معلوماته بخط النسيان، فماذا يكون حاله في أهوال الموت وشدائده وسكراته، واذا لم يفتح سمع القلب ولم يكن قلبه سميعا فلا ينفعه تلقين



العقائد حين الموت وبعد الموت، والتلقين ينفع لمن يكون قلبه عارفا بالعقائد الحقة ويكون سمع قلبه منفتحا، وإنما حصلت له غفلة ما في تلك السكرات والشدائد فيصير التلقين وسيلة لأن توصلها ملائكة الله الى سمعه، ولكن اذا كان الانسان أصم ولم يكن له سمع عالم البرزخ ابدا فلا يؤثر التلقين في حاله، وقد أشير الى بعض ما قيل في الأحاديث الشريفة.

قوله تعالى: الرحمن الرحيم: اعلم أن لجميع الأسماء وصفات الحق جل وعلا مقامين ومرتبتين بصورة كلّية:

أحدهما مقام الأسماء والصفات الذاتية الثابتة في الحضرة الواحدية كالعلم الذاتي الذي هو من الشؤون الذاتية والقدرة والارادة الذاتيتين وسائر الشؤون الذاتية.

والثاني: مقام الاسماء والصفات الفعلية الثابتة للحق بتجلي الفيض المقدس كالعلم الفعلي الذي يثبته الاشراقيون ويرونه مناطا للعلم التفصيلي، وقد أقام البرهان عليه أفضل الحكماء الخواجة نصير الدين الطوسي نضر الله وجهه، وتبع الاشراقيين في هذا المعنى وهو ان الميزان في العلم التفصيلي العلم الفعلي، وهذا المطلب وان كان على خلاف التحقيق بل العلم التفصيلي ثابت في مرتبة الذات وإنّ كشف العلم الذاتي وتفصيله أعلى وأكثر من العلم الفعلي، كما ثبت وحقق في محله على وجه البرهان النوري، ولكن اصل المطلب وهو أن نظام الوجود هو العلم الفعلي التفصيلي للحق ثابت ومحقق في سنّة البرهان ومشرب العرفان؛ وان كان للمسلك العرفاني الأعلى وذوقه الأحلى طريقة غير هذه الطرق. (مذهب العاشق غير جميع المذاهب).

وبالجملة، ان للرحمة الرحمانية والرحيمية مرتبتين وتجليين. أحدهما: في مجلى الذات في حضرة الواحدية بالتجلي بالفيض الأقدس.

والثاني في مجلى الأعيان الكونية بالتجلي بالفيض المقدس، ففي



السورة المباركة ان كان الرحمن الرحيم من الصفات الذاتية كما هو أظهر ففي الآية الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم يمكن ان تجعل هاتان الصفتان تابعتين للاسم، فتكونا من الصفات الفعلية، وبناء على هذا فليس في المقام تكرار أصلا حتى يقال أنه للتأكيد والمبالغة. وعلى هذا الاحتمال فمعنى الآيات الشريفة والعلم عند الله يكون هكذا:

بمشيئته الرحمانية والرحيمية الحمد لذاته الرحمانية والرحيمية. وكما أن مقام المشيئة هو تجلي الذات المقدسة فمقام الرحمانية والرحيمية الذي هو من تعينات مقام المشيئة تجلي الرحمانية والرحيمية الذاتيتين، وهنا احتمالات أخر تركنا ذكرها لكون هذا الاحتمال أظهر.

قوله تعالى: مالك يوم الدين:

قرأ كثير من القرّاء مَلِك بفتح الميم وكسر اللام وذكروا لكل من هاتين القراءتين ترجيحات أدبية، حتى أن بعض الأعاظم من العلماء رحمه الله كتب رسالة في ترجيح ملك على مالك، وما ذكره الطرفان ليس مما يحصل به الاطمئنان، وما في نظر الكاتب أن مالك راجح بل متعيّن، لان هذه السورة المباركة وسورة التوحيد المباركة ليستا كسائر السور القرآنية من حيث أن الناس يقرأون هاتين السورتين في فرائضهم ونوافلهم وفي كل عصر من العصور يسمعها مئات ملايين المسلمين من مئات ملايين المسلمين وهم كذلك من مئات الملايين سابقيهم وهكذا بالتسامع ثبتت هاتان السورتان الشريفتان على هذا النحو الذي يقرؤونه من دون تقدم حرف وتأخره ومن دون زيادة حرف ونقصه عن الائمة الهداة والنبي صلى الله عليه وآله. ومع أن أكثر القراء قرأوها ملك وكثير من العلماء رجّحوا ملك فما ضرّت في هذا الامر الثابت الضروري والمتواتر القطعي ولم يتبعهم أحد في ذلك. ومع أن العلماء يجوّزون تبعية كل من القرّاء لم يقرأ أحد (ملك) في صلاته في مقابل الضروري، الا الشّاذ الذي لا يعتنى بقوله، وان قرأ أحد ملك من



باب الاحتياط فإنه يقول مالك أيضا، كما أن شيخنا العلاّمة في العلوم النقلية الحاج الشيخ عبد الكريم اليزدي قدس سره كان يقرأ ملك أيضا بطلب من أحد علمائنا الأعلام المعاصرين. ولكن هذا الاحتياط في غاية الضعف بل بعقيدة الكاتب مقطوع خلافه. ومن هذا البيان الذي ذكرناه علم ضعف ما قالوا أن ملك ومالك متشابهان في الخط الكوفي، لأن هذا ربما يمكن أن يدّعى في السور التي لم تكن كثيرة التداول على الالسن على اشكال فيه أيضا، ولكن في مثل هذه السورة التي ثبوتها بالتسامع والقراءة كما هو واضح جدا دعوى بلا محتوى وقول بلا اعتبار.

وهذا الكلام الذي ذكرناه جار في كفوا أيضا لأن القراءة بالواو المفتوحة والفاء المضمومة مع انها قراءة عاصم فقط فمع ذلك هي أيضا ثابتة بالضرورة بالتسامع، وان القراءات الأخر لا تعارض هذه الضرورة وان كان البعض يحتاط بزعمه ويقرؤوها بضمّ الفاء والهمزة طبقا لقراءة الأكثر ولكن لا مورد لهذا الاحتياط.

ولو نوقش في الروايات التي أمر فيها بالقراءة كقراءة الناس، كما أنها أيضا محل المناقشة، فمن المظنون أن المراد من تلك الروايات أن اقرؤوا كما يقرأ عامة الناس لا انكم مخيّرون بين القراءات السبع مثلا، فحينئذ تكون قراءة ملك وكفوا بغير ما هو مشهور بين المسلمين ومسطور في الصحف غلطا. وعلى كل حال الاحوط قراءتها على النحو المتداول بين الناس والمشهور على الألسنة والمسطور في القرآن، لأن القراءة على هذا النحو صحيحة على جميع المسالك والله العالم.

تحقيق حكمي:

اعلم أن مالكية الحق تعالى ليست كمالكية العباد مملوكاتهم ولا كمالكية السلاطين ممالكهم لانها اضافات اعتبارية وليست اضافة الحق الى الخلق من هذا القبيل، وان كان هذا النحو من المالكية ثابتاً للحق تعالى طولا عند



علماء الفقه وهو لا ينافي ما هو ملحوظ ومذكور في هذا النظر.

وليست من قبيل مالكية الانسان أعضاءه وجوارحه وليست ايضا من قبيل مالكيته قواه الظاهرية والباطنية وان كانت هذه المالكية أقرب الى مالكيته تعالى من سائر انواع المالكية المذكورة سابقا. وليست من قبيل مالكية النفس لافعالها الذاتية التي هي من شؤون النفس كايجاد الصور الذهنية التي يكون قبضها وبسطها الى حد تحت ارادة النفس ايضا؛ وليست ايضا من قبيل مالكية العوالم العقلية ما دونها وان كانت تلك العوالم متصرفة في هذه العوالم بالايجاد والاعدام، لان جميع دار التحقق الامكانية الثابت في ناصيتها ذل الفقر محدودة بحدود ومقدرة بقدر ولو بالحد الماهوي. وكل ما كان محدودا بحد يكون بينه وبين فعله بينونة عزلية على قدر محدوديته وليس له احاطة قيومية حقانية. فجميع الاشياء متباينة مع منفعلاتها ومتقابلة معها بحسب مرتبة ذاتها ولهذه الجهة ليست لها احاطة ذاتية قيومية. وأما مالكية الحق تعالى التي هي بالاضافة الاشراقية والاحاطة القيومية فهي مالكية ذاتية حقيقية حقة بحيث لا تشوبها شائبة البينونة العزلية بوجه من الوجوه في ذاته وصفاته مع موجود من الموجودات، وان مالكية الذات المقدسة لجميع العوالم على السواء من دون أن تتفاوت بوجه بالنسبة لموجود دون آخر أو أن تكون احاطته بعوالم الغيب والمجردات أكثر أو أقرب من العوالم الاخر لانه يستلزم المحدودية والبينونة العزلية ويلازم الافتقار والامكان تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا كما أنه يمكن أن تكون الاشارة الى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿نحن أقرب اليه منكم﴾، و﴿نحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾، و ﴿الله نور السموات والارض﴾. و ﴿هو الذي في السماء اله وفي الأرض اله﴾ و ﴿وله ملك السموات والأرض﴾. وقول رسول الله على ما نقل "لو دليتم بحبل الى الأرضين السفلى لهبطتم



على الله". وقول الصادق عليه السلام في رواية الكافي "لايخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ولا يكون الى مكان أقرب منه الى مكان".. وقول الامام علي النقي عليه السلام "واعلم أنه اذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش والأشياء كلها له سواء علما وقدرة وملكا احاطة".

ومع أن مالكية الذات المقدسة لجميع الأشياء ولجميع العوالم على السواء، مع ذلك يقول في الآية الشريفة مالك يوم الدين.. وهذا الاختصاص يمكن أن يكون امّا لأجل أن يوم الدين هو يوم الجمع، فلهذه الجهة مالك يوم الدين الذي هو يوم الجمع مالك سائر الأيام المتفرقات، والمتفرقات في النشأة الملكية مجتمعات في النشأة الملكوتية، وأما لان ظهور مالكية الحق وقاهريته تعالى مجده تكون في يوم الجمع الذي هو يوم رجوع الممكنات الى باب الله وصعود الموجودات الى فناء الله.

وتفصيل هذا الاجمال على وجه يناسب هذه الرسالة هو أن نور الوجود وشمس الحقيقة مادام في السير التنزلي والنزول من مكامن الغيب الى عالم الشهادة، يتجه نحو الأحتجاب والغيبة، وبعبارة أخرى في كل تنزّل تعيّن وفي كل تعيّن وتقيّد حجاب؛ والانسان حيث أنه مجتمع التعيّنات والتقيدات فهو محتجب بجميع الحجب السبعة الظلمانية والحجب السبعة النورية التي هي الأرضون السبع والسموات السبع بحسب التأويل، ولعل الرد الى أسفل سافلين ايضا عبارة عن الاحتجاب بجميع أنواع الحجب، ويمكن أن يعبّر بالليل وليلة القدر عن هذا الاحتجاب لشمس الوجود وصرف النور في أفق التعينات. ومادام الانسان محتجبا في تلك الحجب فهو محجوب عن مشاهدة جمال الأزل ومعاينة النور الأول، وحيث أن جميع الموجودات في السير الصعودي من المنازل السافلة لعالم الطبيعة بالحركات الطبيعية ـ التي أودعت في جبلة ذاتها من نور جاذبة فطرة الله بحسب تقدير الفيض



الأقدس في الحضرة العلميّة ـ اذا رجعت الى الوطن الأصلي والميعاد الحقيقي كما أشير الى ذلك كثيرا في الآيات الشريفة، فإنها تخلص مرة أخرى من الحجب النورانية والظلمانية وتتجلى مالكية الحق تعالى وقاهريته، ويتجلى الحق بالوحدة والقاهرية وعند ذلك اذا رجع الأخر الى الأول واتصل الظاهر بالباطن وسقط حكم الظهور وتجلت حكومة الباطن فيجيء الخطاب من حضرة المالك على الاطلاق وليس له مخاطب سوى ذاته المقدسة لمن الملك اليوم.. وحيث أنه ليس ثمة مجيب فيقول نفسه: لله الواحد القهار.. وهذا اليوم المطلق الذي هو يوم خروج شمس الحقيقة من حجاب افق التعينات هو يوم الدين بمعنى. لأن كل موجود من الموجودات في ظل الأسم المناسب له يفنى في الحق؛ فاذا نفخ في الصور فيظهر من ذلك الأسم ويقترن مع توابع ذلك الأسم فريق في الجنة وفريق في السعير. والانسان الكامل في هذا العالم بحسب السلوك الى الله والهجرة اليه يخرج من هذه الحجب وتظهر وتثبت له أحكام القيامة والساعة ويوم الدين فيظهر الحق على قلبه بمالكيته في هذا المعراج الصلاتي ويكون لسانه ترجمانا لقلبه وظاهره لسانا لمشاهدات باطنه، وهذا أحد أسرار اختصاص المالكية بيوم الدين.

إلهام عرشي:

اعلم ان في باب العرش وحملته اختلافات وفي ظواهر الأخبار الشريفة ايضا اختلافا وان كان الاختلاف منفيا بحسب الباطن؛ فإن العرش في النظر العرفاني والطريق البرهاني يطلق على معان كثيرة، واحد معانيه ولم أره في لسان القوم هو الحضرة الواحدية التي هي مستوى الفيض الأقدس وحملَته أربعة من أمهات الأسماء وهي: الأول والآخر والظاهر والباطن، والمعنى الأخر وما رأيته أيضا في لسان القوم الفيض المقدّس الذي هو مستوى الأسم الأعظم وحامله الرحمن الرحيم والرب والمالك، ومن اطلاقاته جميع ما سوى الله وحامله أربعة من الملائكة اسرافيل وجبرائيل

وميكائيل وعزرائيل، والمعنى الاخر هو جسم الكل وحامله أربعة أملاك وهي صور أرباب الأنواع وقد أشير اليه في رواية الكافي. وربما أطلق على العلم ولعل المراد من العلم، العلم الفعلي للحق الذي هو عبارة عن مقام الولاية الكبرى وحملَته أربعة من الأولياء الكمّل في الأمم السالفة وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى على نبينا وآله وعليهم السلام، وأربعة من الكمّل في هذه الأمه الرسول الخاتم وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، فاذا علمت هذه المقدمه فاعلم:

انه في سورة الحمد الشريفة بعد الاسم الله الذي هو اشارة الى الذات أختصت هذه الاسماء الشريفة الأربعة بالذكر وهي الرب والرحمن والرحيم والمالك، ويمكن أن يكون هذا الأختصاص لأن هذه الاسماء الأربعة الشريفة حملة عرش الوحدانية على حسب الباطن ومظاهرها الملائكة الأربعة المقرّبون للحق تعالى حملة عرش التحقق، فالاسم المبارك الرب باطن ميكائيل وهو بمظهريته للرب موكل بالأرزاق ومربي دار الوجود، والاسم الشريف الرحمن باطن اسرافيل منشئ الأرواح ونافخ الصور وباسط الأرواح والصور كما أن بسط الوجود أيضا باسم الرحمن، والاسم الشريف الرحيم هو باطن جبرائيل الموكل بتعليم الموجودات وتكميلها. والاسم الشريف المالك هو باطن عزرائيل الموكل بقبض الأرواح والصور وارجاع الظاهر الى الباطن.

فالسورة الشريفة الى **مالك يوم الدين** مشتملة على عرش الوحدانية وعرش التحقق ومشيرة الى حملته، فجميع دائرة الوجود وتجليات الغيب والشهود التي ترجمانها القرآن مذكورة الى هذا الموضع من السورة، وهذا المعنى موجود جمعا في بسم الله الذي هو الاسم الأعظم وفي الباء التي هي مقام السببية وفي النقطة التي هي سر السببية وعليّ عليه السلام هو سر الولاية فهو النقطة التي تحت الباء أي أن نقطة تحت الباء ترجمان سر الولاية. فيه تأمُّل. ووجه التأمل الإشكال الموجود في الحديث. والله العالم.



تنبيه عرفاني:

لعل في تقديم الرب وذكر الرحمن والرحيم بعده وفي تأخير المالك، اشارة لطيفة الى كيفية سلوك الانسان من النشأة الملكية الدنيوية حتى الفناء الكلي أو حتى مقام الحضور عند مالك الملوك. فالسالك ما دام في مبادىء السير فهو تحت تربية رب العالمين التدريجية؛ لأنه أيضا من العالمين وسلوكه تحت تصرف الزمان والتدرج. فاذا انسلخ عن عالم الطبيعة المتصرمة بقدم السلوك تتجلى في قلبه مرتبة الاسماء المحيطة التي لا تتعلق بالعالم الذي يغلب عليه جانب السوائية، وحيث أن للاسم الرحمن الشريف مزيد اختصاص بين الاسماء المحيطة فلهذه الجهة قد ذكر، وحين أن الرحمن ظهور الرحمة ومرتبة البسط المطلق فقد قدم على الرحيم الأقرب الى أفق البطون.

ففي السلوك العرفاني تتجلى أولا الاسماء الظاهرة وبعدها الاسماء الباطنة لأن سير السالك من الكثرة الى الوحدة حتى ينتهي الى الاسماء الباطنة المحضة التي منها اسم المالك. ففي التجلي بالمالكية تضمحل كثرات عالم الغيب والشهادة ويحصل الفناء الكلي والحضور المطلق فاذا تخلص من حجب الكثرة بظهور الوحدة والسلطنة الالهية ونال المشاهدة الحضورية فيخاطِب مخاطبة حضورية ويقول: اياك نعبد. فدائرة سير السائرين أيضا بتمامها مذكورة في السورة الشريفة من آخر حجب عالم الطبيعة الى رفع جميع الحجب الظلمانية والنورانية وحصول الحضور المطلق. وهذا الحضور هو القيامة الكبرى للسالك وقيام ساعته. ولعل المقصود من المستثنى في الآية الشريفة ﴿ فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ﴾ هو هذا النوع من أهل السلوك فإنه قد حصل لهم الصعق والمحو قبل النفخ في الصور الكلي. ولعل هذا المعنى أحد محتملات قول رسول الله صلى الله عليه وآله: "انا والساعة كهاتين" وجمع بين السبابتين الشريفتين.



تنبيه أدبي:

ما رأيناه في التفاسير المتداولة أو نقل عنها أنهم فسروا الدين بمعنى الجزاء والحساب، وقد ذكر هذا المعنى في كتب اللغة أيضا واستشهد عليه بقول الشعراء العرب، مثل قول الشاعر

"واعلم بأنّ كما تدين تدان"

والقول المنسوب الى سهل بن ربيعة "ولم يبق سوى العدوان دِنّاهم كما دانوا "وقالوا بأن الديّان وهو من الأسماء الالهية أيضا بهذا المعنى. ولعل المراد من الدين الشريعة الحقة، وحيث أن آثار الدين تظهر في يوم القيامة ويزول الستار عن وجه الحقائق الدينية فيحق أن يقال لذاك اليوم يوم الدين، كما أن يومنا هذا هو يوم الدنيا لانه يوم ظهور آثار الدنيا ولم تظهر صورة الدين الحقيقية بعد، وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿وذكّرهم بأيام الله﴾، وهي الأيام التي يعامل فيها الحق تعالى قوما بالقهر والسلطنة، ويوم القيامة أيضا يوم الله وكذلك هو يوم الدين أيضا لانه يوم ظهور السلطنة الالهية ويوم بروز حقيقة دين الله.

قوله تعالى: اياك نعبد واياك نستعين:

اعلم أيها العزيز أنه اذا علم السالك في طريق المعرفة ان المحامد والمدائح بتمامها مختصة بذات الحق، وعلم أن قبض الوجود وبسطه منه، وعلم أن أزمّة الأمور في الأول والآخر والمبدأ والمنتهى بيد مالكيته، وتجلى لقلبه توحيد الذات والصفات والافعال، فانه يحصر العبادة والاستعانة بالحق، ويرى جميع دار التحقق خاضعة لذاته المقدسة طوعا و كرها، ولا يرى قادرا في دار التحقق حتى ينسب الاعانة اليه. وما ذكره بعض أهل الظاهر من أن حصر العبادة حقيقي واما حصر الاستعانة فليس بحقيقي لانه يستعان بغير الحق، وفي القرآن الشريف ذكر سبحانه ايضا ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾. وقال: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ ايضا، ومن المعلوم



بالضرورة أن سيرة النبي الاكرم وأئمة الهدى وأصحابهم والمسلمين قائمة على الاستعانة بغير الحق في غالب الأمور المباحة مثل الاستعانة بالدابة والخادم والزوجة والرفيق والرسول والأجير وغير ذلك، فهذا كله كلام على أسلوب أهل الظاهر. وأما من له علم بالتوحيد الفعلي للحق تعالى ويرى أن نظام الوجود صورة فاعلية الحق تعالى ويرى ببصيرته وقلبه النوراني اما برهانا او عيانا انه لا مؤثر في الوجود الا الله، فهو يرى حصر الاستعانة أيضا حصرا حقيقيا ويرى اعانة سائر الموجودات صورة لاعانة الحق.

وبناء على ما يذكره أولئك، فاختصاص المحامد بالحق تعالى ايضا لا وجه له لانه على مسلكهم، فلسائر الموجودات تصرفات واختيارات وجمال وكمال تليق بالمدح والحمد بل الاحياء والاماتة والرزق والخلق وسائر الامور مشتركة بين الحق والخلق، وهذه الأمور في نظر أهل الله هي الشرك وقد عبّر في الروايات عن هذه الامور بالشرك الخفيّ، كما ان ادارة الخاتم لتذكر شيء عدّت من الشرك الخفيّ.

وبالجملة، اياك نعبد واياك نستعين من متفرعات الحمد لله الذي هو اشارة الى التوحيد الحقيقي، ومن لم تتجلّ حقيقة التوحيد في قلبه ولم يطهر قلبه من مطلق الشرك فقوله اياك نعبد لا حقيقة له ولا يتمكن من حصر العبادة والاستعانة بالحق ولا يكون شاهدا لله وطالبا لله، واذا تجلى التوحيد في القلب فانه ينصرف عن الموجودات ويتعلق بعزّ قدس الحق بمقدار تجلّيه الى أن يشاهد انه باسم الله يقع اياك نعبد واياك نستعين، وتتجلى لقلبه بعض حقائق "انت كما أثنيت على نفسك".

تنبيه اشراقي:

قد تبين من مقاطع هذه الرسالة نكتة العدول عن الغيبة الى الخطاب، وهذا وان كان بنفسه من محسنات الكلام ومزايا البلاغة وكثيرا ما يقع في كلام الفصحاء والبلغاء ويوجب حسن الكلام، ونفس الالتفات من حال



الى حال يرفع السأمة عن المخاطب ويعطي روحه نشاطا جديدا، ولكن حيث ان الصلاة معراج الوصول الى حضرة القدس ومرقاة حصول مقام الانس، فهذه السورة الشريفة تقدم لنا حكم الترقي الروحاني والسفر العرفاني. وحيث أن العبد في بدء السلوك الى الله محجوب في الحجب الظلمانية لعالم الطبع والحجب النورانية لعالم الغيب ومحبوس فيها، والسفر الى الله هو الخروج من هذه الحجب بقدم السلوك المعنوي، وفي الحقيقة المهاجرة الى الله هي الرجوع من بيت النفس وبيت الخلق الى الله وترك الكثرات ورفض غبار الغيرية وحصول التوحيدات والغيبة عن الخلق والحضور لدى الرب، فإذا رأى في الآية الشريفة مالك يوم الدين الكثرات منطوية تحت سطوع نور المالكية والقاهرية فتحصل له حالة المحو عن الكثرة ويحصل له الحضور في الحضرة ويقدّم العبودية بالمخاطبة الحضورية ومشاهدة الجمال والجلال ويعرض مشاهداته لله وطلبه على محضر القدس ومحفل الانس.

ولعل النكتة في أن العبد يؤدي هذا المقصد بضمير اياك هي ان هذا الضمير راجع الى الذات مضمحلة فيها الكثرات. فيمكن ان تحصل للسالك في هذا المقام حالة التوحيد الذاتي وينصرف عن كثرة الاسماء والصفات ايضا وتكون وجهة القلب حضرة الذات بلا حجب الكثرات. وهذا هو كمال التوحيد الذي يقوله امام الموحدين ومقدم حلقة العارفين وقائد العاشقين ورأس سلسلة المجذوبين والمحبوبين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى أولاده المعصومين: **"وكمال التوحيد نفي الصفات عنه"** لان للصفة وجهة الغيرية والكثرة. وهذا التوجه الى الكثرة الاسمائية بعيد عن سرائر التوحيد وحقائق التجريد، ولهذا فلعل سر خطيئة آدم عليه السلام كان التوجه الى الكثرة الاسمائية التي هي روح الشجرة المنهية.

تحقيق عرفاني:

اعلم أن أهل الظاهر ذكروا في ذكر نعبد ونستعين بصيغة المتكلم مع



الغير، مع أن العابد واحد، نكاتا منها أن العابد يقوم بحيلة شرعية تكون عبادته بها مقبولة من جناب الحق تعالى. وهي أن يقدم عبادته لجناب القدس وحضرة الرحمة ضمن عبادة سائر المخلوقين ومنهم كمّل أولياء الله الذين يقبل الله تعالى عبادتهم كي تكون عبادته بهذه الوسيلة أيضا مقبولة ضمنا، لان تبعّض الصفقة ليس من عادة الكريم.

ومنها تشريع الصلاة اذ كانت في أول الأمر مع الجماعة، فمن هذه الجهة أدّيت بلفظ الجمع ونحن ذكرنا نكتة في السرّ الجملي للاذان والاقامة يكشف منها هذا السر في الجملة، وهي أن الاذان اعلان لقوى السالك الملكية والملكوتية للحضور في المحضر وان الاقامة هي اقامتها في الحضور، فاذا أحضر السالك قواه الملكية والملكوتية في المحضر وقام القلب الذي هو إمامها بسمة الامامة فقد قامت الصلاة وان المؤمن وحده جماعة.. فقول نعبد ونستعين واهدنا كلها لاجل هذا الجمع الحاضر في محضر القدس، وقد اشير الى هذا المعنى في الروايات والادعية الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة الذين هم منابع العرفان والشهود.

والوجه الاخر الذي يظهر للكاتب هو أن السالك في الحمد لله اذا جعل المحامد والثناءات من كل حامد ومثن في الملك والملكوت مقصورة ومختصة بالذات المقدسة للحق ـ وقد ظهر ايضا في اسانيد أئمة البرهان وقلوب أصحاب العرفان أن لجميع دائرة الوجود بملكها وملكوتها وقضها وقضيضها حياة شعورية ادراكية حيوانية بل انسانية وهي حامدة مسبحة للحق تعالى عن استشعار وإدراك. وان الخضوع لدى حضرة الكامل المقدسة والجميل على الاطلاق ثابت في فطرة جميع الموجودات وخصوصا النوع الانساني وناصية الكل في جناب قدسه على التراب كما قال تعالى في القرآن الشريف: ﴿**وان من شيء الا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ وسائر الآيات الشريفة وأخبار المعصومين المشحونة بهذه



اللطيفة الالهية مؤيدة بالبرهان الحكمي المتين ـ فاذا وجد السالك الى الله هذه الحقيقة بقدم الاستدلال البرهاني او الذوق الايماني او المشاهدة العرفانية فهو يدرك في أي مقام هو فيه ان جميع ذرات الوجود وسكنة الغيب والشهود عابدة للمعبود على الاطلاق وتطلب موجدها؛ فيظهر بصيغة الجمع ان جميع الموجودات في جميع حركاتها وسكناتها تعبد الذات المقدسة للحق تعالى وتستعين به.

تنبيه ونكتة:

اعلم انه قيل في وجه تقديم اياك نعبد على اياك نستعين ـ مع ان القاعدة تقتضي ان تكون الاستعانة في العبادة مقدمة على نفس العبادة ـ ان ما قدم هو العبادة على الاستعانة لا على الاعانة وربما تكون الاعانة من دون الاستعانة.

وكذلك حيث أنهما مرتبطان احدهما بالأخر فلا فرق في التقديم والتأخير كما يقال قضيت حقي فأحسنت الي، وأحسنت الي فقضيت حقي.

وكذلك أن الاستعانة هي للعبادة المستأنفة لا العبادة الواقعة، وبرودة هذه الوجوه ليست بخافية على أهل الذوق.

ولعل النكتة فيه أن حصر الاستعانة بالحق تعالى متأخر عن حصر العبادة بحسب السلوك الى الله كما هو واضح. فإن كثيرا من الموحدين في العبادة والحاصرين العبادة في الحق مشركون في الاستعانة ولا يحصرون الاستعانة بالحق كما نقلنا عن بعض أهل التفسير ان حصر الاستعانة ليس حقيقيا. فالحصر في العبادة بمعناه المتعارف من أوائل مقامات الموحدين. واما حصر الاستعانة فهو ترك غيرالحق مطلقا ولا يخفى ان المقصود من الاستعانة ليس الاستعانة في العبادة فقط بل الاستعانة في مطلق الامور. وهذا انما يكون بعد رفض الاسباب وترك الكثرات والاقبال التام على الله.



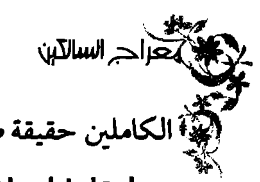
وبعبارة اخرى، حصر العبادة هو إرادة الحق وطلب الحق وترك طلب الغير، وأما حصر الاستعانة فهو رؤية الحق وترك رؤية الغير، وفي مقامات العارفين ومنازل السالكين ترك رؤية الغير متأخّر عن ترك طلب الغير.

فائدة عرفانية:

اعلم ايها العبد السالك ان حصر العبادة والاستعانة بالحق ايضا ليس من مقامات الموحّدين والمدارج الكمالية للسالكين لان فيه دعوى تنافي التوحيد والتجريد. بل رؤية العبادة والعابد والمعبود والمستعين والمستعان به والاستعانة هي أمر منافٍ للتوحيد، وفي التوحيد الحقيقي الذي يتجلى لقلب السالك تستهلك كل هذه الكثرات وتضمحلّ رؤية كل هذه الامور. نعم، الذين أفاقوا من الجذبة الغيبية وحصل لهم مقام الصحو ليست الكثرة حجابا لهم؛ وذلك لان الناس على طوائف.

فطائفة هم المحجوبون أمثالنا المساكين المستغرقون في الحجب الظلمانية للطبيعة، وطائفة هم السالكون المسافرون الى الله والمهاجرون الى حضرة القدس. وطائفة هم الواصلون الذين خرجوا عن حجب الكثرة واشتغلوا بالحق، وهم عن الخلق محجوبون وغافلون وقد حصل لهم الصعق الكلي والمحو المطلق، وطائفة هم الراجعون الى الخلق الذين لهم منصب المكمّلية والهادويّة كالانبياء العظام والاوصياء لهم، عليهم السلام، وهذه الطائفة مع وقوعهم في الكثرة واشتغالهم بارشاد الخلق لا تكون الكثرة حجابا لهم، ولهم مقام البرزخية، فبناء على هذا يفرق اياك نعبد واياك نستعين على حسب حالات هؤلاء الطوائف. فهو من امثالنا المحجوبين ادّعاء صرف وصورة محضة؛ فان تنبّهنا لحجابنا وأدركنا نقصاننا، فبمقدار ما نطّلع على نقصاننا تتنور عبادتنا وتقع موردا لعناية الحق تعالى.. وأما من السالكين فيقع هذا القول بمقدار سلوكهم قريبا من الحق.. ومن الواصلين فهو بالنسبة الى رؤيتهم الحق حقيقة وبالنسبة الى رؤية الكثرة صورة صرفة وجري على العادة، ومن





الكاملين حقيقة صرفة فليس لهم حجاب حقي ولا حجاب خلقي.

ايقاظ ايماني:

اعلم ايها العزيز اننا ما دمنا في هذه الحجب الغليظة لعالم الطبيعة، ونصرف الوقت في تعمير الدنيا ولذائذها، ونحن عن الحق تعالى وذكره والتفكر فيه غافلين، فجميع عباداتنا وأذكارنا وقراءاتنا عارية عن الحقيقة فلا في الحمد لله نتمكن من حصر المحامد بالحق ولا في اياك نعبد واياك نستعين نسلك طريقا من الحقيقة بل نحن مع هذه الدعاوى الفارغة مخزيون وناكسو الرؤوس في محضر الحق تعالى والملائكة المقربين والانبياء المرسلين والاولياء المعصومين.

فإن من كان لسان حاله ومقاله مشحونا بمدح أهل الدنيا كيف يقول الحمد لله، وانّ من كانت وجهة قلبه الى الطبيعة ولم يشمّ رائحة الالوهية وكان اعتماده واتكاله على الخلق فبأي لسان يقول اياك نعبد واياك نستعين. فاذا كنت من رجال هذا الميدان فشمّر ذيل الهمة وأوصل الى قلبك هذه الحقائق واللطائف التي ذكرت في هذه الرسالة في أوائل الامر بشدّة التذكر والتفكر في عظمة الحق وفي ذلة المخلوق وعجزه وفقره، وأحيي قلبك بذكر الحق تعالى كي تصل رائحة من التوحيد الى شامة قلبك وتجد طريقا الى صلاة أهل المعرفة بالامداد الغيبي. وان لم تكن من رجال هذا الميدان فلا أقل أجعل نقصك نصب عينيك وتوجّه الى ذلتك وعجزك وقم بالامر بالخجل والاستحياء، واحذر من دعوى العبودية واقرأ هذه الآيات الشريفة التي لست متحققا بلطائفها إما بلسان الكمّل، وأما أن يكون في نيّتك قراءة صورة القرآن صرفا حتى لا تدّعي باطلا ولا يكون ادّعاؤك كاذبا على الأقل.

فرع فقهي:

ذهب بعض الفقهاء الى عدم جواز قصد الانشاء في ايّاك نعبد واياك نستعين وأمثاله ظنّا منهم أنه ينافي القرآنية والقراءة لأن القراءة



هي نقل كلام الغير.

وهذا الكلام ليس له وجه لأن الانسان كما يمكن أن يمدح بكلامه مثلا انسانا يمكن أن يمدحه بكلام الآخرين، فمثلا اذا مدحنا شخصا بشعر لحافظ الشيرازي، يصدق أنّا مدحناه ويصدق أيضا أنا قرأنا شعر حافظ.

فاذا أنشأنا حقيقة جميع المحامد للحق بالحمد لله رب العالمين وأنشأنا قصر العبادة للحق بإيّاك نعبد يصدق أنّا حمدنا الله بكلامه وقصرنا العبادة بالله بكلامه؛ بل نقول:

اذا جرد أحد كلامه عن هذا المعنى الانشائي، فهذا التجريد مخالف للاحتياط ان لم نقل ببطلان قراءته، نعم لو لم يعلم أحد معناه فلا يلزم له أن يتعلم؛ بل تكفي له قراءة صورة الأية بما لها من المعنى، وفي الروايات الشريفة اشارة الى أن القارىء ينشىء كما في الحديث القدسي: "**فاذا قال ـ أي العبد ـ في صلاته بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله يقول الله حمدني عبدي**" الى آخره.. وما لم يكن انشاء الحمد والثناء من جانب العبد فلا معنى لذكرني وحمدني وفي أحاديث المعراج يقول "**الأن وصلت فسمّ باسمي**". ويعلم من الحالات التي كانت تحصل لأئمة الهدى عليهم السلام في مالك يوم الدين واياك نعبد وتكرار بعض هذه الايات أنهم كانوا ينشؤون ولم تكن قراءتهم قراءة صرفة من قبيل اسماعيل يشهد أن لا اله الا الله.

واختلاف مراتب صلاة أهل الله أحد مهماته هو الإختلاف في قراءتهم كما اشير في السابق الى نبذة منها، وهذا لايتحقق الا اذا كان القارىء منشئا للقراءة والأذكار، والشواهد على هذا المعنى أكثر من هذا.

وبالجملة فجواز انشاء هذه المعاني بالكلام الالهي بلا اشكال.

فائدة:

ان أهل اللغة قالوا بأن العبادة هي بمعنى غاية الخضوع والتذلل؛ وقالوا



لأنها كذلك فلا تليق الا لمن له أعلى مراتب الوجود والكمال وأعظم مراتب النعم والاحسان. ومن هذا تكون عبادة غير الحق شركا. ولعله للعبادة في حقيقتها ـ التي في اللغة الفارسية (برستش وبندكي) ـ معنى أكبر من الذي ذكروه لها، وهو عبارة عن الخضوع للخالق والإله. ولهذا يلازم هذا النحو من الخضوع اتخاذ المعبود الها وخالقا أو النظير والشبيه والمظهر له مثلا؛ فلهذه الجهة تكون عبادة غير الحق تعالى شركا وكفرا، واما مطلق الخضوع من دون هذا الاعتقاد أو الجزم بهذا المعنى ولو تكلّفا فإنه لا يوجب الكفر والشرك وان بلغ غاية الخضوع؛ وان كان بعض أنواعه حراما كتعفير الجبين بالتراب للخضوع. فهذا وان لم يكن عبادة لكنه ممنوع شرعا على الظاهر، فأنواع الاحترام الذي يبديه أهل المذاهب لأعاظم مذاهبهم مع الأعتقاد بأنهم عباد فقراء الى الحق تعالى في كل شيء في أصل الوجود وكماله وأنهم عباد صالحون، ومع أنهم لايملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولاحياة هم مقربون في جناب الحق تعالى ومورد عناياته ووسائل عطياته بواسطة عبوديتهم، ليس فيها شائبة الشرك والكفر، واحترام خاصة الله احترام له وحب خاصة الله حب لله.

وأشهد بالله وكفى به شهيدا ان فيما بين الطوائف طائفة امتازت عن جميع طوائف العائلة البشرية في توحيد الحق تعالى وتقديسه وتنزيهه ببركة أهل البيت الوحي والعصمة وخزّان العلم والحكمة وهي طائفة الشيعة الأثنا عشرية وكتبهم في أصول العقائد مثل الكتاب الشريف أصول الكافي والكتاب الشريف التوحيد للشيخ الصدوق رضوان الله عليه، وخطب أئمتهم المعصومين وأدعيتهم عليهم السلام التي صدرت في توحيد الحق جلّ وعلا وتقديسه من معادن الوحي والتنزيل تشهد ان تلك العلوم لم تكن لها سابقة لدى البشر بعد الكتاب المقدس الوحي الالهي والقرآن الشريف الذي كتب بيد القدرة، لم يقدّس ولم ينزّه أحد الحقَ تعالى مثلهم. وبالرغم



من أن الشيعة في جميع الأمصار والأعصار اتّبعوا هؤلاء الأئمة المعصومين المنزّهين الموحّدين وعرفوا الحق ونزّهوه ووحّدوه بالبراهين الواضحة، فإن بعض الطوائف المعلوم من عقائدهم وكتبهم الالحاد قد فتحوا باب الطعن واللعن على الشيعة، ولما فيهم من نصب العداء الباطني نسبوا التابعين لأهل بيت العصمة الى الشرك والكفر وهذا وان كان في سوق أهل المعرفة لا يقوّم بشيء ولكن فيه مفسدة ان يبعّد الناس الناقصين والعوام الجاهلين عن معادن العلم ويسوقهم الى الجهل والشقاء وهذه جناية عظيمة على نوع البشر لا يمكن جبرانها بوجه، فلهذه الجهة طبقا للموازين العقلية والشرعية يكون وزر هذه الجماعة القاصرة الجاهلة المسكينة وذنبها على الذين لم يراعوا الأنصاف ومنعوا نشر المعارف والأحكام الالهية لمنافع خيالية في أيام معدودة واوجبوا الشقاء للنوع البشري وضيّعوا وأبطلوا جميع ما تحمّل خير البشر من التعب واغلقوا باب أهل بيت الوحي والتنزيل على الناس، اللهم العنهم لعنا وبيلا وعذّبهم عذابا أليما.

قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة:

اعلم ايها العزيز حيث ان في سورة الحمد الشريفة إشارة الى كيفية سلوك أرباب المعرفة والارتياض والى **اياك نعبد** كل ما يتعلق بكيفية السلوك من الخلق الى الحق فاذا ارتقى السالك من التجليات الأفعالية الى التجليات الصفاتية ومنها الى التجليات الذاتية وخرج من الحجب النورانية والظلمانية ووصل الى مقام الحضور والمشاهدة فتحصل له مرتبة الفناء التام والاستهلاك الكلي، فاذا تمّ السير الى الله بغروب أفق العبودية وطلوع سلطنة المالكية في **مالك يوم الدين** ففي منتهى هذا السلوك تصيبه حالة التمكن والاستقرار ويصحو السالك وتحصل له حالة الصحو ويتوجّه الى مقامه ولكن بتبع التوجّه الى الحق، بعكس حال الرجوع الى الله الذي كان التوجه الى الحق فيه بتبع التوجه الى الخلق، وبعبارة أخرى في حال السلوك



الى الله كان يرى الحق في الحجاب الخلقي وبعد الرجوع من مرتبة الفناء الكلي التي حصلت في مالك يوم الدين يرى الخلق في نور الحق، ومن هذه الجهة يقول اياك نعبد بتقديم ضمير ايّا وكاف الخطاب على ذاته وعبادته. وحيث انه يمكن ألاّ يكون لهذه الحالة ثبات ويتصوّر في هذا المقام ايضا الزلّة فيطلب من الحق تعالى ثباته ولزومه بقوله اهدنا أي الزمنا كما فسّر.

وليعلم أن هذا المقام الذي ذكر، والتفسير الذي بيّن انما هو للكمّل من أهل المعرفة الذين مقامهم الاول أنهم في مقام رجوعهم من السير الى الله يكون الحق تعالى حجابا لهم عن الخلق ومقام كمالهم هو حالة البرزخية الكبرى التي لا يكون الخلق فيها حجابا لهم من الحق كأمثالنا المحجوبين ولا الحق يكون حجابا لهم عن الخلق كالواصلين المشتاقين والفانين المجذوبين، فالصراط المستقيم لهم عبارة عن هذه الحالة البرزخية المتوسطة بين النشأتين وهي صراط الحق. وبناء على هذا يكون المقصود من الذين أنعمت عليهم هؤلاء الذين قدر الحق تعالى في الحضرة العلمية بالتجلي بالفيض الاقدس استعدادهم وبعد الفناء الكلي أرجعهم الى مملكتهم ويكون المغضوب عليهم على هذا التفسير هم المحجوبين قبل الوصول والضالين هم الفانين في الحضرة. واما غير الكمّل فإنهم إن لم يدخلوا في السلوك فهذه الامور في حقهم غير صحيحة وصراطهم صراط ظاهر الشريعة ولهذا فسّر الصراط المستقيم بالدين والاسلام وأمثالهما وإن كانوا من أهل السلوك فالمقصود من الهداية بيان الطريق ومن الصراط المستقيم أقرب طرق الوصول الى الله وهو طريق رسول الله وأهل بيته كما فسّر برسول الله وأئمة الهدى وأمير المؤمنين عليهم السلام، وكما في الحديث ان رسول الله رسم خطا مستقيما ورسم في أطرافه خطوطا وقال: هذا الخط الوسط المستقيم لي. ولعل المراد من الامة الوسط في قوله تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾. الوسطية بقول مطلق وبجميع المعاني



ومن جملتها الوسطية في جميع المعارف والكمالات الروحية وهي مقام البرزخية الكبرى والوسطية العظمى. ولهذا يختص هذا المقام بالكمّل من أولياء الله، ولذا ورد في الرواية أن المقصود من هذه الآية أئمة الهدى عليهم السلام كما قال الباقر عليه السلام ليزيد بن معاوية العجلي: "**نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه**" الحديث. وفي رواية اخرى "**الينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصّر**" وفي هذا الحديث اشارة الى ما ذكر.

تنبيه اشراقي واشراق عرفاني:

اعلم أيها الطالب للحق والحقيقة أن الحق تبارك وتعالى لما خلق نظام الوجود ومظاهر الغيب والشهود بحسب الحب الذاتي بالمعروفية في حضرة الأسماء والصفات بمقتضى الحديث الشريف: كنت كنزا مخفيًا فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكي أعرف.. فأودع وأبدع في فطرة جميع الموجودات الحب الذاتي والعشق الجبلي، فجميع الموجودات بتلك الجذبة الالهية ونار العشق الرباني تتوجه الى الكمال المطلق وتطلب وتعشق الجميل على الاطلاق وجعل سبحانه لكل واحد منها نورا فطريا الهيا يجد بذلك النور طريق الوصول الى المقصد والمقصود، وهذه النار وهذا النور أحدهما رفرف الوصول والآخر براق العروج، ولعل براق رسول الله ورفرفه كانت رقيقة هذه اللطيفة وصورة ممثلة ملكية لهذه الحقيقة ولهذا أنزلت من الجنة التي هي باطن هذا العالم.

وحيث أن الموجودات نزلت في مراتب التعينات وحجبت عن جمال الجميل المحبوب جلت عظمته، فيخرجها الحق تعالى بهذه النار والنور عن حجب التعينات الظلمانية والانّيات النورانية بالاسم المبارك الهادي الذي هو حقيقة هذه الرقائق ويوصلها الى المقصد الحقيقي وجوار محبوبها في أقرب الطرق، فذاك النور نور هداية الحق تعالى وتلك النار نار التوفيق



الالهي، والسلوك بالطريق الاقرب هو الصراط المستقيم والحق تعالى على ذاك الصراط المستقيم. ولعل الاشارة الى هذه الهداية وهذا السير وهذا المقصد الآية الشريفة: ﴿ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم﴾ كما هو ظاهر لأهل المعرفة.

وليعلم أن لكل من الموجودات صراطا خاصًا به ونـورا وهداية مخصوصة. والطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق، وحيث أن في كل تعيّن حجابا ظلمانيا وفي كل وجود وانيّة حجابا نورانيا، والانسان مجمع التعيّنات وجامع الموجودات فهو احجب الموجودات عن الحق تعالى ولعله الى هذا المعنى تشير الآية الكريمة: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ ومن هذه الجهة فصراط الانسان أطول الصرط وأظلمها. وأيضا حيث أن رب الانسان حضرة الاسم الله الاعظم ونسبة الظاهر والباطن والاول والآخر والرحمة والقهر، وبكلمة أخيرة نسبة جميع الاسماء المتقابلة له على السواء فلا بد أن يحصل لنفس الانسان في منتهى سيره مقام البرزخية الكبرى، ولهذه الجهة يكون صراطه أدق من جميع الصرط.

تنبيه ايماني:

كما ذكر وعلم ان للهداية على حسب أنواع سير السائرين ومراتب سلوك السالكين الى الله مقامات ومراتب ونحن نشير بطريق الاجمال الى بعض مقاماتها ليعلم في ضمنه الصراط المستقيم وصراط المفرطين وصراط المفرّطين الذين هم المغضوب عليهم والضالون على حسب كل مرتبة من المراتب.

الاول: نور الهداية الفطري وقد أشير اليه في التنبيه السابق. فالصراط المستقيم في هذه المرتبة من الهداية عبارة عن السلوك الى الله بلا احتجاب بالحجب الملكية أو الملكوتية. أو أنه السلوك الى الله بلا احتجاب بحجب المعاصي القالبية أو المعاصي القلبية أو أنه السلوك الى الله بلا احتجاب بحجب الغلو أو التقصير أو السلوك إلى الله بلا احتجاب بالحجب النورانية



أو الظلمانية، أو السلوك الى الله بلا احتجاب بحجب الوحدة أو الكثرة ولعل آية: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ تشير الى هذه المرتبة من الهداية والاحتجاب التي قدرت في حضرة القدر وهي عندنا عبارة عن مرتبة الواحدية بالتجلي بحضرات الأعيان الثابتة، وتفصيله خارج عن مجال هذه الرسالة بل عن نطاق التحرير والبيان وهو سرّ من أسرار الله وستر من استار الله.

الثاني: الهداية بنور القرآن وفي مقابلها الغلوّ والتقصير عن معرفته أو الوقوف على الظاهر والوقوف على الباطن، كما أن بعض أهل الظاهر يرون أن علوم القرآن عبارة عن المعاني العرفية العامية والمفاهيم السوقية والوضعية وبسبب هذه العقيدة لا يتفكرون في القرآن ولا يتدبرونه، واستفادتهم من هذه الصحيفة النورانية المتكفّلة لجميع السعادات الروحية والجسمية والقلبية والقالبية منحصرة بالتعاليم الصورية الظاهرية، والآيات الكثيرة الدالة على أن التدبّر والتذكّر لازم أو راجح ويفتح أبوابا من المعرفة بالاستنارة بنور القرآن، يجعلونها وراء ظهورهم. فكأن القرآن نزل للدعوة الى الدنيا ومستلذاتها الحيوانية وتأكيد المقام الحيواني والشهوات البهيمية.

وبعض أهل الباطن اتباعا لظنونهم ينصرفون عن ظاهر القرآن ودعواته الصورية التي هي برنامج التأدّب بآداب المحضر الالهي وكيفية السلوك الى الله وهم عنها غافلون؛ وينحرفون عن ظاهر القرآن بتلبيسات ابليس اللعين والنفس الأمارة بالسوء، ويتشبّثون بالعلوم الباطنية بحسب زعمهم، مع أن طريق الوصول الى الباطن يكون بالتأدب بالظاهر.

فهاتان الطائفتان خارجتان عن جادة الاعتدال ومحرومتان من نور الهداية الى الصراط المستقيم القرآني ومنسوبتان الى الافراط والتفريط، ولكن العالم المحقق والعارف المدقق يقوم بالظاهر والباطن ويتأدب بالآداب الصورية والمعنوية، فكما أنه ينوّر الظاهر بنور القرآن ينوّر الباطن أيضا بأنوار



معارفه وتوحيده وتجريده.

فليعلم أهل الظاهر أن قصر القرآن على الاداب الصورية الظاهرية ونبذة من الوظائف العملية والأخلاقية والعقائد العامية في باب التوحيد والأسماء والصفات انكار لحق القرآن واعتقاد النقص في الشريعة الختمية التي لا بد أن لا يتصوّر أكمل منها والا كانت خاتميته في سنّة العدل محالا، فحيث أن هذه الشريعة خاتمة الشرائع والقرآن خاتم الكتب النازلة والرابطة الأخيرة بين الخالق والمخلوق، فلا بد أن يكون في حقائق التوحيد والتجريد والمعارف الالهية التي هي المقصد الاصلي والغاية الذاتية للأديان والشرائع والكتب النازلة الالهية، في المرتبة النهائية ومنتهى أوج الكمال، والا يلزم النقص في الشريعة وهو خلاف العدل الالهي واللطف الربوبي وهذا بنفسه محال فاضح وعار قبيح لا تغسل وَسْمَةَ عاره عن وجه الأديان الحقّة بسبعة أبحر والعياذ بالله.

وليعلم أهل الباطن أن الوصول الى المقصد الأصلي والغاية الحقيقية لا يمكن الا بتطهير الظاهر والباطن، وبدون التشبّث بالصورة والظاهر لا يمكن الوصول الى اللبّ والباطن، وبدون التلبّس بلباس ظاهر الشريعة لن يجد الطريق الى الباطن، ففي ترك الظاهر ابطال لظاهر الشريعة وباطنها وهذا من تلبيسات شيطان الجن والانس، وقد ذكرنا نبذة من هذا المطلب في كتاب شرح أربعين حديثا.

الثالث: الهداية بنور الشريعة.

الرابع: الهداية بنور الاسلام.

الخامس: الهداية بنور الايمان.

السادس: الهداية بنور اليقين.

السابع: الهداية بنور العرفان.

الثامن: الهداية بنور المحبة.

التاسع: الهداية بنور الولاية.

العاشر: الهداية بنور التجريد والتوحيد، ولكل منها طرفان: افراط وتفريط وغلوّ وتقصير، وتفصيلها موجب للتطويل ولعله الى بعضها أو الى جميعها يشير الحديث الشريف للكافي: **"نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي"**. وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله **"خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي"**.

تنبيه عرفاني:

اعلم أن لكل من موجودات عوالم الغيب والشهادة والدنيا والاخرة مبدأ ومعادا وان كان مبدأ الكل ومرجعه الهوية الالهية. ولكن حيث إنه ليس للذات المقدسة جلا وعلا من حيث هو بلا حجاب الاسماء تجلّ للموجودات العالية والسافلة، وبحسب هذا المقام اللامقامي لا اسم له ولا رسم ولا يتصف بالأسماء الذاتية والصفاتية والأفعالية وليس لأحد من الموجودات معه تناسب ولا ارتباط ولا اختلاط، أين التراب ورب الأرباب، كما ذكرت تفصيل هذه اللطيفة مستقصىً في كتاب مصباح الهداية، فمبدأية ذاته المقدسة ومصدريتها في الحجب الأسمائية. والأسم في الوقت الذي هو عين المسمّى هو حجابه ايضا، فالتجلي في عوالم الغيب والشهادة على حسب الأسماء وفي حجابها. فمن هذه الجهة للذات المقدسة وفي جلوات الأسماء والصفات تجليات في الحضرة العلمية يسمي أهل المعرفة تعيناتها بالأعيان الثابتة. فبناء على هذا يلزم لكل تجلّ اسمي في الحضرة العلمية عين ثابتة. ولكل اسم بتعيّنه العلمي مظهر في النشأة الخارجية، ومبدأ هذا المظهر ومرجعه الى الأسم الذي يناسبه ورجوع كل الموجودات من عالم الكثرة الى غيب الاسم الذي هو مصدره ومبدؤه عبارة عن صراطه المستقيم، فلكلٍ سير وصراط مخصوص ومبدأ ومرجع مقدّر في



الحضرة العلمية طوعا أو كرها، واختلاف المظاهر والصرط باختلاف الظاهر وحضرات الاسماء.

وليعلم أن تقويم الانسان في أعلى علّيّين هو الجمع الاسمائي، فلهذه الجهة رد الى أسفل سافلين. ويشرع صراطه من أسفل سافلين ويختم بأعلى عليين. وهذا صراط الذين أنعم الله عليهم بالنعمة المطلقة وهي نعمة كمال الجمع الاسمائي التي هي أعلى النعم الالهية، والصرط الأخر سواء أكانت صراط السعداء والمنعم عليهم أو صراط الأشقياء، فبمقدار نقصانها من فيض النعمة المطلقة تدخل في أحد طرفي الافراط والتفريط. فصراط الانسان الكامل فقط صراط المنعم عليهم بقول مطلق، وهذا الصراط بالأصالة مختص بالذات المقدسة للنبي الخاتم وثابت لسائر الأولياء والأنبياء بالتبعية، وفهم هذا الكلام مع أن النبي الأكرم هو الخاتم للنبيين، يحتاج الى فهم حضرات الاسماء والاعيان وتتكفل به رسالة مصباح الهداية، والله الهادي الى سبيل الرشاد.

نقل كلام زيادة في الأفهام:

قال الشيخ الجليل البهائي قدس سره في رسالة العروة الوثقى ان نعم الله سبحانه وان كانت أجلّ من أن تحصى كما قال الحق تعالى: **﴿وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾**، لكنها جنسان: النعم الدنيوية والاخروية. وكل منهما اما وهبي او كسبي، وكل منهما اما روحاني او جسماني فالمجموع ثمانية أقسام:

الأول: الدنيوي الوهبي الروحاني كنفخ الروح وإفاضة العقل والفهم.

الثاني: الدنيوي الوهبي الجسماني مثل خلق الأعضاء وقواها.

الثالث: الدنيوي الكسبي الروحاني كتخلية النفس من الأمور الدنية وتحليتها بالخلق الذكية والملكات العالية.

الرابع: الدنيوي الكسبي الجسماني كالتزيّن بالهيئات الحميدة



والحليّ الحسنة.

الخامس: الأخروي الوهبي الروحاني كأن يغفر الله ذنوبنا ويرضى عنّا من تاب سابقا (عبارة الشيخ في هذا المثال ما ذكر والظاهر أنه وقع سهو من الناسخ ولعل الصحيح ان الله يغفر لنا من دون سبق التوبة. فراجع...).

السادس: الأخروي الوهبي الجسماني كأنهار من لبن وعسل.

السابع: الأخروي الكسبي الروحاني كالمغفرة والرضوان مع سبق التوبة وكاللذات الروحانية التي استجلبت بفعل الطاعات.

الثامن: الأخروي الكسبي الجسماني، كاللذات الجسمانية التي استجلبت بفعل الطاعات

والمراد من النعمة هنا الأقسام الأربعة الأخيرة وما يكون وسيلة لبلوغ هذه الأقسام الأربعة من الأقسام الأربعة الأول.. انتهت ترجمة الشيخ قدس سره.

وهذه التقسيمات للشيخ وان كانت لطيفة ولكن أهم النعم الالهية وأعظم مقصد للكتاب الالهي الشريف قد سقط من قلم الشيخ الجليل واكتفى فقط بنعم الناقصين أو المتوسطين، وفي كلامه قدس سره، وان جرى ذكر من اللذة الروحانية ولكن اللذة الروحانية الأخروية التي استجلبت بفعل الطاعات حظ المتوسطين ان لم نقل بأنها حظ الناقصين. وبالجملة، غير ما ذكره الشيخ الجليل الراجع الى اللذات الحيوانية والحظوظ النفسانية نعم أخرى وعمدتها ثلاث:

الأولى: نعمة معرفة الذات والتوحيد الذاتي التي أصلها السلوك الى الله ونتيجتها جنة اللقاء، واذا كان السالك ناظرا الى النتيجة ففي السلوك نقصان، لأن هذا المقام مقام ترك النفس ولذاتها. والتوجه الى حصول النتيجة توجه الى النفس وهذا عبادة للنفس لا لله، وتكثير لا توحيد، وتلبيس لا تجريد.



الثانية: نعمة معرفة الاسماء. وهذه النعمة تتشعب بحسب الكثرة الاسمائية، فإن حسبت مفرداتها فألف. وان حسبت بالتركيب من الاسمين أو الاسماء فخارجة عن حد الاحصاء ﴿وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ والتوحيد الاسمائي في هذا المقام نعمة معرفة الاسم الاعظم الذي هو مقام أحدية جمع الاسماء، ونتيجة معرفة الاسماء جنة الاسماء لكل على مقدار معرفة اسم واحد أو عدة اسماء فردا أو جمعا.

الثالثة: نعمة معرفة الافعال، ولهذه ايضا شعب كثيرة غير متناهيةً ومقام التوحيد في هذه المرتبة هو أحدية جمع التجليات الفعلية التي هي مقام الفيض المقدس ومقام الولاية المطلقة ونتيجتها جنة الافعال التي هي تجليات أفعالية للحق تعالى في قلب السالك، ولعل التجلي لموسى بن عمران في بدء الأمر اذ قال: ﴿آنست نارا﴾ كان بالتجلي الافعالي والتجلي الذي اليه الاشارة في قوله تعالى: ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكّا وخرّ موسى صعقا﴾ كان تجليا اسمائيا أو ذاتيا. فصراط المنعم عليهم في المقام الاول صراط السلوك الى ذات الله والنعمة في ذلك المقام هي التجلي الذاتي. وفي المقام الثاني صراط السلوك الى اسماء الله، والنعمة في ذلك المقام هي التجليات الاسمائية. وفي المقام الثالث السلوك الى فعل الله و نعمته التجلي الافعالي، وأصحاب هذه المقامات ليس لهم نظر إلى الجنات واللذات العامة سواء أكانت روحانية أو جسمانية كما أثبت هذا المقام في الروايات لبعض المؤمنين أيضا.

خاتمة:

اعلم ان سورة الحمد المباركة كما أنها مشتملة على جميع مراتب الوجود، كذلك هي مشتملة على جميع مراتب السلوك، ومشتملة بطريق الاشارة على جميع مقاصد القرآن. والغور في هذه المطالب وان كان يحتاج الى بسط تام ومنطق غير هذا المنطق، ولكن الاشارة الى كل واحد منها لا



تخلو من فائدة بل فوائد لأصحاب المعرفة واليقين.

فنقول في المقام الاول: أنه يمكن ان يكون بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى دائرة الوجود بتمامها وقوسي النزول والصعود، فاسم الله مقام أحدية القبض والبسط والرحمن مقام البسط والظهور وهو قوس النزول. والرحيم مقام القبض والبطون وهو قوس الصعود.

والحمد لله يمكن ان يكون اشارة الى عالم الجبروت والملكوت الأعلى التي حقائقها المحامد المطلقة.

ورب العالمين بمناسبة التربية وبمناسبة العالمين التي هي مقام السوائية والغيرية يمكن أن يكون اشارة الى عوالم الطبيعة التي تكون بجوهر ذاتها متحركة ومتصرمة وتحت التربية. ومالك يوم الدين اشارة الى مقام الوحدة والقهارية ورجوع دائرة الوجود.

والى هنا يختتم دائرة الوجود بتمامها نزولا وصعودا.

ونقول في المقام الثاني: أن الاستعاذة وهي مستحبة لعلها اشارة الى ترك غير الحق والفرار من السلطنة الشيطانية. وحيث أن هذه مقدمة المقامات وليست جزء منها، لأن التخلية مقدمة للتحلية وليست بالذات من المقامات الكمالية، ولهذا، الاستعاذة ليست جزءا من السورة بل مقدمة للدخول فيها.

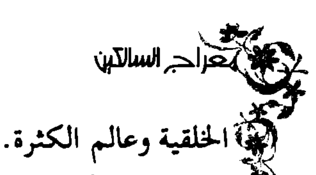
والتسمية لعلها اشارة الى مقام التوحيد الفعلي والذاتي والجمع بينهما.

والحمد لله إلى رب العالمين لعلّها اشارة الى التوحيد الفعلي.

ومالك يوم الدين اشارة الى الفناء التام والتوحيد الذاتي، ومن اياك نعبد تشرع حالة الصحو والرجوع.

وبعبارة أخرى الاستعاذة هي السفر من الخلق الى الحق والخروج من بيت النفس، والتسمية اشارة الى التحقق بالحقانية بعد الانخلاع عن





الخلقية وعالم الكثرة.

والحمد الى رب العالمين اشارة الى السفر من الحق بالحق في الحق.

وفي مالك يوم الدين يتم هذا السفر.

وفي إياك نعبد إلى السفر من الحق بالخلق بحصول الصحو وبدء الرجوع.

وفي إهدنا الصراط المستقيم يتم هذا السفر.

ونقول في المقام الثالث: ان هذه السورة الشريفة مشتملة على عمدة المقاصد الالهية في القرآن الشريف لأن أصل مقاصد القرآن هو تكميل معرفة الله وتحصيل التوحيدات الثلاثة والرابطة فيما بين الحق والخلق، وكيفية السلوك الى الله، وكيفية رجوع الرقائق الى حقيقة الحقائق، وتعريف التجليات الالهية جمعا وتفصيلا وفردا وتركيبا، وإرشاد الخلق سلوكا وتحققا، وتعليم العباد علما وعملا وعرفانا وشهودا. وجميع هذه الحقائق موجودة في هذه السورة الشريفة بكمال الاختصار والإيجاز.

فهذه السورة الشريفة التي هي فاتحة الكتاب وام الكتاب والصورة الاجمالية لمقاصد القرآن الكريم وحيث ان جميع مقاصد الكتاب الالهي ترجع الى مقصد واحد وهو حقيقة التوحيد التى هي غاية النبوات ونهاية مقاصد الانبياء العظام عليهم السلام.

فحقائق التوحيد وسرائره منطوية في الآية المباركة بسم الله الرحمن الرحيم، فهذه الآية الشريفة أعظم الآيات الالهية ومشتملة على جميع مقاصد الكتاب الالهي كما ورد فى الحديث الشريف. وحيث ان الباء ظهور التوحيد ونقطة تحت الباء سرّه، فجميع الكتاب ظهورا وسرا موجود فيها. والانسان الكامل يعني الوجود العلوي المبارك عليه الصلاة والسلام هو نقطة سرالتوحيد. وليس في العالم آية أكبر من ذلك الوجود المبارك بعد الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله كما ورد في الحديث الشريف.



تتمة:

في ذكربعض الروايات الشريفة التي وردت في فضل هذه السورة المباركة:

منها ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لجابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه" يا جابر، ألا أعلّمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علّمنيها. قال: فعلّمه الحمد أم الكتاب ثم قال: **يا جابر، ألا أخبرك عنها؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي يارسول الله أخبرني. قال: هي شفاء من كـل داء الا السأم**".

وعن أبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه: "**لكل شيء أساس وأساس القرآن الفاتحة وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم**".

وعنه صلى الله عليه وآله "**فاتحة الكتاب شفاء من كل داء**".

وعن الصادق عليه السلام: "**من لم تبرئه الحمد لم يبرئه شيء**".

وعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "**ان الله تعالى قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم، فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن. وان فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش وان الله خصّ محمدا وشرّفه بها ولم يشرك فيها احدا من انبيائه ما خلا سليمان فإنه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت إنّي ألقيَ إليّ كتاب كريم إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا فمن قرأها معتقدا لموالاة محمد وآله منقادا لأمرها مؤمنا بظاهرها وباطنها اعطاه الله بكل حرف منها حسنة، كل واحدة منها افضل له من الدنيا بما فيها من اصناف أموالها وخيراتها ومن استمع الى قارىء يقرؤها كان له قدر ثلث ما للقارىء فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض له فإنه**



غنيمة لا يذهبنّ أوانه فتبقى في قلوبكم حسرة".

وعن الصادق عليه السلام: "لو قرأت الحمد على ميّت سبعين مرة ثم ردّت فيه الروح ما كان عجيبا" وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الاجر كأنّما قرأ ثلثي القرآن وأعطي من الاجر كأنما تصدّق على كل مؤمن ومؤمنة". وروى هذا الخبر بعينه من طريق آخر الا أنه قال "كأنما قرأ القرآن".

وروي عن أبيّ ابن كعب قال: "قرأت على رسول الله فاتحة الكتاب فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي أمّ الكتاب وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وعبده ولعبده ما سأل".

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "ان الله تعالى يرسل العذاب الحتم المقضي الى قوم فيقرأ صبّي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فلما سمع الله يرفع العذاب عنهم أربعين سنة".

وعن ابن عباس قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس وعنده جبرائيل اذ سمع نقيضا ـ يعني صوتا ـ فرفع رأسه فاذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك وقال: ان الله يبشّرك بنورين لم يعطهما نبيّا قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأهما أحد الا أعطيته حاجته".





الفصل السادس

في نبذة من تفسير سورة التوحيد المباركة :

اعلم أن هذه السورة الشريفة حيث أنها نسب الحق تعالى كما في الأحاديث الشريفة، منها ما في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام): أن اليهود سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا: **"أنسب لنا ربّك فلبث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت: قل هو الله أحد إلى آخرها"** فلهذا تعجز عقول البشر عن فهم حقائقها ودقائقها وأسرارها. ولكن مع هذا، فما هو نصيب أهل المعرفة منها وما هو حظ قلوب أهل الله لا يسع في ميزان العقل المجرّد.

ولعمر الحبيب إن هذه السورة الشريفة من الأمانات التي عجزت عن حملها سماوات الأرواح وأراضي الأشباح وجبال الإنّيّات وأشفقن منها ولا يليق بحملها إلا الإنسان الكامل الذي تجاوز حدود الإمكانية وخرج من إنيته. ولكن مع ذلك هنا بشارة تقرّ بها عيون أهل آخر الزمان وتعطي الاطمئنان لقلوب أهل المعرفة وهي الحديث الذي في الكافي الشريف قال: **"سئل علي بن الحسين (عليه السلام) عن التوحيد فقال: إن الله عزّ وجلّ علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد والآيات من سورة الحديد إلى قوله وهو عليم بذات الصدور فمن رام وراء ذلك فقد هلك"**.

ويعلم من هذا الحديث الشريف أن فهم هذه الآيات وهذه السورة المباركة حق للمتعمقين وأصحاب الأنظار الدقيقة. وأن دقائق التوحيد



والمعرفة وسرائرها منطوية فيها، وأن الحق تعالى أنزل لطائف العلوم الإلهية لأهلها، والذين ليس لهم حظ من سرائر التوحيد والمعارف الإلهية فليس لهم حق النظر في هذه الآيات، وليس لهم حق أن يحملوا ويقصروا هذه الآيات على ما يفهمونه من المعاني العامية السوقية..

وفي الآيات الأول من سورة الحديد المباركة دقائق من التوحيد ومعارف جليلة من الأسرار الإلهية والتجريد ما لا نظير له في شيء من المسفورات الإلهية وصحف أهل المعرفة وأرباب القلوب. ولو لم تكن لصدق النبوّة وكمال شريعة النبي الخاتم سوى هذه الآيات لكفت أهل النظر والمعرفة. وإن أعظم شاهد على أن هذه المعارف خارجة عن تحمل البشر، وفوق إحاطة الفكر الإنساني، أنه من قبل أن تنزل هذه الآيات الشريفة وأمثالها من المعارف المشتمل عليها القرآن لم يكن عند البشر سابقة من هذا القسم من المعارف ولم يكن لهم طريق إلى هذه السرائر، وأن كتب وصحف أعاظم فلاسفة العالم موجودة الآن، مع أن علومهم أيضا من منبع الوحي الإلهي ولعل أعلاها وألطفها الكتاب الشريف "أثولوجيا". هذا التصنيف القيّم للفيلسوف العظيم الشأن والحكيم الجليل أرسطاطاليس الذي طأطأ في جنابـه أعجوبة الدهر ونادرة الزمان الشيخ الرئيس خضوعا له وتحقيرا لنفسه، ومن رشحات فكره المنطق وتنظيم قواعده ولهذه الجهة سمّي المعلّم الأول. وقال الشيخ الرئيس: أنه منذ نظم ذاك العظيم قواعد المنطق لم يستطع أحد أن يخدش في إحدى قواعده أو يؤسس قاعدة زائدة، ومع كل هذه العظمة، ومع أنه أسّس وقنّن ذلك الكتاب الشريف لمعرفة الربوبية، فلاحظوا هل تجدون من أول ذلك الكتاب الشريف إلى آخره في تعريف مقام الربوبية مثل هذه الكريمة الشريفة في أول سورة الحديد أو ما يقرب من مفادها أو ما يكون فيه رائحة من هذا السر العظيم للتوحيد وهي قوله تعالى: ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ أو هل أن في جميع أقوال



الفلاسفة مثل "وهو معكم أينما كنتم". والأقوام المتعمقون وأصحاب النظر والمعرفة يعلمون اليوم ما في هذه الآيات من أسرار وأن الله تعالى كيف شرّف أقواما في آخر الزمان ومنّ عليهم بهذا الكلام الشريف والسرّ العظيم. ومن راجع المعارف الرائجة في أديان العالم وعند الفلاسفة الكبار للأديان وقاس المعارف في المبدأ والمعاد بمعارف دين الإسلام الحنيف وبما عند الحكماء العظام الإسلاميين و العرفاء الشامخين لهذه الملّة ليصدّق كاملا أن هذه المعارف من نور معارف القرآن الشريف وأحاديث النبي الخاتم وأهل بيته عليهم السلام المستفادة والمصطلاة من منبع نور القرآن، فيفهم حينئذ أن الحكمة الإسلامية والعرفان الإسلامي ليسا من اليونان واليونانيين بل لا تشبه حكمتهم أصلا.

نعم قد مشى بعض حكماء الإسلام على منوال الحكمة اليونانية كالشيخ الرئيس ولكن حكمة الشيخ في سوق أهل المعرفة في باب معرفة الربوبية والمبدأ والمعاد لا رونق لها، وفي جناب أهل المعرفة لا قيمة لها.

وبالجملة، أن نسبة فلسفة حكماء الإسلام اليوم والمعارف الجليلة لأهل المعرفة إلى حكمة اليونان ناشئة من عدم الإطلاع على كتب القوم مثل الفيلسوف العظيم الشأن الإسلامي صدر المتألّهين (قدّس سره) واستاذه المعظم المحقق الداماد قدس سره وتلميذه الجليل الفيض الكاشاني (قدس سره) والتلميذ العظيم الشأن للفيض والعارف الجليل الايماني القاضي سعيد القمي (قدس سره)، وأيضا من عدم الإطلاع على معارف الصحيفة الإلهية وأحاديث المعصومين (عليهم السلام). فنسبوا كل حكمة إلى اليونان وظنّوا حكماء الإسلام تابعين لحكمة اليونان، ونحن قد بيّنا نبذة من لطائف سورة التوحيد الكريمة وبعض إشارات الآيات الشريفة في كتاب شرح الأربعين وأيضا فسّرنا هذه السورة تفسيرا مختصرا في سرّ الصلاة، وهنا نكتب مختصرا منه وعلى الله التكلان، فنقول:



إن بسم الله هذه السورة إن كان متعلقا بنفس هذه السورة كما احتملنا ذلك في سورة الحمد المباركة فلعلّه يكون إشارة إلى أن شرح نسب الحق تعالى وبيان أسرار التوحيد لا يمكن بأنانية النفس واللسان المنسوب إلى النفس بل السالك ما لم يخرج من حجاب النفس ولم يتحقق بمقام المشيئة المطلقة وحضرة الفيض المقدّس ويفنى في الهوية المطلقة لن يدرك سرائر التوحيد.

و "قل" أمر من الحضرة الأحدية الجمعية لمقام البرزخية الكبرى ومرآة الجمع والتفصيل؛ يعني: قل يا محمد يا مرآة ظهور أحدية الجمع في مقام التدلي الذاتي أو المقام المقدس أو أدنى، الذي يمكن أن يكون إشارة إلى مقام الفيض الأقدس، باللسان الفاني من نفسك الباقي ببقاء الله هو الله أحد.

اعلم أيها السالك سبيل المعرفة والتوحيد و العارج معارج التنزيه والتجريد أن الذات المقدسة للحق تعالى من حيث هي منزّهة عن التجليات الظاهرة والباطنة ومبرّأة عن الإشارة والرسم والاسم والصفة فأيدي آمال أهل المعرفة قاصرة عن ذيل كبريائه، وأرجل أصحاب القلوب في السلوك عاجزة عن الوصول إلى محفل قدسه، إن غاية معرفة الأولياء الكمل: "ما عرفناك" ونهاية سير أصحاب الأسرار: "ما عبدناك" ورئيس سلسلة أهل المعرفة وأمير أصحاب التوحيد يقول في هذا المقام الرفيع: "كمال الإخلاص نفي الصفات عنه" وأمام أهل السلوك وسيد الساجدين والعارفين يترنم في هذا الجناب المنيع: "ضلّت فيك الصفات وتفسّخت دونك النعوت" وأصحاب السلوك العلمي والاصطلاحات يسمون الذات المقدسة الغيب المصون و السر المكنون والعنقاء المُغرب والمجهول المطلق، ويقولون:

إن الذات بلا حجاب الأسماء والصفات لن تتجلى في مرآة من المرائي



ولن تظهر في نشأة من نشآت الوجود أو في عالم من عوالم الغيب والشهود؛ ولكن بحسب كل يوم هو في شأن.. أن للذات المقدسة أسماء وصفات وشؤون جمالية وجلالية ولها أسماء ذاتية في مقام الأحدية الذي هو مقام الغيب، ولابدّ أن يقال لتلك الأسماء الأسماء الذاتية، وبتعيّن الأسماء الذاتية تتجلى بالفيض الأقدس، وبهذا التجلي في كسوة الأسماء الذاتية يتعيّن ويظهر مقام الواحدية وحضرة الأسماء والصفات ومقام الألوهية، فعلم أنه بعد الذات المقدسة من حيث هي، ثلاث مقامات ومشاهد أخر:

مقام الغيب الأحدي ومقام التجلي بالفيض الأقدس، ولعل العماء الواردة في الحديث النبوي تكون إشارة إليه

ومقام الواحدية الذي هو الاسم الأعظم بأحدية الجمع

ومقام الأسماء والصفات بالكثرة التفصيلية.

وتفصيل هذه المقامات يحتاج إلى بسط خارج عن نطاق هذه الأوراق.

فبعدما علمت هذه المقدمة نقول:

يمكن أن يكون (هو) إشارة إلى مقام الفيض الأقدس وهو تجلي الذات بتعيّن الأسماء الذاتية. و(الله) إشارة إلى مقام أحدية الجمع الأسمائية

وهو حضرة الاسم الأعظم و (أحد) إشارة إلى مقام الأحدية. وبناء على هذا فالآية الشريفة في صدد إثبات أن هذه المقامات الثلاثة مع أنها في مقام التكثير الاسمائي متكثرة، لكنها في نفس الحال لفي غاية الوحدة على حسب الحقيقة، وأن التجلي بالفيض الأقدس بحسب مقام الظهور هو الله وبحسب مقام البطون أحد.

ولعل (هو) يكون إشارة إلى مقام الذات، وحيث أن (هو) إشارة غيبية، فهو في الحقيقة إشارة إلى المجهول والله واحد إشارة إلى مقام الواحدية والأحدية فيعرّف الذات التي هي المجهول المطلق بالأسماء الذاتية والأسماء الواحدية والصفاتية، فهو في الحقيقة إشارة إلى أن الذات هي الغيب وأيدي الآمال



عنها قاصرة وصرف العمر في التفكر في الذات موجب للظلالة، وما هو مورد لمعرفة أهل الله وعلم العالمين بالله هو مقام الواحدية والأحدية، فالواحدية لعامة أهل الله والأحدية للخلّص من أهل الله.

تنبيه حكمي:

اعلم أن للحق تعالى صفات ثبوتية وصفات سلبية في نظر الحكماء. وقالوا أن الصفات السلبية ترجع إلى سلب السلب أي سلب النقص، وقال بعض: أن الصفات الثبوتية هي صفات الجمال والصفات السلبية هي صفات الجلال. وذو الجلال والإكرام جامع جميع الصفات السلبية والثبوتية، وهذا الكلام في كلتا المرحلتين خلاف التحقيق. أما المرحلة الأولى فالصفات السلبية ليست بصفات على التحقيق بل لا سبيل إلى ذات الحق تعالى لا للسلب ولا لسلب السلب والحق تعالى ليس متصفا بالأوصاف السلبية لأن الأتصاف بالسلب في القضايا المعدولة وعقد القضية المعدولة للحق تعالى غير جائز. لأنه مصحح للجهات الإمكانية ومستلزم للتركيب في الذات المقدسة. بل الأوصاف السلبية بطريق السلب المطلق البسيط وهو سلب الصفة لا إثبات صفة سلب السلب. وبعبارة أخرى النقائص مسلوبة عن الحق تعالى بالسلب البسيط لا أن سلب النقائص ثابت له بطريق الإيجاب العدولي. فالصفات التنزيهية ليست بصفات على الحقيقة وإنما الحق تعالى متصف بالصفات الثبوتية فقط.

وأما المرحلة الثانية: فإن صفات الجمال عند أهل المعرفة صفات يحصل منها الأنس والتعلّق، وصفات الجلال صفات يحصل منها الوحشة والحيرة والهيمان، فما كان متعلقا باللطف والرحمة فهو من صفات الجمال كالرحمن والرحيم واللطيف والعطوف والرب وأمثالها، وما كان متعلقا بالقهر والكبرياء فهو من صفات الجلال كالمالك والملك والقهّار والمنتقم وأمثالها، وإن كان في سر كل جمال جلال، لأن كل جمال يبطن حيرة



وهيمانا ويظهر للقلب بسّر العظمة والقدرة، وكل جلال في باطنه الرحمة. والقلب يأنس به باطنا، ولهذا كما أن القلب بفطرته مجذوب للجمال والجميل، فهو كذلك مجذوب للقدرة والعظمة والقادر والعظيم، فهذان النوعان من الصفات صفات ثبوتية لا سلبية.

فإذا علم هذا المطلب فأعلم أن (الله) وإن كان هو الاسم الأعظم وأن صفات الجمال والجلال من تجلياته وتحت حيطته، لكن ربما يطلق على صفات الجمال مقابل صفات الجلال، مثلما أن الإلهية والألوهية راجعتان إلى صفات الجمال نوعا وخصوصا إذا وقعتا في مقابل صفة الجلال.

وفي الآية الشريفة (قل هو الله أحد) يمكن أن يكون (أحد) إشارة لإحدى أمّهات صفات الجلال وهي مقام كمال بساطة الذات المقدسة والله إشارة إلى اسم الجمال، ففي الآية الشريفة قد عرّفت نسبة الحق تعالى بحسب مقام الأحدية والواحدية والتجلي بالفيض الأقدس ـ وهذه الثلاثة جميع الشؤون الإلهية ـ بناء على الاحتمال الأول الذي ذكر قبل هذا التنبيه. وبناء على الاحتمال المذكور في هذا التنبيه عرّفت نسبة الحق تعالى بحسب مقام الأسماء الجمالية والجلالية المحيطة بجميع الأسماء. والله العالم.

تنبيه عرفاني:

اعلم أن كلام كل متكلم جلوة ذاته بحسب مقام الظهور وبروز ملكاته الباطنية في مرآة الألفاظ بمقدار استعداد النسج اللفظي، كما أنه إذا وجد قلبٌ نوراني وصاف من ألواث عالم الطبيعة وكدوراته يكون كلامه أيضا نورانيا بل نورا وتتجلى نورانية القلب تلك في كسوة الألفاظ، وقد ورد في شأن أئمة الهدى "كلامكم نور" وورد "لقد تجلى في كلامه لعباده". وفي نهج البلاغة "إنما كلامه فعله". والفعل جلوة ذات الفاعل بلا كلام منه، وإذا كان قلبا ظلمانيا ومكدرا يكون فعله وقواه أيضا ظلمانية ومكدرة:



مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة.. وحيث أن الذات المقدسة للحق جل وعلا على حسب كل يوم هو في شأن.. فيتجلى لقلوب الأنبياء والأولياء في كسوة الأسماء والصفات، وتختلف التجليات بحسب اختلاف قلوبهم، والكتب السماوية التي نزلت على قلوبهم بنعت الإيحاء بتوسط ملك الوحي جبرائيل تختلف بحسب اختلاف هذه التجليات وبحسب اختلاف الأسماء التي لها المبدئية للتجليات، كما أن اختلاف الأنبياء وشرائعهم أيضا باختلاف الدول الأسمائية؛ فكل اسم تكون إحاطته أكثر وأجمع، تكون دولته ونبوته والكتاب المنزل عليه أكثر إحاطة وكذلك الشريعة التابعة له وهي أدوم. وحيث أن النبّوة الختمية والقرآن الشريف وشريعة سيد البشر من مظاهر المقام الجامع الأحدي وحضرة الاسم الله الأعظم ومجاليه أو من تجلياته وظهوراته، فلهذا صارت أكثر النبوات والكتب والشرائع إحاطة وأجمعها، ولا يتصور أكمل وأشرف من نبوّته وكتابه وشريعته ولا يتنزل من عالم الغيب على بسيط الطبيعة علم أعلى منه أو شبيه له. بمعنى أن هذا هو آخر ظهور للكمال العلمي المربوط بالشرائع وليس للأعلى منه إمكان النزول في عالم الملك، فنفس الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) أشرف الموجودات ومظهر تام للاسم الأعظم، ونبوته أيضا أتمّ النبوّات الممكنة وهي صورة لدولة الاسم الأعظم الأزلية الأبدية؛ والكتاب النازل إليه أيضا نزل على مرتبة الغيب بتجلي الاسم الأعظم. ولهذه الجهة لهذا الكتاب أحدية الجمع والتفصيل وهو من جوامع الكلم، كما أن كلامه (صلى الله عليه وآله) أيضا من جوامع الكلم، والمراد من كون القرآن أو كلامه (صلى الله عليه وآله) من جوامع الكلم ليس أنه (صلى الله عليه وآله) بينّ الكليات وضوابط المجتمع، وإن كانت أحاديثه (صلى الله عليه وآله) أيضا من الجوامع والضوابط، كما هو معلوم في علم الفقه. بل جامعيته عبارة عن أن القرآن نزل لجميع طبقات



الإنسان في جميع مراحل البشرية وعصورها وهو رافع لجميع حوائج هذا النوع. وحقيقة هذا النوع حيث إنها حقيقة جامعة وواجدة لتمام المنازل من المنزل الأسفل الملكي إلى أعلى مراتب الروحانية والملكوت والجبروت، ولهذه الجهة تختلف أفراد هذا النوع في هذا العالم الأسفل الملكي اختلافا تاما، وهذا القدر من الاختلاف والتفاوت الموجودان في أفراد هذا النوع لا يوجدان في أفراد سائر الموجودات. ففي هذا النوع الشقّي في كمال الشقاوة موجود، والسعيد في كمال السعادة. وفي هذا النوع بعض أفراده أسفل من جميع الحيوانات وبعض أفراده أشرف من جميع الملائكة المقربين.

وبالجملة، حيث إن أفراد هذا النوع مختلفة ومتفاوتة في المدارك والمعارف، فالقرآن نزل على نحو يستفيد الكل منه بحسب كمال إدراكه ومعارفه وضعفها، وبحسب ما له من درجة العلم.

فمثلا الآية الشريفة ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ فأهل المعرفة وأهل الأدب واللغة يفهمون منها شيئا، وفي نفس الحال يستفيد منها علماء الكلام طوراً آخر والفلاسفة والحكماء معنى آخر و العرفاء والأولياء يستفيدون منها بشكل آخر. فأهل العرف يفهمون منها بيانا خطابيا على حسب ذوقهم. يقولون مثلا: مملكة واحدة لا تسع لسلطانين، وإذا كان رئيسان في طائفة واحدة فذلك يوجب الفساد، ومختاران في قرية فهذا يؤدي إلى الاختلاف والتخاصم والتنازع؛ وهكذا إذا كان في العالم أيضا إلهان لكان فيه الفساد والتنازع والاختلاف والتشاجر، وحيث إن هذا الاختلاف غير موجود ونظام السموات والأرض محفوظ، فهذا دليل على أن مدبر العالم واحد.

والمتكلمون يستفيدون منها برهان التمانع والفلاسفة والحكماء يقيمون منها البرهان المتين الحكمي من طريق (الواحد لا يصدر منه إلا الواحد والواحد لا يصدر إلا من الواحد). وأهل المعرفة أيضا من خلال أن العالم



مرآة الظهور ومجلى لتجليات الحق يستنبطون الوحدانية منها بطور آخر.. إلى غير ذلك من المعاني التي يطول ذكر كل واحد منها.

فإذا علمت هذا المقدمة فأعلم أن السورة الشريفة ﴿قل هو الله أحد﴾ من جوامع الكلم كسائر القرآن يستفيد كل واحد منه على طور، كما أن علماء الأدب والظاهر يرون أن هو ضمير الشأن والله عَلَم الذات، وأحد بمعنى الواحد أو مبالغة في الوحدة أي أن الله واحد أو أنه لا شريك له في الإلهية أو ليس كمثله شيء أو أنه لا شريك له في الإلهية والقدم الذاتي، أو أن أفعاله واحدة بمعنى أن جميع أفعاله طبق الصلاح والإحسان ولا يجلب نفعا لنفسه، والله الصمد يعني أنه سيد كريم إليه مرجع الناس في الحوائج، أو أنه صمد بمعنى أنه لا جوف له فلا يتولد منه شيء ولا يتولد هو من شيء وليس له شبيه ونظير. وهذا بيان عرفي عامّي مقابل الكفار الذين كانت لهم آلهة متصفة بالصفات الإمكانية فأمر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن يقول لهم ليس إلهنا كإلهكم بل أوصافه هذه الأوصاف المذكورة. هذا تفسير هذه السورة بطريق العرف والعادة وهذا التفسير يختص بطائفة ولا ينافي أن يكون لها معنى أو معان أدقّ كما ذكرنا بعضها.

تفسير حكمي:

يمكن أن يكون لسورة التوحيد المباركة التي نزلت للمتعمقين في آخر الزمان تفسير حكمي موافق للموازين الحكمية والبراهين الفلسفية وهذا ما استفدته من الشيخ الجليل العارف الشاه آبادي (مدّ ظلّه) فـ (هو) إشارة إلى صرف الوجود والهوية المطلقة. وهو برهان على ستة مطالب حكمية شامخة أثبتت في السورة المباركة للحق تعالى.

الأول: مقام الألوهية وهو مقام استجماع جميع الكمالات وأحدية جمع الجمال والجلال، فإنه قد ثبت في محله من المسفورات الحكمية أن صرف الوجود والهوية المطلقة هو صرف الكمال وإلا لزم ألا يكون صرف





الوجود أيضا، وحيث إن بيان هذا المطلب يطول ويحتاج إلى مقدمات فأكتفي منه بالإشارة.

الثاني: مقام الأحدية وهو إشارة إلى البساطة التامة العقلية والخارجية والماهوية الوجودية، والتنزّه عن مطلق التركيبات العقلية سواء أكانت جنسا وفصلا أو مادة وصورة عقلية أو خارجية، أو مادة وصورة خارجية أو أجزاء مقدارية. و البرهان على هذا المطلب أيضا هو برهان صرف الوجود والهوية المطلقة لأن الصرف إذا لم يكن أحديّ الذات يلزم أن يخرج عن الصرفية وينسلخ عن ذاتيته.

الثالث: مقام الصمدية: وهو الإشارة إلى نفي الماهية وعدم الجوف له وكونه غير مجوف أيضا إشارة إلى أنه ليس له ماهية ولا نقص إمكاني. لأن جميع الممكنات في مرتبة ذاتها التي هي بمنزلة باطنها وجوفها مجوفة وخالية، وحيث أن الذات المقدسة صرف الوجود وهوية مطلقة ليس له نقص إمكاني الذي أصله الماهية، لأن الماهية منتزعة من حد الوجود واعتبارها من تعيّن الوجود. وصرف الوجود منزه ومبرّأ عن الحد والتعيّن لأن كل محدود هوية مقيدة ووجود مخلوط لا مطلق ولا صرف.

الرابع: عدم انفصال شيء منه لأن انفصال شيء عن شيء مستلزم للهيولوية بل للأجزاء المقدارية وهو ينافي الهوية المطلقة وصرافة الوجود. ووجود المعلولات من العلة ليس بطريق الانفصال بل بطريق التجلي والظهور والتشأن والصدور وهو أنه لا ينقص من صدورها شيء من العلة ولا يضاف برجوعها شيء إليها.

الخامس: عدم انفصاله عن شيء وهذا مضافا إلى المفسدة السابقة ينافي صرافة الوجود وإطلاق الهوية من طريق آخر، لأنه يلزم أن يتقدم على صرف الوجود شيء آخر، وقد ثبت في الفلسفة العالية أن الصرف أقدم الأشياء والمتعين متأخر عن المطلق.



السادس: عدم الكفؤ والمثل ونفي المثل والشبيه وهو أيضا ثابت ببرهان "صرف الوجود لا يتكرر"، فلا تتصور هويتان مطلقتان، وليس المقيد للمطلق صنوا ونظيرا.

ولكل من هذه المطالب مقدمات وأصول تفصيلها خارج عن مجال هذا المختصر.

حكمة مشرقية:

اعلم أن هذه السورة المباركة مع كمال اختصارها مشتملة على جميع الشؤون الإلهية ومراتب التسبيح والتنزيه. وفي الحقيقة هي نسبة الحق تعالى بما يمكن أن يقع في قالب الألفاظ ونسيج العبارات كما أن هو الله أحد تمام حقائق صفات الكمال ومشتمل على جميع الصفات الثبوتية، ومن الصمد إلى أخر السورة الصفات التنزيهية وإشارة إلى سلب النقائص.

وأيضا في السورة الشريفة إثبات الخروج من الحدين؛ حد التعطيل والتشبيه اللذين هما خروج عن حد الاعتدال وحقيقة التوحيد، فالآية الشريفة الأولى إشارة إلى نفي التعطيل وتتمة السورة إشارة إلى نفي التشبيه.

وهي أيضا مشتملة على الذات من حيث هي ومقام الأحدية وهو التجلي بالأسماء الذاتية ومقام الواحدية وهو التجلي بالأسماء والصفات كما ذكر تفصيله بما يناسب.

تتميم:

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿قل هو الله أحد﴾ قال: (قل) أي أظهر ما أوحينا إليك ونبّأناك به بتأليف الحروف التي قرأنا لك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد و "هو" اسم مكنى يشار به إلى الغائب، فالهاء تنبيه لمعنى ثابت والواو إشارة إلى الغائب



عن الحواس، كما أن قولك "هذا" إشارة إلى الشاهد عند الحواس، وهذه الإشارة إلى الغائب لأن الكفار نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار، فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ولا نتألّه فيه، فأنزل الله سبحانه وتعالى قل هو الله أحد فالهاء تثبيت الثابت والواو تشير إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس والله تعالى عن ذلك، بل هو مدرِك الأبصار والحواس".

وقال الباقر عليه السلام: "معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب أله الرجل إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علما، ووله إذا فزع إلى شيء مما يحذره أو يخافه، فالإله هو المستور عن حواس الخلق".

وقال الباقر عليه السلام: "الأحد الفرد المتفرد والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء، ومن ثم قالوا: إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد، لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الإثنين، فمعنى قوله الله أحد أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته، فرد بإلهيته متعال عن صفة خلقه".

وقال الباقر عليه السلام: وحدّثني أبي زين العابدين عليه السلام عن أبيه الحسين عليه السلام أنه قال: "الصمد الذي لا جوف له والصمد الذي قد انتهى سؤدده والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب والصمد الذي لا ينام والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال". قال الباقر عليه السلام "كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره". وقال غيره: "الصمد المتعالي عن الكون



والفساد والصمد الذي لا يوصف بالتغاير". قال الباقر عليه السلام "الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر وناه".

قال: وسئل علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام عن الصمد فقال: "الذي لا شريك له ولا يؤوده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء".

قال وهب بن وهب القرشي: قال زين العابدين عليّ عليه السلام "الصمد الذي إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضدادا وأشكالا وأزواجا وتفرّد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ".

وقد نقل وهب بن وهب أيضا من كلام الإمام علي بن الحسين سلام الله عليهما في تفسير الصمد، ونقل أيضا كلاما في أسرار حروف الصمد عن الباقر عليه السلام ثم يقول: ثم قال عليه السلام "لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علما جمّا هاه هاه ألا لا أجد من يحمله" الحديث.

خاتمة:

ونختم هذا المقام بذكر بعض الأحاديث الشريفة في فضل هذه السورة المباركة وإن كانت الأحاديث في فضلها خارجة عن مجال هذا المختصر.

ففي الكافي الشريف بإسناده إلى باقر العلوم عليه السلام: "من قرأ قل هو الله أحد مرّة بورك عليه، ومن قرأها مرّتين بورك عليه وعلى أهله، ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى أهله وعلى جيرانه، ومن قرأها اثنتي عشرة مرة بنى الله له اثني عشر قصرا في الجنة فيقول



الحفظة اذهبوا بنا إلى قصور أخينا فلان فننظر إليها، ومن قرأها مائة مرة غفرت له ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والأموال ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد كلهم قد عقر جواده وأريق دمه، ومن قرأها ألف مرة في يوم وليلة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يرى له".

وأيضا في الكافي بإسناده إلى الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله "من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوبه خمسين سنة".

وروي عن الصادق عليه السلام قال: "كان أبي صلوات الله عليه يقول قل هو الله أحد ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون ربع القرآن".

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى على سعد بن معاذ فقال: "لقد وافى من الملائكة سبعون ألفا وفيهم جبرائيل يصلّون عليه، فقلت: يا جبرائيل لم يستحق صلواتكم عليه؟ فقال: لقراءته قل هو الله أحد قائما وقاعدا وراكبا وماشيا وذاهبا وقادما".

وروي في الوسائل عن المجالس ومعاني الأخبار عن الصادق عن آبائه (عليهم السلام) في حديث عن سلمان أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: "من قرأ قل هو الله أحد مرة فقد قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثا فقد ختم القرآن".

وفي ثواب الأعمال: "من مضت له جمعة ولم يقرأ فيها بقل هو الله أحد ثم مات، مات على دين أبي لهب".

وروي في المستدرك أحاديث طويلة وكثيرة في فضل هذه السورة الشريفة فمن أراد فليرجع إليه وإلى الوسائل والحمد لله.





الفصل السابع

في نبذة من تفسير سورة القدر المباركة

بقدر ما يناسب هذه الأوراق

قوله تعالى: **إنّا أنزلناه في ليلة القدر**: في هذه الآية الشريفة مطالب عالية لا تخلو الإشارة إلى بعضها من الفائدة:

المطلب الأول: في أن الآية الشريفة وكثيرا من الآيات الشريفة تنسب تنزيل القرآن إلى ذاته المقدسة كقوله تعالى: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾. ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون** ﴾، إلى غير ذلك من الآيات الشريفة، وفي بعضها تنسب إلى جبرائيل وهو الروح الأمين كقوله تعالى: ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾.

فعلماء الظاهر يقولون في هذه المقامات: هذا مجاز من قبيل ﴿ **يا هامان ابن لي صرحا** ﴾ فنسبه التنزيل إلى الحق تعالى مثلا من باب أن الذات المقدسة سبب للتنزيل وآمر به، أو أن التنزيل بالنسبة إلى الحق تعالى حقيقة وينسب إلى الروح الأمين مجازا لأنه واسطته، وهذا من جهة أنهم يحسبون أن نسبة فعل الحق إلى الخلق كنسبة فعل الخلق إلى الخلق فيرون مأمورية جبرائيل وعزرائيل من الحق تعالى كمأمورية هامان من فرعون والبنّائين والمعماريين من هامان، وهذا قياس باطل كثيرا ومع الفارق. وأن فهم نسبة الخلق إلى الحق وفعل الخلق والخالق من مهمات المعارف الإلهية وأمهات المسائل الفلسفية تنحل به كثير من المهمات، ومن جملتها مسألة الجبر والتفويض، ومطلبنا هذا من شعبها.

وليعلم أنه من المقرر والثابت في العلوم العالية أن جميع دار التحقق



ومراتب الوجود صورة الفيض المقدس الذي هو التجلي الاشراقي للحق تعالى، وكما أن الإضافة الإشراقية هي محض الربط وصرف الفقر كذلك تعيناتها وصورها أيضا محض الربط وليست لها من أنفسها حيثية واستقلال. وبعبارة أخرى جميع دار التحقق فانية في الحق ذاتا وصفة وفعلا؛ لأنه لو استقل موجود من الموجودات في شأن من الشؤون الذاتية سواء أكان في الهوية الوجودية أم في شؤونها لخرج عن حدود بقعة الإمكان وتبدّل إلى الوجوب الذاتي؛ وهذا واضح البطلان. فإذا رسخت هذه اللطيفة الإلهية في القلب وذاقها الفؤاد كما ينبغي فيكشف له سرّ من أسرار القدر وتنكشف له لطيفة من حقيقة الأمر بين الأمرين. فيمكن إذاً نسبة الآثار والأفعال الكمالية إلى الحق بنفس النسبة التي لها إلى الخلق من دون أن تكون مجازا في أية جهة. وهذا يتحقق في نظر الوحدة في الكثرة والجمع بين الأمرين، نعم من كان واقعا في الكثرة المحضة ومحجوبا عن الوحدة ينسب الفعل إلى الخلق ويغفل عن الحق كحالنا نحن المحجوبين. ومن تجلت في قلبه الوحدة فيحجب عن الخلق وينسب جميع الأفعال إلى الحق، والعارف المحقق يجمع بين الوحدة والكثرة وفي الوقت الذي ينسب الفعل إلى الحق من دون شائبة مجاز ينسبه إلى الخلق بلا شائبة مجاز والآية الشريفة ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ التي نفت الرمي في عين إثباته وأثبتته في عين نفيه تشير إلى هذا المشرب العرفاني الأحلى والمسلك الإيماني الدقيق، وإنما قلنا الأفعال والآثار الكمالية لنخرج النقائص لأن النقائص ترجع إلى الإعدام وهي من تعينات الوجود ولا تنسب إلى الحق إلا بالعرض. ولا يمكن شرح هذا المبحث في هذه الأوراق.

فإذا علمت هذه المقدمة تعلم نسبة التنزيل إلى الحق وجبريل، والإحياء إلى إسرافيل والحق، والإماتة إلى عزرائيل والملائكة الموكلة بالنفوس وإلى الحق، والإشارة إلى هذا المطلب في القرآن كثيرة وهذا من معارف القرآن



التي لم يكن قبل هذا الكتاب الشريف في آثار الحكماء والفلاسفة منها عين ولا أثر، والعائلة البشرية في هذه اللطيفة مرهونة لعطيّة هذه الصحيفة الإلهية كسائر المعارف الإلهية القرآنية.

المطلب الثاني: في الإشارة إلى نكتة أنه تعالى قال "إنّا "بصيغة الجمع وأنزلناه بصيغة الجمع.

اعلم أن نكتة ذلك هي تفخيم مقام الحق تعالى بمبدئيّة تنزيل هذا الكتاب الشريف، ولعل هذه الجمعية باعتبار الجمعية الأسمائية والإشارة إلى أن الحق تعالى مبدأ لهذا الكتاب الشريف. ولهذه الجهة كان هذا الكتاب الشريف صورة أحدية جمع جميع الأسماء والصفات ومعرّفا لمقام الحق المقدس بتمام الشؤون والتجليات.

وبعبارة أخرى هذه الصحيفة النورانية صورة الاسم الأعظم كما أن الإنسان الكامل أيضا صورة الاسم الأعظم بل حقيقة هذين في حضرة الغيب واحدة وهما في عالم التفرقة متفرقان بحسب الصورة، ولكن بحسب المعنى أيضا لا يفترقان. وهذا أحد معاني **"لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض"**.. وكما أن الحق تعالى خمّر طينة آدم الأول والإنسان الكامل بيدي الجلال والجمال، كذلك أنزل الكتاب الكامل والقرآن الجامع بيدي الجمال والجلال، ولعله لهذه الجهة أيضا يقال له القرآن لأن مقام الأحدية جمع الوحدة والكثرة؛ ولهذه الجهة ليس هذا الكتاب قابلا للنسخ والانقطاع، لأن الاسم الأعظم ومظاهره أزلية وأبدية، وجميع الشرائع دعوة إلى هذه الشريعة والولاية المحمدية، ولعل الذكر في الآية الشريفة **﴿إنّا عرضنا الأمانة﴾** بصيغة الجمع لما ذكرنا من النكتة في "إنّا أنزلنا "لأن الأمانة بحسب الباطن هي حقيقة الولاية وبحسب الظاهر هي الشريعة أو دين الإسلام أو القرآن أو الصلاة.

المطلب الثالث: في إجمال كيفية نزول القرآن:

وهذا من لطائف المعارف الإلهية ومن أسرار الحقائق الدينية التي قلما



يوجد من يطلّع على نبذة منها بالطريق العلمي، ولا يتيسر لأحد الإطلاع على هذه اللطيفة الإلهية بطريق الكشف والشهود إلا للكمّل من الأولياء أوّلهم نفس الرسول والخاتم وبعده سائر الأولياء وأهل المعارف وبمساعدته صلى الله عليه وآله؛ لأن مشاهدة هذه الحقيقة لا تكون إلا بالوصول إلى عالم الوحي والخروج عن حدود العوالم الإمكانية.. ونحن نبيّن هنا من هذه الحقيقة بيانا بالرمز والإشارة.

فليعلم أن القلوب التي تسير إلى الله بطريق السلوك المعنوي والسفر الباطني وتهاجر من منزل النفس المظلم وبيت الإنّيّة والأنانية طائفتان بشكل عام.

الأولى هم الذين يدركهم الموت بعد إتمام السفر إلى الله ويبقون في هذه الحال من الجذبة والفناء والموت، ويقع أجرهم على الله وهو الله.. وهؤلاء محبوبون فانون تحت قباب الله لا يعرفهم أحد ولا يرتبطون بأحد ولا يعرفون أحدا إلا الحق تعالى **"أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري"**.

الطائفة الثانية هم الذين فيهم قابلية أن يرجعوا إلى أنفسهم بعد تمامية السير إلى الله وفي الله وتحصل لهم حالة الصحو والافاقة. هؤلاء الذين قدّر استعدادهم بحسب تجلّي الفيض الأقدس، الذي هو سر القدر، وانتجبهم لتكميل العباد وتعمير البلاد. وهؤلاء بعد الاتصال بالحضرة العلمية والرجوع إلى حقائق الأعيان يحصل لهم السير في الأعيان بالكشف فيتصلون بحضرة القدس ويكون سفرهم إلى الله وإلى السعادة ويخلّعون بخلعة النبوة، وهذا الكشف وحي إلهي قبل التنزّل إلى عالم الوحي الجبرائيلي، وبعدما توجهوا من هذا العالم إلى العوالم النازلة يكتشفون ما في الأقلام العالية والألواح القدسية بقدر إحاطتهم العلمية ونشأتهم الكمالية المختصة بهم التابعة للحضرات الأسمائية. واختلاف الشرائع والنبوات بل جميع الاختلافات من هنا.



وفي هذا المقام تلك الحقيقة الغيبية والسريرة القدسية التي شوهدت في الحضرة العلمية والأقلام والألواح العالية تنزل إلى قلوبهم المباركة تارة عن طريق غيب النفس وسرّ روحهم الشريف بتوسط ملك الوحي وهو جبرائيل وأخرى يتمثل لهم جبرائيل تمثلا مثاليا في حضرة المثال وثالثة يتمثل تمثلا ملكيا، وبتوسّط تلك الحقيقة يظهر من مكمن الغيب إلى مشهد عالم الشهادة ويتنزل بتلك اللطيفة الإلهية وصاحب الوحي يدركها ويشاهدها في كل نشأة على طور، ففي الحضرة العلمية على طور وفي حضرة الأعيان على طور وفي حضرات الأقلام على طور وفي حضرات الألواح على طور وفي حضرة المثال على طور وفي الحس المشترك على طور وفي الشهادة المطلقة على طور وهذه سبع مراتب من التنّزل ولعل نزول القرآن على سبعة أحرف يكون إشارة إلى هذا المعنى وهذا لا ينافي ما قال عليه السلام القرآن واحد من عند واحد كما هو معلوم ولهذا المقام تفصيل لا يناسب ذكره.

المطلب الرابع: في سر (هاء) ضمير الغائب في أنزلناه:

كما عُلم أن للقرآن قبل التنزّل إلى هذه النشأة مقامات وكينونات. فمقامه الأول: كينونته العلمية في الحضرة الغيبية بالتكلم الذاتي والمقارعة الذاتية بطريق أحدية الجمع، ولعل ضمير الغائب يكون إشارة إلى ذاك المقام وقد ذكره الله تعالى بضمير الغيبة لإفادة هذا المعنى فكأنه يقول: هذا القرآن النازل في ليلة القدر هو ذاك القرآن العلمي في السرّ المكنون، والغيبي في النشأة العلمية قد أنزلناه على تلك المراتب وكان متحدا في مقام مع الذات وكان من التجليات الأسمائية وهذه الحقيقة الظاهرة هي ذلك السرّ الإلهي، وهذا الكتاب الذي ظهر في كسوة العبارات والألفاظ هو صورة التجليات الذاتية في مرتبة الذات وعين التجلي الفعلي في مرتبة الفعل، كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه "إنما كلامه فعله".



المطلب الخامس: في بيان ليلة القدر:

وفيه مباحث كثيرة ومعارف لا تعدّ قد بحث عنها العلماء الأعلام رضوان الله عليهم بحسب مشاربهم ومسالكهم، ونحن نبيّن في هذه الأوراق بعضا منها بطريق الإشارة ونشير إلى مطالب أخرى لم يذكروها وذلك ضمن أمور:

الأول: في وجه تسمية ليلة القدر:

إن العلماء قد اختلفوا فيه فبعضهم على أن ليلة القدر حيث أنها صاحبة شرف ومنزلة وقد نزل فيها القرآن صاحب قدر بتوسط ملك صاحب قدر على رسول ذي قدر لأمة صاحبة قدر فلهذا سميت بليلة القدر.

وقال بعض: إن تسميتها ليلة القدر لأجل تقدير الأمور والآجال وأرزاق الناس في تلك الليلة.

وقال بعض: لأن الأرض تضيق بواسطة كثرة الملائكة فسميت ليلة القدر وهذا من قبيل "ومن قدر عليه رزقه" وهذه كلمات قيلت في المقام. وفي كل تلك الوجوه تحقيقات لا تخلو الإشارة إليها إجمالا من الفائدة.

أما المطلب الأول وهو كونها بمعنى صاحبة المنزلة والقدر.

فأعلم أن في هذا المقام كلاما وهو أن مطلق الزمان والمكان الذي بعضه شريف وبعض غير شريف وبعض سعد وبعض نحس، فهل هذا من نفس ذات الزمان أو من تشخصاته الذاتية؟ وهكذا في المكان؛ أو أنه بسبب وقوع الوقائع وحصول الأمور الشريفة والخسيسة يصبح صاحب تلك المزية بالعرض، وهذا وإن لم يكن مبحثا مهما وشريفا والبحث في أطرافه ليس له كثير فائدة ولكن نأتي بذكر منه بطريق الاختصار.

إن وجه ترجيح الاحتمال الأول هو أن ظاهر الأخبار والآيات التي أثبتت للزمان والمكان شرافة أو نحوسة إنها صفة نفس الزمان والمكان لا إنها صفة للحال المتعلق وحيث أنه لا مانع عقليا فيتعيّن حملها على ظاهرها.



ووجه ترجيح الاحتمال الثاني إن حقيقة الزمان والمكان حقيقة واحدة بل شخصية كل منهما أيضا شخصية واحدة فلهذه الجهة لا يمكن أن يكون شخص واحد متجزيا ومختلفا في الحكم. فبناء على هذا فلا بد أن يحمل ما ورد في شرفهما أو نحوستهما على الوقائع والقضايا الحاصلة فيهما، وهذا الوجه ليس برهانيا لأن الزمان وإن كان شخصا واحدا ولكن حيث أنه متدرج وممتد وحقيقة مقدارية لا مانع من أن يكون بعض أجزائه مختلفا مع بعضه الأخر في الحكم والأثر ولم يقم برهان بأن الشخص كيفما كان لا يكون له حكمان وأثران بل خلافه ظاهر، فمثلا أفراد الإنسان مع أن كل واحد منهم شخص واحد فلهم مع ذلك في الصورة الجسمية اختلافات كثيرة فالبؤبؤ والدماغ والقلب أشرف وألطف من الأعضاء الأخر وكذلك القوى الباطنية والظاهرة منه بعضها أشرف من بعض وهذا لأن الإنسان لم يظهر في هذا العالم بنعت الوحدة التامة وإن كان شخصا واحدا ولكن حيث إنه ظهر بنعت الكثرة فأحكامه أيضا تختلف.

وأما وجه ترجيح الاحتمال الأول فليس أيضا وجها صحيحا مرضيا لأن مرجع هذا الوجه إلى أصالة الظهور وأصالة الحقيقة مثلا وقد علم في الأصول أن أصالة الحقيقة وأصالة الظهور هي لتعيين المراد في مورد الشك في المراد لا أنها بعد معلومية المراد لإثبات الحقيقة. فتأمل. (وجه التأمل انه يمكن تقرير هذه الدعوة بوجه آخر وهو أن الظاهر في نسبة المحمول إلى الموضوع هو أن ذلك الموضوع يأبى ذلك الحكم ويكون تمام الموضوع كما أثبت شيخنا الأستاذ في العلوم النقلية الإطلاق بهذا البيان بدون الاحتياج إلى مقدمات الإطلاق).

فبناء على هذا، كلا الوجهين محتمل، ولكن الثاني أرجح في النظر. فبناء عليه لعل ليلة القدر صارت صاحبة قدر لأنها ليلة وصال النبي الخاتم وليلة وصول العاشق الحقيقي إلى محبوبه، وقد علم في المباحث السابقة أن



تنزّل الملائكة ونزول الوحي يكون بعد حصول الفناء والقرب الحقيقي.

ويستفاد من الأخبار الكثيرة والآيات الشريفة أيضا أن شرف الأزمنة والأمكنة ونحوستها بسبب الوقائع الحاصلة فيها ويعلم هذا بمراجعتها؛ وإن كان يستفاد من بعضها الشرف الذاتي أيضا.

أما الاحتمال الأخر وهو أنها تسمى بليلة القدر لتقدير أمور أيام السنة فيها؛ فأعلم أن حقيقة القضاء والقدر وكيفيتها ومراتب ظهورها من أجلّ العلوم الإلهية وأشرفها، وقد نهي عامة الناس عن الغور في أطرافها ولأنه يوجب الحيرة والضلالة لكمال دقتها ولطافتها؛ ولهذا لا بد أن تعد هذه الحقيقة من أسرار الشريعة وودائع النبوة ويُصرف النظر عن البحث الدقيق في أطرافها. ونحن نشير إلى مبحث منها يناسب هذا المقام.

وهو أن تقدير الأمور مع أنها كانت في علم الحق تعالى في أزل الآزال وليست من الأمور التدريجية بالنسبة إلى مقام العلم الربوبي المنزه، فما معنى التقدير في كل سنة في ليلة معينة؟

اعلم أن للقضاء والقدر مراتب تتفاوت أحكامهما بحسب تلك المراتب:

المرتبة الأولى من تلك المراتب عبارة عن الحقائق التي تتقدر وتتحدد في حضرة العلم بالتجلي بالفيض الأقدس تبعا لظهور الأسماء والصفات، وبعده تقدر وتُثبت في الأقلام العالية والألواح العالية بحسب الظهور بالتجلي الفعلي ولا تقع التغيرات والتبديلات في هذه المراتب، والقضاء الحتم الذي لا يبدل هو الحقائق المجردة الواقعة في حضرات الأعيان والنشأة العلمية والنازلة في الأقلام والألواح المجردة، ثم تظهر الحقائق بالصور البرزخية والمثالية في الألواح الأخر والعالم الأنزل وهو عالم الخيال المنفصل وخيال الكل الذي يقال له عالم المثل المعلقة على طريقة حكماء الإشراق، وفي هذا العالم يمكن وقوع التغيرات والاختلافات بل هي واقعة.



ثم تكون التقديرات والتحديدات بتوسط الملائكة الموكلين بعالم الطبيعة، وفي لوح القدر هذا تغييرات دائمية وتبديلات أبدية، بل هو نفسه صورة سيالة وحقيقة متصرمة ومتدرجة والحقائق في هذا اللوح قابلة للشدة والضعف والحركات قابلة للسرعة والبطء والزيادة والنقيصة. ومع ذلك فالوجهة التي تلي اللهي والوجهة الغيبية لهذه الأشياء التي هي جهة التدلي بالحق وصورة ظهور الفيض المنبسط والظل الممدود وحقيقة العلم الفعلي للحق لا مجال فيها للتغيير والتبديل بوجه.

وبالجملة، فجميع التغيرات والتبديلات وزيادة الآجال وتقدير الأرزاق تقع عند الحكماء في لوح القدر العلمي وهو عالم المثال، وعند الكاتب تقع في لوح القدر العيني الذي هو محل نفس التقديرات على أيدي الملائكة الموكلين بها. فبناء على هذا، فلا مانع من أن تقع التغيرات والتبديلات في عالم الطبع في ليلة القدر بما أنه ليلة التوجه التام للولي الكامل وليلة ظهور سلطنته الملكوتية بتوسط النفس الشريفة للولي الكامل وأمام كل عصر وقطب كل زمان وهو اليوم حضرة بقية الله في الأرضين سيدنا ومولانا وإمامنا وهادينا الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لمقدمه الفداء) فما أراد عليه السلام من جزئيات الطبيعة يبطئ حركته، وما أراد سرعته يسرعه وما أراد من رزق يوسعه وما أراد يضيقه، وهذه الإرادة إرادة الحق وظل الإرادة الأزلية وشعاعها وتابعة للأوامر الإلهية كما أن ملائكة الله أيضا لا يتصرفون من عند أنفسهم. وتصرفاتهم جميعا بل تصرفات جميع ذرات الوجود تصرف إلهي وهي من تلك اللطيفة الغيبية الإلهية ﴿فاستقم كما أمرت﴾.

وأما ما ذكر من الاحتمال في وجه تسمية ليلة القدر من أن الأرض تضيق بواسطة الملائكة ولهذا سميت ليلة القدر، فهذا الوجه وإن كان بعيدا وإن كان القائل به أعجوبة الزمان الخليل بن أحمد رضوان الله عليه ولكن ما يمكن أن يقع موردا للبحث هو أن ملائكة الله ليست من سنخ

عالم الطبيعة والمادة فما معنى ضيق الأرض بهم؟

فاعلم أنه قد ورد نظير هذا المطلب في الروايات الشريفة مثل قضية تشييع سعد بن معاذ رضي الله عنه ومثل وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم، فهذا إما من باب تمثل الملائكة بالصور المثالية وتنزلها من عالم الغيب إلى عالم المثال وتضييق ملكوت الأرض أو من باب تمثلهم الملكي في ملك الأرض وإن كانت الأبصار الطبيعية الحيوانية لا تراها. وبالجملة التضييق باعتبار التمثلات المثالية أو الملكية.

الأمر الثاني في حقيقة ليلة القدر:

اعلم أن لكل رقيقة حقيقة ولكل صورة ملكية باطناً ملكوتياً وغيبيّاً وأهل المعرفة يقولون أن مراتب نزول حقيقة الوجود باعتبار احتجاب شمس الحقيقة في أفق تعينات الليالي ومراتب الصعود باعتبار خروج شمس الحقيقة من آفاق تعينات الأيام وإن شرافة الأيام والليالي ونحوستها تتضح بحسب هذا البيان.

وباعتبارٍ قوس النزول هو ليلة القدر المحمدية وقوس الصعود هو يوم القيامة الأحمدية لأن هذين القوسين مدّ نور الفيض المنبسط الذي هو الحقيقة المحمدية وجميع التعيّنات هي من التعين الأولي للاسم الأعظم.

ففي نظر الوحدة، العالم ليلة القدر ويوم القيامة وليس أكثر من ليلة واحدة ويوم واحد وهو تمام دار التحقق وليلة القدر المحمدية ويوم القيامة الأحمدية، ومن تحقق بهذه الحقيقة فهو دائما في ليلة القدر ويوم القيامة وهذان يجتمعان.

وباعتبار نظر الكثرة تظهر الليالي والأيام، فبعض الليالي صاحبة القدر وبعضها ليست كذلك ومن بين جميع الليالي البنية الأحمدية والتعين المحمدي صلى الله عليه وآله التي غرب في أفقها نور حقيقة الوجود بجميع شؤونه، وكذلك الأسماء والصفات بكمال نوريتها وتمام حقيقتها قد غربت



فيها هي ليلة القدر المطلقة كما أن اليوم المحمدي هو يوم القيامة المطلق. وأما سائر الليالي والأيام فهي ليال وأيام مقيّدة ونزول القرآن في هذه البنية الشريفة والقلب المطهّر نزول في ليلة القدر، فالقرآن كما أنه نزل جملة في ليلة القدر بطريق الكشف المطلق الكلي كذلك نزل نجوما خلال ثلاث وعشرين سنة في ليلة القدر، والشيخ العارف الشاه آبادي دام ظله كان يقول أن ليلة القدر هي الدورة المحمدية، وهذا أمّا باعتبار أنّ جميع الأدوار الوجودية هي الدورة المحمدية وأما لإن في هذه الدورة الأقطاب الكمّل المحمديين والأئمة الهداة المعصومين هم ليالي القدر.

ويدل على ما احتملناه من حقيقة ليلة القدر الحديث الشريف المطوّل في تفسير البرهان نقله عن الكافي الشريف، وفي ذلك الحديث: "**إن نصرانيا قال لموسى بن جعفر عليه السلام ما تفسير باطن حم والكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم؟ فقال عليه السلام: إما حم محمد وإما الكتاب المبين أمير المؤمنين علي وأما الليلة فاطمة عليها السلام**".

وفي رواية فسرت ليال عشر بالأئمة الطاهرين من الحسن إلى الحسن وهذه إحدى مراتب ليلة القدر قد ذكرها الامام موسى بن جعفر عليه السلام ومما يشهد بأن ليلة القدر تمام الدورة المحمدية الرواية التي في تفسير البرهان عن الباقر عليه السلام وهذه الرواية حيث أنها رواية شريفة وتشير إلى معارف عديدة وتكشف أسرارا مهمّة ننقلها بنصها تيمّنا.

قال رحمه الله: وعن الشيخ أبي جعفر الطوسي عن رجاله عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "**بيت علي وفاطمة حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسقف بيتهم عرش رب العالمين وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي. والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحا ومساء وكل ساعة وطرفة عين**



والملائكة لا تنقطع أفواجهم، فوج ينزل وفوج يصعد وإن الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوّة ناظره وإن الله زاد في قوة ناظر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفا غير العرش، فبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام.. قال: قلت: من كل أمر سلام؟ قال: بكل أمر، فقلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم".

والتدبر في هذا الحديث الشريف يفتح أبوابا من المعرفة لأهلها وتنكشف له نبذة من حقيقة الولاية وباطن ليلة القدر.

الأمر الثالث:

اعلم كما أن لليلة القدر حقيقة وباطنا قد أشرنا إليهما، كذلك لها صورة ومظهر، بل مظاهر في عالم الطبع وحيث أنه من الممكن أن تكون في المظاهر من جهة النقص والكمال فروق كثيرة، فمن هذه الجهة يمكن أن يجمع بين الأقوال والأخبار التي وردت في تعيين ليلة القدر بأن جميع الليالي الشريفة التي وردت في الروايات كلها من مظاهر ليلة القدر إلا أنها تختلف فيما بينها في الشرافة وكمال المظهرية والليلة الشريفة التي لها تمام ظهور ليلة القدر وليلة الوصول التام الختمي والوصول الكامل الخاتمي مختفية في ليالي جميع السنة أو شهر رمضان المبارك أو في العشر الأواخر أو في الليالي الثلاثة منه، وفي روايات العامة والخاصة أيضا اختلافات، وفي روايات الخاصة ذكر بالترديد بين ليلة التاسع عشر والحادي والعشرين والثالث والعشرين وفي بعضها الترديد بين الحادي والعشرين والثالث والعشرين.

قال شهاب بن عبد ربّه: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني بليلة القدر. قال (ع): "هي ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين". وعن عبد الواحد بن المختار الأنصاري قال: سألت أبا جعفر عن ليلة القدر،



قال: "**في ليلتين ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين. فقلت افرد لي أحدهما. قال: وما عليك أن تعمل في ليلتين هي إحداهما**".

وعن حسان بن أبي علي قال: سألت أبا عبد الله عن ليلة القدر فقال: "**اطلبها في تسع عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين**".

وقال السيد العابد الزاهد رضي الله عنه في الإقبال: اعلم أن هذه الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان وردت أخبار صريحة بأنها ليلة القدر على الكشف والبيان فمن ذلك ما رويناه بإسناده إلى سفيان السمط قال: قلت لأبي عبد الله: "**افرد لي ليلة القدر، قال: ليلة ثلاث وعشرين**". ومن ذلك ما رويناه بإسناده إلى زرارة عن عبد الواحد بن المختار الأنصاري قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن ليلة القدر فقال "**أخبرك والله ثم لا أعمي عليك هي أول ليلة من السبع الأخر**". ثم يروي عن زرارة أنه قال كان ذلك الشهر تسعة وعشرين ثم يروي روايات أخر أن ليلة القدر هي ليلة ثلاث وعشرين منها قضية الجهني المعروفة.

تنبيه عرفاني

كما ذكرنا في السورتين المباركتين آنفا الأظهر أن بسم الله في كل سورة متعلقة بتلك السورة فلهذا يكون المعنى في سورة القدر المباركة: إنا أنزلنا الحقيقة الشريفة القرآنية واللطيفة المقدسة الإلهية في ليلة القدر المحمدية صلى الله عليه وآله باسم الله الذي هو الحقيقة الجمعية الأسمائية والاسم الأعظم الربوبي والمتعين بالرحمة المطلقة الرحمانية والرحيمية بمعنى أن ظهور القرآن بتبعية الظهور الجمعي الإلهي والقبض والبسط الرحيمية والرحمانية بل حقيقة القرآن هي مقام ظهور الاسم الله الأعظم بظهور الرحمانية والرحيمية وجامع الجمع والتفصيل. فهذا الكتاب لهذه الجهة قرآن وفرقان. كما أن روحانية الرسول الخاتم ومقام ولايته المقدس أيضا قرآن وفرقان ومقام أحدية الجمع والتفصيل.



فعلى هذا الاحتمال كأن الذات المقدسة تقول:

إنّا بالتجلي بمقام الاسم الأعظم وهو مقام أحدية الجمع والتفصيل بظهور الرحمة الرحمانية والرحيمية نزّلنا القرآن في ليلة القدر المحمدية، وحيث أن في عالم الفرق بل فرق الفرق حصلت الفرقانية بين القرآنين يعني القرآن المكتوب المنزل والقرآن المنزل عليه يعني الكتاب الإلهي والحقيقة المحمدية، فوصلنا بين القرآنين وجمعنا بين الفرقانين في ليلة الوصال، وبهذا الاعتبار أيضا هذه الليلة ليلة القدر ولكن لا يعرف أحد قدزها كما ينبغي غير نفس خاتم النبيين صاحب ليلة القدر بالأصالة وأوصيائه المعصومين الذين هم أصحابها بالتبعية.

تتمة:

في ذكر بعض روايات التي وردت في فضل ليلة القدر:

منها: ما رواه العارف بالله السيد ابن طاووس في كتاب الإقبال الشريف، قال: وجدت في كتاب كنز اليواقيت تأليف أبي الفضل أبي محمد الهروي أخبارا في ليلة القدر إلى أن قال عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **"قال موسى: إلهي أريد قربك قال: قربي لمن استيقظ ليلة القدر. قال: إلهي أريد رحمتك، قال: رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر. قال: إلهي أريد الجواز على الصراط، قال: ذلك لمن تصدّق في ليلة القدر. قال: إلهي أريد من أشجار الجنة وثمارها قال: ذلك لمن سبّح تسبيحة في ليلة القدر. قال: إلهي أريد النجاة، قال: النجاة من النار؟ قال: نعم، قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر. قال: إلهي أريد رضاك، قال: رضائي لمن صلى ركعتين في ليلة القدر".**

ومن الكتاب المذكور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **"تفتح أبواب السماء في ليلة القدر فما من عبد يصلي فيها إلا كتب الله تعالى له بكل سجدة شجرة في الجنة لو يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها**



وبكل ركعة بيتا في الجنة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، وبكل آية تاجا من تيجان الجنة وبكل تسبيحة طائرا أنفس الطيور وبكل جلسة درجة من درجات الجنة وبكل تشهّد غرفة من غرفات الجنة وبكل تسليمة حلّة من حلل الجنة، فإذا انفجر عمود الصبح أعطاه الله من الكواعب المؤلفات والجواري المهذبات والغلمان المخلّدين والنجائب المطيرات والرياحين المعطرات والأنهار الجاريات والنعيم الراضيات والتحف والهديات والخلع والكرامات ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون".

ومن هذا الكتاب عن الباقر عليه السلام "من أحيا ليلة القدر غفرت له ذنوبه ولو كانت ذنوبه عدد نجوم السماء ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار".

والأخبار في فضائلها أكثر من أن تدون في هذه الأوراق.

قوله تعالى: وما أدراك ما ليلة القدر:

هذا التركيب للتفخيم والتعظيم وعظمة المطلب وعظمة الحقيقة خصوصا بملاحظة المتكلم والمخاطب، فمع أن الحق تعالى جلّت قدرته هو المتكلم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو المخاطب، ومع هذه العظمة ربما يكون المطلب بقدر من العظمة لا يمكن إظهاره في نسج الألفاظ وتركيب الحروف والكلمات فكأنه تعالى يقول: لا تدري ما ليلة القدر في حقيقتها العظيمة ولا يمكن بيان حقيقتها ونسج الحروف والكلمات ونظمها لا يليق بتلك الحقيقة.

ولهذا مع أن كلمة ما لبيان الحقيقة فقد صرف النظر عن بيانها وقال ليلة القدر خير من ألف شهر فعرّفها بخواصها وآثارها لأن بيان حقيقتها غير ممكن، ومن هنا أيضا يحتمل بحدس قوي أن تكون حقيقة ليلة القدر وباطنها غير هذه الصورة والظاهر، وإن كان هذا الظاهر أيضا ذا أهمية وعظمة



ولكن ليس بمثابة يعبّر هذا النحو من التعبير بالنسبة إلى رسول الله الولي المطلق والمحيط بكل العوالم.

إن قلت: بناء على الاحتمال المذكور من أن باطن ليلة القدر حقيقة الرسول المكرم وبنيته التي احتجبت فيها شمس الحقيقة بتمام شؤونها فالإشكال يكون أعظم لأنه لا يمكن أن يقال له ـ صلى الله عليه وآله ـ ما أدراك ما ليلة القدر التي هي صورتك الملكية.

قلت أن لهذا المطلب سرا ولهذه اللطيفة باطنا وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد.

فأعلم أيها العزيز.. حيث إن في باطن ليلة القدر الحقيقيّة أي في البنية والصورة الملكية أو في العين الثابتة المحمدية جلوة الاسم الأعظم والتجلي الأحدي الجمعي الإلهي، فلهذه الجهة ما دام العبد السالك إلى الله يعني الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله في حجاب نفسه فإنه لا يتمكن من مشاهدة ذلك الباطن وتلك الحقيقة، كما ورد في القرآن الشريف في حق موسى بن عمران على نبينا وآله وعليه السلام: لن تراني.. مع أن التجلي الذاتي أو الصفاتي قد حصل له عليه السلام بدليل: ﴿**فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكّا وخرّ موسى صعقا**﴾. وبدليل فقرات دعاء السمات الشريف العظيم الشأن كما هو واضح جدا، والنكتة في هذا أيضا أنه: يا موسى ما دمت في الحجاب الموسوي والاحتجاب الذاتي لا يمكنك المشاهدة لأن مشاهدة جمال الجميل لمن خرج عن نفسه، فإذا خرج عن نفسه فيرى بعين الحق وعين الحق ترى الحق لا محالة. فجلوة الاسم الأعظم التي هي الصورة الكمالية لليلة القدر لا ترى مع الاحتجاب بالنفس، فهذا التعبير بناء على هذا التحقيق يكون صحيحا وفي مورده.

فإن قلت: إن ليلة القدر هي نفس البنية الأحمدية باعتبار احتجاب شمس الحقيقة فيها لا نفس الشمس حتى يصحّ هذا التوجيه. قلت:



في لسان أهل النظر شيئية الشيء بصورته الكمالية وذوات الأسباب وخصوصا السبب الإلهي لا تُعرف بحقيقتها إلا بمعرفة أسبابها.

وفي لسان أهل المعرفة نسبة الظاهر والباطن والجلوة والمتجلي ليست نسبة الأمرين المفارقين بل الحقيقة الواحدة تتجلى بالتجلي الظهوري حينا وبالتجلي البطوني حينا آخر، كما يقول العارف الشاعر ما ترجمته:

نحن اعدام نتظاهر بالوجود   وأنت الوجود المطلق وأنت وجودنا

وهذا الكلام كما يقول العارف الرومي لا انتهاء له وصرف النظر عنه أولى.

قوله تعالى: ليلة القدر خير من ألف شهر:

إذا لاحظنا الصورة الظاهرة الملكية لليلة القدر فكونها خيرا من ألف شهر لا يكون فيها ليلة القدر، أو أن العبادة والطاعة فيها خير من ألف شهرٍ حمل بنو اسرائيل فيها السلاح ليجاهدوا في سبيل الله.

أو أن ليلة القدر خير من ألف شهر من حكم بني أمية لعنهم الله كما في الروايات الشريفة.

وإذا لوحظت حقيقة ليلة القدر فيمكن أن يكون ألف شهر كناية عن جميع الموجودات باعتبار أن الألف عدد كامل، والمراد من الشهر أنواعها، يعني أن البنية الشريفة المحمدية وهي الإنسان الكامل خير من ألف نوع وهي جميع الموجودات كما قال بعض أهل المعرفة.

وقد لاح في نظر الكاتب احتمال آخر وهو أن تكون ليلة القدر إشارة إلى مظهر الاسم الأعظم يعني المرآة التامة المحمدية صلى الله عليه وآله وألف شهر عبارة عن مظاهر الأسماء الأخر، وحيث أن للحق تعالى واحدا وألف اسم. واسم مستأثر في علم الغيب. فلهذه الجهة ليلة القدر أيضا مستأثرة وليلة قدر البنية المحمّدية أيضا اسم مستأثر ولا يطلّع عليه غير الذات المقدسة للرسول الخاتم صلى الله عليه وآله.



تنبيه عرفاني:

وليعلم كما أن الولي الكامل والنبي الخاتم صلى الله عليه وآله ليلة القدر باعتبار بطون الاسم الأعظم فيه واحتجاب الحق فيه بجميع شؤونه كذلك هو يوم القدر أيضا باعتبار ظهور شمس الحقيقة وبروز الاسم الجامع من أفق تعيّنه كما هو نفسه صلى الله عليه وآله يوم القيامة أيضا.

وبالجملة، ذاته المقدسة ليلة القدر ويومه، ويوم القيامة أيضا يوم القدر، فبناء على هذا لعل النكتة في التعبير عن سائر المظاهر بالشهر وعن هذا المظهر المقدس التام بالليلة هي أن مبدأ الشهور والسنين هو اليوم والليلة كما أن الواحد مبدأ الأعداد؛ وهو صلى الله عليه وآله بباطن الحقيقة ـ وهو الاسم الأعظم ـ مبدأ لسائر الأسماء وبتعينه وعينه الثابتة أصل الشجرة الطيبة ومبدأ التعينات، تدبر تعرف، واغتنم.

قوله تعالى: ﴿ تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾.

وفي هذه الآية الشريفة مطالب نذكر بعضها بطريق الإجمال:

الأمر الأول

في ذكر صنوف ملائكة الله تعالى والإشـارة إلى حقيقتها على الإجمال:

اعلم أن بين المحدثين والمحقّقين اختلافا في تجرّد ملائكة الله وتجسّمها، وكافة الحكماء والمحققين وكثير من المحققين الفقهاء يقولون بتجردها وبتجرد النفس الناطقة، وأقاموا لذلك براهين متينة، ويستفاد التجرد من كثير من الروايات والآيات الشريفة كما قال المحدث المحقق مولانا محمد تقي الوالد الماجد للمرحوم المجلسي في شرح الفقيه في ذيل بعض الروايات: أن هذا يدّل على تجرّد النفس الناطقة.

وقال بعض الأكابر من المحدثين بعدم التجرد، وغاية ما استدلّوا به أن القول بالتجرد مناف للشريعة وصرّحوا بأن المجرد ليس سوى ذات



الحق المقدس. وهذا الكلام ضعيف في الغاية لأن عمدة نظرهم لعلها كانت لأمرين:

الأول قضية الحدوث الزماني للعالم، فتوهموا أن تجرد شيء سوى الحق ينافيه.

والثاني: كون الحق تعالى فاعلا باختيار، فتوهموا أنه يخالف تجرّد عالم العقل وملائكة الله، وكلا المسألتين من المسائل المعنونة في العلوم العالية. وقد اتضح فيها عدم التنافي في مثل هذه المسائل مع الوجود المجردّ بل القول بعدم تجرد النفوس الناطقة وعالم العقل وملائكة الله ينافي الكثير من المسائل الإلهية والكثير من العقائد الحقة ولا مجال الآن لبيانه. والحدوث الزماني للعالم على نحو توهمته هذه الطائفة مناف لأصل مسألة الحدوث الزماني فضلا عن أنه مخالف لكثير من القواعد الإلهية. والحق الموافق للعقل والنقل عند الكاتب أن لملائكة الله أصنافا كثيرة، وكثير منها مجرد وكثير منها جسماني برزخي وما يعلم جنود ربك إلا هو.. وأصنافها بحسب التقسيم الكلي كما قيل بأن الموجودات الملكوتية على قسمين:

قسم لا تعلّق له بعالم الأجسام، لا تعلقا حلوليّا ولا تعلقا تدبيريا. والقسم الآخر ما له التعلق بأحد هذين الوجهين.

والطائفة الأولى قسمان: قسم يقال له الملائكة المهيّمة وهم المستغرقون في جمال الجميل والمتحيرون في ذات الجليل وعن سائر الخلق غافلون ولا يتوجهون إلى سائر الموجودات.

ففي أولياء الله أيضا طائفة بهذه الصفة، فكما أننا مستغرقون في البحر الظلماني للطبيعة وعن عالم الغيب وذات ذي الجلال غافلون، مع أن الحق تعالى ظاهر بالذات وكل ظهور شعاع ظهوره، فهم غافلون كليا عن العالم وما فيه ومشغولون بالحق وجمال الجميل. وفي الرواية: "أن لله خلقا لا

يعلمون أن الله خلق آدم وإبليس".

والقسم الثاني: طائفة جعلها الله تعالى وسائط رحمة وجوده وهي مبادئ سلسلة الموجودات وغاية أشواقها، ويقال لهذه الطائفة أهل الجبروت ويتقدمها ويرأسها الروح الأعظم، ولعل الآية الشريفة، ﴿ **تنزّل الملائكة والروح** ﴾. أيضا تكون إشارة إلى هذه الطائفة من ملائكة الله واختصاص الروح بالذكر مع أنه من الملائكة لعظمته، كما في الآية الشريفة: ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفا** ﴾ أيضا إشارة إلى ذلك.

وبأحد الاعتبارات يقال للروح القلم الأعلى كما قال صلى الله عليه وآله وسلم "**أول ما خلق الله القلم**".

ويقال له باعتبار آخر العقل الأول كما قال صلى الله عليه وآله وسلم "**أول ما خلق الله العقل**". وقال بعض: أن الروح هو جبرائيل.. وعند الفلاسفة جبرائيل آخر الملائكة الكروبيين وأنه الروح القدس ويعتقدون أن الروح أول الملائكة الكروبيين. وفي الروايات الشريفة أيضا "أن الروح أعظم من جبرائيل" كما في الكافي الشريف عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل: ﴿ **يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** ﴾ قال: "**خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت**".

وفي بعض الروايات أن الروح ليس من الملائكة بل أعظم منها، ولعل للروح في لسان القرآن، والأحاديث إطلاقين كما أن له في لسان أهل الإصطلاح إطلاقات، فروح من صنوف الملائكة كما قال عليه السلام "**أنه من الملكوت**" وروح هو روح حضرات الأولياء وليس من الملائكة وأعظم منها. فبناء على هذا يمكن أن يكون الروح في سورة القدر الشريفة باعتبار التنزّل في ليلة القدر عبارة عن الروح الأمين أو الروح الأعظم، وفي الآية الشريفة ﴿ **يسألونك عن الروح** ﴾ عبارة عن الروح الإنساني الذي



هو في مرتبة الكمال أعظم من جبرائيل وسائر الملائكة وهو من عالم الأمر بل ربما يتحد مع المشيئة التي هي الأمر المطلق.

والقسم الأخر من ملائكة الله هم الملائكة الموكلة بالموجودات الجسمانية والمدبرات فيها. ولها صنوف كثيرة وطوائف لا تعدّ لأن لكل موجود علوي أو سفلي فلكي أو عنصري وجهة ملكوتية يتصل بتلك الوجهة بعالم ملائكة الله ويرتبط بجنود الحق، كما أن الحق تعالى يشير إلى ملكوت الأشياء بقوله **﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾**.

وقال النبي صلى الله عليه وآله في كثرة الملائكة كما في الروايات **"أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع"**. وقد ذكر كثيرا في الروايات الشريفة ما يرجع إلى كثرة الملائكة وكثرة صنوفها.

الأمر الثاني

في بيان كيفية تنزل ملائكة الله على ولي الأمر

اعلم أن الروح الأعظم وهو خلق أعظم من ملائكة الله وهو واقع في الرتبة الأولى من ملائكة الله وأشرف وأعظم من الكل وكذلك ملائكة الله المجردة قطان عالم الجبروت لا يتجافون عن مقامهم، والنزول والصعود بالنسبة لهم بالمعنى الذي للأجسام مستحيل لأن المجرد مبرأ ومنزه عن لوازم الأجسام.

فتنزلهم أعم من أن يكون في مرتبة القلب أو الصدر أو الحس المشترك للولي أو أن يكون في بقاع الأرض والكعبة وحول قبر رسول الله أو في البيت المعمور بطريق التمثّل الملكوتي أو الملكي كما قال تعالى في شأن تنزل الروح الأمين على مريم: فتمثل لها بشرا سويا كما يمكن إن يكون للأولياء الكمّل أيضا تمثل ملكوتي وتروح جبروتي. فلملائكة الله استطاعة الدخول في الملك والملكوت على نحو التمثل، وللكمّل من الأولياء قدرة



الدخول في الملكوت والجبروت على طور التروّح والرجوع من الظاهر إلى الباطن، وتصديق هذا المعنى لمن فهم حقائق المجردات سهل سواء المجرد الملكوتي أو الجبروتي أو النفوس الناطقة التي هي أيضا من المجردات الجبروتية أو الملكوتية وتصور مراحل الوجود ومظاهرها ونسبة الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر.

وليعلم أنه لا يمكن تمثل الجبروتيّين والملكوتيّين في قلب البشر وصدره وحسه إلا بعد خروجه من الجلباب البشري وحصول المناسبة بينه وبين تلك العوالم، وإلا فما دامت النفس مشتغلة بالتدبيرات الملكية وغافلة عن تلك العوالم لا يمكن أن تحصل لها هذه المشاهدات أو التمثلات، نعم ربما يمكن أن يحصل للنفس انصراف عن هذه العوالم بإشارة من أحد الأولياء وتدرك إدراكا معنويا أو صوريا من عوالم الغيب بمقدار لياقتها وربما يكون للنفس انصراف عن الطبيعة بواسطة بعض الأمور الهائلة فتدرك انموذجا من عالم الغيب كما ينقل الشيخ الرئيس قضية ذلك الشخص الساذج أنه أخذ براءة من النار في حج بيت الله. وينقل ما يشبهها الشيخ العارف محي الدين. فجميع هذه الأمور أيضا من انصراف النفوس عن الملك وتوجهها إلى الملكوت. ويمكن أن نفوس الأولياء الكمل بعد انسلاخها عن العوالم ومشاهدة الروح الأعظم أو سائر ملائكة الله تصحو وتحفظ حضرات الغيب والشهادة بواسطة قوتها، وفي هذه الصورة تشاهد حقائق الجبروتيين في جميع النشآت في آن واحد وربما يحصل تنزل الملائكة بقدرة الولي الكامل بنفسه والله العالم.

الأمر الثالث

اعلم أن ليلة القدر حيث أنها ليلة مكاشفة رسول الله وأئمة الهدى عليهم السلام فلهذا تنكشف لهم جميع الأمور الملكية من غيب الملكوت وتظهر الملائكة الموكلة بكل أمر من الأمور لحضراتهم في نشأة الغيب



وعالم القلب وتعلم وتنكشف لهم جميع الأمور التي قدرت للخلائق في مدة السنة وكتبت في الألواح العالية والسافلة على نحو الكتابة الملكوتية والاستجنان الوجودي، وهذه المكاشفة مكاشفة ملكوتية ومحيطة بجميع ذرات عالم الطبيعة ولن يخفى على ولي الأمر شيء من أمور الرعية.

ولا ينافي أن ينكشف لهم في ليلة واحدة أمر سنة واحدة، وفي حالة واحدة جميع الأمور، وفي لحظة واحدة جميع المقدرات الملكية والملكوتية، وتنكشف أيضا بالتدريج في أيام السنة الأمور اليومية، على طريق الإجمال والتفصيل.

فمثلا ورد في كيفية نزول القرآن في الحديث أنه نزل جملة واحدة في البيت المعمور ونزل في طول ثلاث وعشرين سنة على رسول الله، والورود في البيت المعمور أيضا نزول على رسول الله.

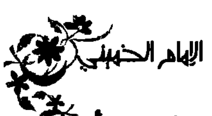
وبالجملة ربما يتصل ولي الأمر بالملأ الأعلى والأقلام العالية والألواح المجردة فتحصل له المكاشفة التامة لجميع الموجودات أزلا وأبدا، وربما يتصل بالألواح السافلة فيكتشف المقدر في مدة ما. وتمام صفحة الكون حاضرة في محضره الولائي وكل أمر يقع يكون تحت نظرهم عليهم السلام وقد ورد في روايات عرض الأعمال على ولي الأمر في كل خميس وأثنين تعرض الأعمال على رسول الله وأئمة الهدى عليهم السلام.

وفي بعض الروايات أنها تعرض في صبيحة كل يوم. وفي بعضها تعرض عليهم أعمال العباد صباحا ومساء وهذه كلها أيضا على حسب الإجمال والتفصيل والجمع والتفريق، وقد وردت في هذه الأبواب روايات شريفة عن أهل بيت العصمة والطهارة مذكورة في كتب التفاسير كتفسير البرهان والصافي.

قوله تعالى: سلام هي حتى مطلع الفجر:

أي أن هذه الليلة المباركة هي السلامة من الشرور والبليات والآفات





الشيطانية حتى مطلع الفجر أو أنها سلام على أولياء الله وأهل الطاعة، أو أن ملائكة الله التي تلاقيهم تسلّم عليهم من الله تعالى إلى طلوع الفجر.

تنبيه عرفاني

كما ذكر سابقا في بيان حقيقة ليلة القدر أنها تعبّر عن مراتب الوجود وتعينات الغيب والشهود بالليل باعتبار احتجاب شمس الحقيقة في أفقهم وبناء عليه فليلة القدر هي ليلة احتجب فيها الحق تعالى بجميع الشؤون وأحدية جمع الأسماء والصفات التي هي حقيقة الاسم الأعظم وهي التعين والبنية للولي الكامل وهو في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه المقدسة وبعده أئمة الهدى واحدا بعد واحد، فبناء على هذا ففجر ليلة القدر هو وقت ظهور آثار شمس الحقيقة من خلف حجب التعينات،وطلوع الشمس من أفق التعينات فجر يوم القيامة أيضا. وحيث أنه من وقت الغروب واحتجاب شمس الحقيقة في أفق تعينات هؤلاء الأولياء الكمل إلى وقت طلوع الفجر، وهي مدّة ليلة القدر فتلك الليلة صاحبة الشرف سالمة من التصرفات الشيطانية مطلقا، وكما احتجبت الشمس من دون كدورة وبلا تصرفات شيطانية تطلع بهذه الصفة فقال تعالى: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ وأما سائر الليالي فهي: إما أنه لا سلامة فيها أصلا وهي ليالي بني أميّة وأمثالهم أو أنها فاقدة للسلامة بمجموع معانيها وهي ليالي سائر الناس.

خاتمة:

قد علم من البيانات العرفانية والمكاشفات الإيمانية التي ظهرت بتأييد الأولياء العظام على القلوب المنيرة لأهل المعرفة إن سورة التوحيد المباركة كما أنها نسبة الذات المقدسة للحق جل وعلا كذلك سورة القدر الشريفة نسبة أهل بيت العظام عليهم السلام، كما ورد في روايات المعراج مثل ما رواه محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي عبد الله عليه

السلام في صلاة النبي صلى الله عليه وآله في السماء في حديث الإسراء قال عليه السلام "ثم أوحى الله عز وجل إليه اقرأ يا محمد نسبة ربك تبارك وتعالى الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وهذا في الركعة الأولى ثم أوحى الله عز وجل إليه اقرأ بالحمد لله فقرأها مثلما قرأ أولا ثم أوحى الله إليه: اقرأ: إنّا أنزلناه فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة".

والروايات الشريفة في فضل سورة القدر المباركة كثيرة منها ما في الكافي الشريف عن الامام الباقر عليه السلام قال "من قرأ إنّا أنزلناه في ليلة القدر يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله ومن قرأها سرّا كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله، ومن قرأها عشر مرات غفرت له على نحو ألف ذنب من ذنوبه" وفي خواص القرآن روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله "من قرأ هذه السورة كان له أجر من قاتل في سبيل الله" والحمد لله أولا وآخرا.

اعتذار:

مع أنه كان في نية الكاتب في هذه الرسالة أن يكفّ عن المطالب العرفانية غير المأنوسة للناس، ويكتفي بالآداب القلبية فقط للصلاة.. والآن أرى أن القلم قد طغى وفي خصوص تفسير السورة الشريفة قد تجاوزت عن الموضوع المقرّر عندي فلا بدّ لي من أن أعتذر للأخوة الإيمانيين والاخلاّء الروحانيين، وفي ضمن الاعتذار أقول:

إذا رأيتم في هذه الرسالة مطلبا غير مطابق لذوقكم فلا ترموه بالباطل بلا تأمّل، لأن لكل علم أهلا ولكل طريق سالكا، رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعدّ طوره.. ويمكن أن يغفل البعض عن حقيقة الحال ولعدم اطّلاعهم على المعارف القرآنية ودقائق السنن الإلهية يظنّون أن بعض مطالب هذه الرسالة هي تفسير بالرأي. وهذا الظنّ خطأ محض وافتراء



فاحش لأنه:

أولا: هذه المعارف واللطائف كلها مستفادة من القرآن الشريف والأحاديث الشريفة ولها شواهد سمعية كما ذكر بعضها في خلال المباحث ولم يذكر أكثرها رعاية للاختصار.

وثانيا: جميع تلك المعارف أو أكثرها موافقة للبراهين العقلية أو العرفانية، ومثل هذا الأمر لا يكون تفسيرا بالرأي.

وثالثا: في الغالب أن ما ذكر من المطالب إما أننا ذكرناه في بيان الأيات الشريفة وهو من قبيل بيان مصاديق المفاهيم وبيان المصداق ومراتب الحقائق ليس بتفسير أصلا حتى يكون تفسيراً بالرأي.

ورابعا: بعد جميع المراحل ذكرنا المطالب في الموارد غير الضرورية على سبيل الاحتمال وبيان أحد المحتملات رعاية لغاية الاحتياط في الدين مع أنه ليس هنا محل للاحتياط، ومن المعلوم أن باب الاحتمال ليس مسدودا على أحد وليس مربوطا بالتفسير بالرأي وهنا مطالب أخرى كففنا عنها رعاية للاختصار.



الباب الخامس

في نبذة من آداب الركوع وأسراره

وفيه خمسة فصول





الفصل الأول

في التكبير قبل الركوع

والظاهر أن هذا التكبير من متعلقات الركوع ولأجل تهيّؤ المصلي للدخول إلى منزل الركوع. وأدبه أن ينظر المصلي إلى مقام عظمة الحق وجلاله وعزة الربوبية وسلطنتها ويجعل ضعف العبودية وعجزها وفقرها وذلّها نصب عينه. وفي هذا الحال يكبر الحق تعالى عن التوصيف بمقدار معرفته بعزّ الربوبية وذل العبودية.

ويلزم أن يكون توصيف العبد السالك للحق تعالى وتسبيحه وتقديسه لمحض طاعة الأمر ولأن الحق تعالى أذن له في الوصف والعبادة. وإلا فليس له أن يتجاسر على التلفظ بالتوصيف والتعظيم في المحضر الربوبي،وهو عبد ضعيف، وفي الحقيقة لا شيء. وما لديه فهو أيضا من المعبود العظيم الشأن.

وفي حين يقول مثل علي بن الحسين بلسانه الولائي الأحلى الذي هو لسان الله **"أفبلساني هذا الكالّ أشكرك؟"** . فماذا يتأتى من بعوضة ضئيلة؟

فإذا أراد العبد السالك أن يرد منزل الركوع الخطر فلا بد له من التهيّؤ لذاك المقام وأن يرمي وراء ظهره توصيفه وتعظيمه وعبادته وسلوكه، ويرفع يده إلى حذاء الأذن ويرفع كفّيه الخاليتين باتجاه القبلة ويرد منزل الركوع صفر اليدين وبقلب مملوء بالخوف والرجاء، خوف التقصير من القيام بمقام العبودية والرجاء الواثق بمقام الحق المقدس حيث شرّفه وأذن له بالدخول إلى هذه المقامات التي هي لخلّص الأولياء وكمّل الأحبّاء.



ولعل رفع اليدين بهذه الكيفية هو ترك لمقام القيام وترك الوقوف عند ذاك الحدّ وإشارة إلى عدم التزوّد من منزل القيام. والتكبير إشارة إلى التعظيم والتكبير عن التوصيفات التي صدرت في منزل القيام. وعند أهل المعرفة حيث أن الركوع منزل توحيد الصفات فتكبير الركوع تكبير عن هذا التوحيد، ورفع اليد إشارة إلى رفض صفات الخلق.

الفصل الثاني

في آداب الانحناء الركوعي

اعلم أن عمدة أحوال الصلاة ثلاثة، وسائر الأعمال والأفعال مقدّماتها ومعدات لها، الأول: القيام. والثاني: الركوع. والثالث: السجود. وأهل المعرفة يرون هذه الثلاثة إشارة إلى التوحيدات الثلاثة، ونحن ذكرنا تلك المقامات في كتاب سر الصلاة على حسب الذوق العرفاني، والآن نبين هذه المنازل بلسان آخر يناسب العامة فنقول:

بما أن الصلاة معراج كمالي للمؤمن ومقرّب لأهل التقوى فهي متقوّمة بأمرين أحدهما مقدمة للآخر:

الأول: ترك رؤية النفس وإرادتها الذي هو باطن التقوى.

الثاني: إرادة الله وطلب الحق وهو حقيقة المعراج والقرب، ولهذا ورد في الروايات الشريفة: "الصلاة قربان كل تقيّ"، كما أن القرآن أيضا نور الهداية ولكن للمتقين: ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾.

وبالجملة هذان المقامان، يحصلان في هذه المقامات الثلاثة بالتدريج، ففي حال القيام ترك لرؤية النفس بحسب مقام الفاعلية ورؤية فاعلية الحق وقيّومية الحق المطلق، وفي الركوع ترك لرؤية النفس بحسب مقام الصفات والأسماء



ورؤية مقام أسماء الحق وصفاته، وفي السجود ترك رؤية النفس مطلقا، وحب الله وطلبه مطلقا. وجميع منازل السالكين من شؤون هذه المقامات الثلاثة كما هو واضح لأصحاب البصيرة ولأهل العرفان والسلوك.

فإذا توجّه السالك في هذه المقامات إلى أن سرّ هذه الأعمال التوحيدات الثلاثة، صارت مراقبته أكثر ضرورة لكل مقام كلما ازداد دقة ولطفا. لأن خطر المقام أشدّ والزلل فيه أكثر. ففي مقام الركوع حيث أن للسالك دعوى أنه ليس في دار الوجود علم ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة إلا من الحق تعالى، وهذا الادعاء عظيم والمقام دقيق للغاية ولا ينبغي صدور هذه الدعاوى من أمثالنا فلا بد أن نتوجه بباطن ذاتنا إلى جناب الحق المقدّس بالتضرّع والمسكنة و الذلّة ونعتذر عن القصور والتقصير ونجد نقصاننا بعين العيان وشهود الوجدان، فلعله يصدر عن هذا المقام المقدس توجّه وعناية ويصير حال الاضطرار سببا للإجابة من الذات المقدسة: أمّن يجيب المضّطر إذا دعاه ويكشف السوء.

الفصل الثالث

تعظيم وتنبيه وتحقيق

قد ورد في صلاة المعراج لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد الركوع أن العزيز خاطبه **"فانظر إلى عرشي"**. قال رسول الله: **"فنظرت إلى عظمة ذهبت لها نفسي وغشي عليّ فألهمت أن قلت سبحان ربي العظيم وبحمده لعظم ما رأيت. فلما قلت ذلك تجلّى الغشي عني حتى قلتها سبعا ألهم ذلك فرجعت إليّ نفسي كما كانت"**.

فأنظر أيها العزيز إلى مقام عظمة سلوك سيد الكلّ وهادي السبل صلى الله عليه وآله أنه رأى في حال الركوع ـ وهو حال النظر إلى ما دون نفسه ـ



نور العرش، وحيث أن نور العرش في نظر الأولياء عبارة عن تجلي الذات بلا مرآة، فالتعين النفسي يزول وتحصل حالة الغشي والصعق فأدركت الذات المقدسة بالعنايات الأزلية وجوده الشريف ولقّن سبحانه الذات النبوية المقدسة التسبيح والتعظيم و التحميد بالإلهام الحبّي حتى أفاق بعدما قالها سبعا ـ بعدد الحجب وعدد مراتب الإنسان ـ وحصلت له حالة الصحو. وهذه الأحوال كانت تداومه في صلاة المعراج كلها. وحيث أنه لا سبيل لنا إلى خلوة الأنس ولا مكان لنا في مقام القدس.

فالجدير أن نجعل رأسمالنا للوصول إلى المقصد و عروتنا لحصول المطلوب عجزنا و ذلّتنا ولا ندع التمسك بذيل المقصود حتى يرتوي القلب. وإذا لم نكن من رجال هذا الميدان فعلى الأقل نطلب الهداية من أهله ونستعين بروحانية الكمّل، فلعل رائحة من المعارف تصل إلى مشامّنا ويهبّ نسيم لطف على قالبنا الميّت وذلك لأن عادة الحق تعالى الإحسان وشيمته التفضّل والأنعام.

وليعلم أن الركوع مشتمل على تسبيح الرب جلّ وعلا وتعظيمه وتحميده، فالتسبيح تنزيه عن التوصيف وتقديس عن التعريف.. وإن التعظيم و التحميد خروج عن حدّي التشبيه والتعطيل لأن التحميد يفيد الظهور في المرائي الخلقية والتعظيم عرض سلب التحديد. فهو الظاهر وليس في العالم أظهر منه وليس متلبّسا بلباس التعيّنات الخلقية.

الفصل الرابع

عن مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام "لا يركع عبد لله ركوعا على الحقيقة إلا زيّنه الله بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه



وكساه كسوة أصفيائه، والركوع أول والسجود ثان فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني، وفي الركوع أدب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فأركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجِلٍ تحت سلطانه خافض له جوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين. وحكي أن الربيع بن خيثم كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركعة واحدة فإذا هو أصبح رفع "يزفر "وقال آه سبق المخلصون وقطع بنا، واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط على همتك في القيام بخدمته إلا بعونه وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان و خدائعه ومكائده فإن الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم".

وفي هذا الحديث الشريف إشارات وبشارات وآداب ووظائف، كما أن التزين بنور بهاء الله والتظلل بظل كبرياء الله والتكسي بكسوة أصفياء الله بشارات الوصول إلى مقام التعلم الأسمائي: وعلّم آدم الأسماء كلها.. والتحقق بمقام الفناء الصفاتي وحصول حالة الصحو من ذلك المقام لأن تزيين الحق تعالى العبد بمقام نور البهاء هو تحقيق الله العبد بمقام الأسماء الذي هو حقيقة التعليم الآدمي. وإظلاله في ظلّ الكبرياء وهو من الأسماء القهرية وتمكين الله العبد في فنائها إفناء العبد عن نفسه؛ وبعد هذا المقام إكساؤه بكسوة الأصفياء إبقاؤه بعد الإفناء. ومن هنا يعلم أن السجود فناء ذاتي كما قال أهل المعرفة لأن الركوع أول وهو هذه المقامات، والسجود ثان فليس هو إلا مقام الفناء في الذات.

ويعلم أيضا أن القرب المطلق الذي يحصل في السجود لا يتيسّر إلا بحصول الركوع على الحقيقة، ومن أراد أن يصلح للثاني لا بد أن ينال القرب الركوعي وأدب الركوع.

ثم أنه عليه السلام بعد بيان لطائف الركوع والسجود وسرائرهما أشار



إلى آدابه القلبية للمتوسطين وهي أمور بعضها من الأمور العامة ذكرناها في المقدمات وبعضها خاص بالركوع. وحيث أنّا بيّنّا أكثر هذه الأمور أغمضنا النظر عن تفصيلها.

الفصل الخامس
في رفع الرأس من الركوع

وسرّه الرجوع عن الوقوف في الكثرات الأسمائية، كما قال عليه السلام: "**وكمال التوحيد نفي الصفات عنه**" لأن العبد السالك بعدما حصلت له حالة الصحو من الفناء الأسمائي يشاهد قصوره وتقصيره وذلك لأن مبدأ الخطيئة الآدمية التي على ذرّيته أن تكفّر عنها هو التوجه إلى الكثرات الأسمائية التي هي باطن الشجرة فإذا عرف العبد، وهو من الذرية، خطيئته وعرف خطيئة آدم وهو الأصل فيدرك مقام تذلله ونقصانه ويتهيأ لرفع الخطيئة الذي يحصل بخفض الجناح في حضرة الكبرياء ويقيم صلبه من هذا المقام ويرفع الكثرات الأسمائية بعد الركوع بالتكبير ويتوجّه إلى منزل الذلّة والمسكنة وأصل الترابية صفر اليد. وآدابه المهمّة هي ادراك عظم خطر المقام وإذاقته القلب بالتذكر التام، والمجاهدة في التوجّه إلى حضرة الذات وترك التوجّه إلى النفس حتى إلى مقام ذلّة نفسه.

واعلم أيها العزيز أن التذكر التام لحضرة الحق والتوجّه المطلق بباطن القلب إلى تلك الذات المقدسة موجب لفتح العين الباطنية للقلب الذي به يحصل لقاء الله وهو قرّة عين الأولياء ﴿ الذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ﴾.





الباب السادس

في الإشارة الإجمالية إلى أسرار السجود وآدابه

وفيه عدة فصول





الفصل الأول

في سرّه الإجمالي

وهو عند أصحاب العرفان وأرباب القلوب ترك النفس وغمض العين عمّا سوى؛ والتحقق بالمعراج اليونسي الذي حصل بالغوص في بطن الحوت بالتوجّه إلى أصله بلا رؤية الحجاب، وفي وضع الرأس على التراب إشارة إلى رؤية جمال الجميل في باطن قلب التراب وأصل عالم الطبيعة.

وآدابه القلبية عرفان حقيقة النفس وأصل جذر وجوده ووضع أم الدماغ وهي مركز سلطان النفس وعرش الروح على أدنى عتبة مقام القدس ورؤية عالم التراب عتبة لمالك الملوك.

فسرّ الوضع السجودي غمض العين عن النفس وأدب وضع الرأس على التراب إسقاط أعلى مقامات نفسه من العين ورؤيتها أقل من التراب واذا كان في القلب شائبة في هذه الدعاوى التي تكون الأوضاع الصلاتية اشارة اليها فهو نفاق عند أرباب المعرفة، وحيث أن خطر هذا المقام أعظم الأخطار فيلزم للسالك إلى الله أن يتمسّك بذيل عناية الحق جلّ وعلا بجبلته الذاتية وفطرته القلبية ويسأله العفو عن التقصيرات بالذلّة و المسكنة لأن هذا المقام مقام خطير خارج عن عهدة أمثالنا.

وحيث ذكرنا هذه المقامات في رسالة سر الصلاة بالتفصيل فنكفّ عنه هنا، ونكتفي في آدابه بالرواية الشريفة من مصباح الشريعة.





الفصل الثاني

آداب السجود عند الصادق عليه السلام

عن مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: "**ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبيها بمخادع نفسه غافلا لاهيا عمّا أعده الله للساجدين من أنس العاجل وراحة الأجل. ولا بعد عن الله أبدا من أحسن تقرّبه في السجود ولا قرب إليه أبدا من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله تعالى ذليل علم أنه خلق من تراب يطؤه الخلق وأنه اتخذك (ركب) من نطفة يستقذرها كل أحد وكوّن ولم يكن وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسرّ والروح فمن قرب منه بعد من غيره، ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون، كذلك أمر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلاته بشيء دون الله تعالى فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته، قال عز وجل: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: لا أطلّع على قلب عبد فاعلم فيه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين**".

ففي هذا الحديث الشريف قد جمع عليه السلام بين الأسرار والآداب،



والتفكر فيه يفتح للسالك إلى الله طرقا من المعرفة ويقصم إباء المنكرين وجحودهم ويؤيد ويشيد أولياء العرفان وأصحاب الإيقان ويقرع السمع بحقيقة الأنس والخلوة مع الحق وترك غير الحق.

الفصل الثالث

في الحديث أنه لما نزلت فسبّح باسم ربّك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت: سبّح اسم ربك الأعلى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجعلوها في سجودكم.

وفي الحديث الشريف في الكافي: فأول ما اختار لنفسه العلّي العظيم "الحديث". ولعل العلّي هو الأول من الأسماء الذاتية، والعظيم الأول في الأسماء الصفاتية.

واعلم أن في السجود كسائر الأوضاع الصلاتية هيئة وحالة وذكراً وسرّاً. وهذه الأمور للكمّل على نحو قد بيّنت في هذه الرسالة إشارةً وأما بيانها تفصيلا فغير مناسب. وأما للمتوسطين فهيئته إراءة المتربة وترك الاستكبار والعجب وإرغام الأنف وهو من المستحبات المؤكدة بل تركه خلاف الاحتياط إظهارا لكمال التخضع والتذلل والتواضع، وأيضا هو التوجّه إلى أصله والتذكر لنشأته. ووضع رؤساء الأعضاء الظاهرة التي هي محال الادراك وظهور التحريك والقدرة وهي الأعضاء السبعة أو الثمانية على أرض الذلّة والمسكنة علامة التسليم التام وتقديم جميع قواه والخروج من الخطيئة الآدمية.

فإذا قوي تذكر هذه المعاني في القلب ينفعل القلب بها تدريجا وتحصل له حالة هي حالة الفرار من النفس وترك رؤية النفس، ونتيجة هذه الحالة حصول حالة الأنس، وتعقبها الخلوة التامة وانبعاث المحبة الكلية.



وأما ذكر السجدة فمتقوّم بالتسبيح وهو التنزيه عن التوصيف وعن القيام بالأمر أو التنزيه عن التكثير الأسمائي أو التنزيه عن التوحيد لأن التوحيد تفعيل وهو الذهاب من الكثرة إلى الوحدة وهذا لا يخلو من شائبة التكثير والتشريك كما أن التوصيف بالعلو الذاتي والتحميد أيضا لا يخلو من شائبة هذه المعاني.

والعلّي من الأسماء الذاتية وبحسب رواية الكافي هو أول اسم هو أول اسم اتخذه الله لنفسه أي هو أول تجلٍ للذات للذات، والعبد السالك إذا فني عن نفسه في هذا المقام وترك العالم وما فيه فينال فخر هذا التجلي الذاتي.

واعلم أن الركوع حيث إنه أول والسجود ثان فيفترق التسبيح والتحميد فيهما بفروق. وأيضا يفرق الرب في المقامين لأن الرب كما قال أهل المعرفة من الأسماء الذاتية و الصفاتية والأفعالية بالإعتبارات الثلاثة.

فبناء على ذلك فالرب في الحمد لله رب العالمين لعله من الأسماء الفعلية بمناسبة مقام القيام وهو مقام التوحيد الأفعالي وفي الركوع من الأسماء الصفاتية بمناسبة أن الركوع مقام توحيد الصفات وفي السجود من الأسماء الذاتية من حيث أن السجود مقام توحيد الذات. والتسبيح والتحميد الواقعان في كل مقام يرتبطان بذلك المقام.

الفصل الرابع

سجدة الغشي والصعق كما في حديث المعراج نتيجة مشاهدة أنوار عظمة الحق. فإذا صار العبد مغشيا عن نفسه وحصلت له حالة المحو والصعق فتشمله العناية الأزلية ويلهم بالإلهام الغيبي.

وذكر السجود وتكراره لحصول حالة الصحو والإفاقة، فإذا أفاق

تشتعل في قلبه نار الشوق لمشاهدة نور الحق ويرفع الرأس عن السجدة فإذا رأى في نفسه بقايا من الأنانية فيشير باليد إلى رفضها فيتجلى له نور العظمة ثانيا ويحرق بقية الأنانية ويفنى من الفناء وتحصل له حالة المحو الكلي المطلق والصعق التام الحقيقي وهو يكبّر فالمساعدة الغيبية بإلهام الأذكار تمكنه في المقام وتعرض له حالة الصحو في هذا المقام وهو صحو مقام الولاية ومنزه عن كل احتجاب وشائبة خلقية وتحصل حالة التشهد والسلام وهما من أحكام الكثرة، وعند الوصول إلى هنا تتم دائرة السير الإنساني وتكتمل.



الباب السابع

في الإشارة الإجمالية إلى آداب التشهُّد

وفيه فصلان





الفصل الأول

اعلم أن الشهادة بالوحدانية والرسالة ـ في الأذان والإقامة وهما من متعلقات الصلاة ومهيّئات الورود فيها، وفي التشهد وهو الخروج من الفناء إلى البقاء ومن الوحدة إلى الكثرة وفي آخر الصلاة ـ تذكّر العبد السالك أن حقيقة الصلاة حصول التوحيد الحقيقي؛ والشهادة بالوحدانية من مقاماتها الشاملة التي تكون مع السالك من أول الصلاة إلى آخرها. وفيها أيضا سرّ أولية الحق جل وعلا و آخريته، و فيها أيضا سرّ عظيم وهو أن سفر السالك من الله وإلى الله: كما بدأكم تعودون.. فللسالك أن يتوجّه في جميع المقامات إلى هذا المقصد ويوصل إلى القلب حقيقة وحدانية الحق وألوهيته ويجعل القلب إلهيا في هذا السفر المعراجي لتكون شهادته حقيقية وتتنزّه من النفاق والشرك.

وفي الشهادة بالرسالة أيضا لعلها إشارة إلى أن مساعدة الوليّ المطلق والنبي الخاتم في هذا المعراج السلوكي من المقامات الشاملة التي لا بدّ للسالك أن يتوجه إليها في جميع المقامات ويتضح سرّ الأولية والآخرية الذي هو من مقامات الولاية لأهلها.

وليعلم أن ثمة فرقا بين الشهادة في أول الصلاة والشهادة في التشهّد، لأن الشهادة في أولها شهادة قبل السلوك وهي شهادة تعبدية أو تعقلية وفي آخرها بعد الرجوع وهي شهادة تحققية أو تمكنيّة. فللشهادة في التشهد خطر عظيم لأن فيها دعوى التحقق والتمكن ودعوى الرجوع إلى الكثرة بلا احتجاب وحيث أن هذا المقام الشامخ غير حاصل لأمثالنا بل ليس من المتوقع أيضا ونحن في هذه الحال، فالأدب في حضرة الباري أن ننظر



إلى قصورنا وذلّتنا ونقصنا وعجزنا ومسكنتنا ونتوجّه إلى جنابه المقدس بحالة من الحياء ونقول: إلهنا ليس لنا من مقامات الأولياء و مدارج الأصفياء وكمال المخلصين وسلوك السالكين حظ سوى ألفاظ معدودة، واقتنعنا من جميع المقامات بالقيل والقال الذي لا تحصل منه كيفية ولا حال، إلهنا إن حب الدنيا و تعلقاتها حجبنا عن حضرة قدسك ومحفل أنسك اللهم إلا أن تدركنا نحن الهالكين بلطفك الخفيّ وتجبر ما سبق منا فلعلنا نستيقظ من نوم الغفلة ونجد طريقا إلى محضر القدس.

الفصل الثاني

عن مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: "**التشهّد ثناء على الله فكن عبدا له في السرّ خاضعا له في الفعل كما أنك عبد له بالقول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرك فإنه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وأن تحقق عبودتك له بربوبيته لك وتعلم أن نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظ إلا بقدرته ومشيئته وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء في مملكته إلا بإذنه وإرادته. قال الله عز وجل: وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم سبحان الله وتعالى عمّا يشركون فكن عبداً شاكراً بالفعل كما أنك عبد ذاكر بالقول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرّك فإنه خلقك فعز وجل أن تكون إرادة ومشيئة لأحد إلا بسابق إرادته ومشيئته فاستعمل العبودية في الرضا بحكمه وبالعبادة في أداء أوامره وقد أمر بالصلاة على نبيه (حبيبه) صلى الله عليه وآله فأوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم فائدة صلاته وأمره**



بالاستغفار لك والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب وتعلم جليل مرتبته عند الله عز وجل".

وفي هذا الحديث الشريف إشارات إلى الآداب القلبية للعبادات وحقائقها وأسرارها حيث يقول: التشهّد ثناء على الحق جل وعلا بل قد أشرنا سابقا أيضا أن مطلق العبادات ثناء على الحق إما باسم أو بأسماء أو بتجل من التجليات وإما بأصل الهوية.

ويشير عليه السلام إلى عمدة الآداب وهي انه كما أنك تعبد الله في الظاهر وتدّعي العبودية فاعبده في السر أيضا حتى تسري العبودية السريّة القلبية إلى الأعمال الجوارحية أيضا ويكون العمل والقول نقشا على الباطن والسر وتسري حقيقة العبودية إلى جميع أجزاء الوجود الظاهري منها والباطني، ويحظى كل من الأعضاء بحظّ من التوحيد ويوصل اللسان الذاكر الذكر إلى القلب وينقل القلب الموحّد المخلص التوحيدَ والإخلاصَ إلى اللسان ويطلب العبد الربوبية من حقيقة العبودية ويخرج من عبادة النفس ويوصل ألوهية الحق إلى القلب وليعلم أن ناصية العباد بيد الحق تعالى ولا يقدرون على التنفس والنظر إلا بقدرة الحق تعالى ومشيئته وهم عاجزون عن التصرف في مملكة الحق بجميع أنواع التصرفات وإن كان تصرفا تافها إلا بإذن وإرادة ذاته المقدسة كما قال تعالى: ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون** ﴾. فإذا أوصلت هذه اللطيفة إلى القلب يكون شكرك للحق على الحقيقة ويسري الشكر إلى أعضائك وأعمالك، فكما أن اللسان والقلب لا بد أن يكونا مترافقين في طريق العبودية، ففي هذا التوحيد الفعلي أيضا لا بدّ أن يكون صدق اللسان موصولا بصفاء سرّ القلب لأن الحق جل وعلا هو الخالق ولا مؤثر غيره. وجميع الإرادات والمشيئات ظلّ إرادته ومشيئته الأزلية السابقة.



ثم أن العبد بعد آداب الشهادة بوحدانية الحق وألوهيته يتوجّه إلى المقام المقدس للعبد المطلق والرسول الخاتم. وعليه أن ينتبه إلى تقدّم مقام العبودية على الرسالة لإن قدم العبودية مقدمة لجميع مقامات السالكين.. والرسالة شعبة من العبودية، وبما أن الرسول الخاتم عبد حقيقي فانٍ في الحق فإطاعته إطاعة الحق والشهادة بالرسالة موصولة بالشهادة بالوحدانية، والعبد السالك لا بد أن يراقب نفسه ألا يقصّر في طاعة الرسول التي هي طاعة الله لئلا يحرم من بركات العبادة وهي الوصول إلى جناب القدس ومحل الأنس بمساعدة الوليِ المطلق، وليعلم ان لن يطأ المحفل المقدس ومقر الأنس بدون إعانة ولي النعم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.



الباب الثامن

في آداب السلام
وفيه فصلان





الفصل الأول

اعلم أن العبد السالك إذا رجع عن مقام السجود الذي يكون الفناء سره، وحصلت له حالة الصحو والانتباه ورجع من حالة الغيبة عن الخلق إلى حال الحضور فيسلم على الموجودات سلام من رجع من السفر والغيبة. ففي ابتداء الرجوع من السفر يسلم على النبي الأكرم لأنه بعد الرجوع من الوحدة إلى الكثرة، فأول حقيقة هي تجلي حقيقة الولاية "نحن الأولون السابقون" ثم يتوجّه إلى أعيان سائر الموجودات بطريق التفصيل والجمع.

ومن لم يكن في صلاته غائبا عن الخلق ولم يسافر إلى الله فالسلام بالنسبة إليه بلا حقيقة وليس إلا لقلقة لسان فالأدب القلبي للسلام مرتبط بالأدب في جميع الصلاة وإذا لم يحصل له في هذه الصلاة التي هي حقيقة المعراج عروج ولم يخرج من بيت النفس فلا سلام له، وأيضا إذا حصلت له السلامة من تصرفات الشيطان وتصرفات النفس الأمّارة في هذا السفر ولم يكن القلب عليلا طوال هذا المعراج الحقيقي فسلامه حقيقي وإلا فلا سلام له. نعم السلام على النبي صلى الله عليه وآله بناء على ذلك سلام حقيقي لأنه صلى الله عليه وآله في هذا السفر المعراجي وفي هذا السير إلى الله صعودا ونزولا متصف بالسلامة وفي جميع السير خال وبريء من تصرفات غير الحق كما أشرنا إليه في السورة المباركة ﴿إنّا أنزلناه﴾.

الفصل الثاني

عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام "معنى السلام في دبر كل صلاة الأمان أي من أدّى أمر الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله



خاشعا منه قلبه فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الأخرة والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم، وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فلتتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تدنسها بظلمة المعاصي ولتسلم حفظتك من ألا تبرمهم (تبرُمهم: تضجرهم.) ولا تملّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوك فإن من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا تسليم (سلّم) وكان كاذبا في سلامه وإن أفشاه في الخلق".

يقول عليه السلام: معنى السلام عقيب الصلاة هو الأمان بمعنى أن من أدّى الأوامر الإلهية والسنن النبوية بالخشوع القلبي فيأمن من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، أي يأمن من التصرفات الشيطانية في الدنيا لأن أداء الأوامر الإلهية بالخشوع القلبي موجب لقطع تصرف الشيطان: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.. ثم يشير عليه السلام إلى سرّ من أسرار السلام ويقول: السلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه الموجودات وهذه إشارة إلى مظهرية الموجودات للأسماء الإلهية ولا بد للعبد السالك أن يظهر هذه اللطيفة الإلهية التي أودعت واختفت في باطن ذاته وخميرته ويستعملها في جميع المعاملات والمعاشرات والأمانات والإرتباطات ويشير بها إلى مملكة باطنه وظاهره ويستعملها في المعاملات مع الحق ودين الحق تعالى لئلا يخون الوديعة الإلهية فتسري حقيقة السلام إلى جميع قواه الملكية والملكوتية وفي جميع عاداته وعقائده وأخلاقه وأعماله لتسلم نفسه من جميع التصرفات، وعرّف عليه السلام التقوى طريقا لتحصيل هذه السلامة.

وليعلم أن للتقوى مراتب ومنازل، فتقوى الظاهر هي حفظ الظاهر من



القذارات وظلمة المعاصي القالبية وهذه هي تقوى العامة.. وتقوى الباطن هي حفظه وتطهيره عن الإفراط والتفريط وعن التجاوز عن حد الاعتدال في الأخلاق والغرائز الروحية وهذه تقوى الخاصة. وتقوى العقل حفظه وتطهيره عن استعماله في العلوم غير الإلهية، والمراد من العلوم الإلهية ما يكون مرتبطا بالشرائع والأديان الإلهية وجميع العلوم الطبيعية وغيرها من أجل معرفة مظاهر الحق تكون إلهية وإن لم تكن لأجل ذلك فليست كذلك وإن كانت من مباحث المبدأ والمعاد وهذه تقوى أخصّ الخواص، وتقوى القلب حفظه عن مشاهدة وذكر غير الحق وهذه تقوى الأولياء..

والمقصود من الحديث الشريف الذي يقول الحق تعالى فيه "أنا جليس من جالسني" هذه هي الخلوة القلبية. وهذه الخلوة هي أفضل الخلوات، والخلوات الأخر مقدمة لحصول هذه الخلوة. فمن اتصف بجميع مراتب التقوى يسلم دينه وعقله وروحه وقلبه وجميع قواه الظاهرة والباطنة وتسلم حفظته الموكلة به ولا تمل ولا تضجر ولا تستوحش منه، ومن كان بهذه الصفة تكون معاملاته ومعاشرته مع صديقه وعدوه بطريق السلامة بل ينقطع جذر العداوة من باطن قلبه وإن كان الناس يعادونه، ومن لم يكن سالما في جميع المراتب فهو محروم من فيض السلام بمقدار عدم سلامته وقريب من أفق النفاق بمقدار ذلك نعوذ بالله منه والسلام.



خاتمة الكتاب

في آداب بعض الأمور الداخلة
والخارجة للصلاة
وفيه عدة فصول





الفصل الأول

في التسبيحات الأربعة التي تقرأ في الركعة الثالثة والرابعة من الصلاة وأسرارها وآدابها القلبية بالمقدار المناسب وهي متقومة بأركان أربعة

الركن الأول: في التسبيح

التسبيح هو التنزيه عن التوصيف بالتحميد والتهليل. وهو من المقامات الشاملة، والعبد السالك لا بد أن يتوجّه إليه في جميع العبادات ويحفظ قلبه عن دعوى التوصيف والثناء على الحق ولا يظنن أن في إمكان العبد القيام بحق العبودية فضلا عن القيام بحق الربوبية الذي انقطعت عنه أعين آمال كمّل الأولياء وتقاصرت عن ذيله أيدي الأعاظم من أصحاب المعرفة (عنقا شكاركس نشود دام بازكير) فلهذه الجهة قالوا إن كمال المعرفة لأهل المعارف عرفان عجزهم. نعم حيث أن الرحمة الواسعة للحق جل وعلا شاملة لنا نحن العباد الضعاف فرخّص لنا نحن المساكين بالدخول إلى جناب خدمته بسعة رحمته. وتفضل بإجازة الورود في مثل هذا المقام المقدّس المنزّه الذي انقصمت ظهور الكروبيين عن الدنّو منه. وهذا من أعظم تفضلات وأيادي الذات المقدسة لولي النعمة على عباده يعرف قدره أهل المعرفة والأولياء الكمّل وأهل الله على قدر معرفتهم وأمّا نحن المحجوبون المتأخرون عن كل مقام ومنزلة والمحرومون البعيدون عن كل كمال ومعرفة فعنه غافلون كليّا. والأوامر الإلهيـة ـ وهي في الحقيقة أفضل النعم العظيمة غير المتناهية نحسبها من التكلف والكلفة ونقوم بها بالضجر والكسالة. ومن هذه الجهة حرمنا وحجبنا عن نورانيتها بالكلية.



وليعلم أن التحميد والتهليل حيث إنهما متضمنان للتوحيد الفعلي وفيهما شائبة التحديد والتنقيص بل شائبة التشبيه والتخليط فيلزم العبد السالك أن يجعل نفسه في حصن التسبيح والتنزيه الحصين ليتهيأ للورود فيه ويفهّم باطن قلبه أن الحق جلّت عظمته منزّه عن التعينات الخلقية والتلبس بملابس الكثرات كي يتنزّه وروده في التحميد عن شائبة التكثير.

الركن الثاني: التحميد

وهو مقام التوحيد الفعلي الذي يناسب حال القيام ويناسب القراءة أيضا. فلهذا كانت هذه التسبيحات في الركعتين الأخيرتين قائمة مقام الحمد والمصلي مختار أن يقرأ الحمد مكانها. ونستفيد التوحيد الفعلي كما ذكرنا في الحمد من حصر الحمد بالحق تعالى، وتقصر يد العبد عن المحامد بالكلية ونوصل إلى سامعة القلب: هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ونذيق ذائقة الروح حقيقة ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ ونضع رؤية النفس وحبها تحت قدمي السلوك كي نصل إلى مقام التحميد ونخلص القلب من مشقة تحمل ثقل منّة الخلق.

الركن الثالث: التهليل وله مقامات أحدها، مقام نفي الألوهية الفعلية وهو عبارة أخرى عن لا مؤثر في الوجود إلا الله، وهذا يؤكد حصر التحميد بل يوجب الحصر ويسببه، لأن مراتب الوجود الإمكانية ظلّ حقيقة وجود الحق جلت قدرته وربط محض وليس لشيء منها بوجه من الاستقلال والقيام بنفسه فلهذا لا يصح أن ينسب التأثير الإيجادي إليها بوجه لأن اللازم في التأثير الاستقلال في الإيجاد والاستقلال في الإيجاد مستلزم الاستقلال في الوجود، وبعبارة أهل الذوق حقيقة الوجودات الظلّية ظهور قدرة الحق في المرائي الخلقيّة. ومعنى لا إله إلا الله مشاهدة فاعلية الحق وقدرته في الخلق ونفي التعينات الخلقيّة وإفناء مقام فاعلية الخلق وتأثيرهم في الحق.



ومن مقامات التهليل نفي المعبود غير الحق ولا إله إلا الله أي لا معبود سوى الله. وبناء على هذا مقام التهليل نتيجة لمقام التحميد لأنه إذا انحصرت المحمدة في ذات الحق المقدسة فالعبودية أيضا تنزل حِملها في ذلك المقام المقدس وتنتفي جميع عبوديات الخلق للخلق وكلها لرؤية المحمدة فكأن السالك يقول لأن جميع المحامد منحصرة بالحق فالعبودية تنحصر به أيضا وهو المعبود وتتحطم الأصنام بأجمعها.. وللتهليل مقامات أخر لا تناسب هذا المقام.

الركن الرابع: التكبير

وهو أيضا التكبير عن التوصيف، فكأن العبد في بدء وروده في التحميد والتهليل ينزّه الله عن التوصيف وبعد الفراغ منه أيضا ينزهّه ويكبّره عنه حتى يكون تحميده وتهليله محفوفا بالاعتراف بالتقصير والتذلل، ولعل التكبير في هذا المقام هو التكبير عن التحميد والتهليل لأن فيه شائبة الكثرة كما ذكر. ولعل في التسبيح تنزيها عن التكبير، وفي التكبير تكبيرا عن التنزيه لتسقط دعاوى العبد تماما ويتمكن في التوحيد الفعلي ويصبح مقام القيام بالحق ملكة في قلبه ويخرج عن التلوين وتحصل له حالة التمكين. والعبد السالك لا بد أن يحصّل في قلبه من هذه الأذكار الشريفة التي هي روح المعارف حالة التبتّل والتضرّع والانقطاع والتذلّل ويعطى لباطن القلب صورة الذكر بكثرة المداومة، ويمكّن في باطن القلب حقيقة الذكر حتى يكون القلب متلبّسا بلباس الذكر وينزع عن نفسه لباسه وهو لباس البعد. فيصير القلب إلهيا حقانيا وتتحقق فيه حقيقة وروح هذه الآية: ﴿أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ وروحـها.





الفصل الثاني

في الآداب القلبية للقنوت

اعلم أن القنوت من المستحبات المؤكدة التي لا ينبغي تركها بل الأحوط الإتيان به لأن بعض الأصحاب قال بوجوبه، وظاهر بعض الروايات أيضا الوجوب وإن كان الأقوى في الصناعة الفقهية عدم الوجوب كما هو مشهور بين العلماء الأعلام وهو على هذه الكيفية الخاصة المتعارفة بين الإمامية رضوان الله عليهم بمعنى أنه متقوم برفع اليد حذاء الوجه وبسط باطن الكفين نحو السماء والدعاء بالمأثور أو غير المأثور ويجوز الدعاء بكل لسان عربيا كان أم غير عربي والعربي أحوط وأفضل وقال الفقهاء أفضل الأدعية فيه دعاء الفرج، ولم ير الكاتب دليلا فقهيا معتدا به للأفضلية ولكن مضمون الدعاء دالّ على أفضليته التامة لأنه مشتمل على التهليل والتسبيح والتحميد وهي روح التوحيد كما بيّنا. وهو مشتمل أيضا على الأسماء الإلهية العظمى كالله والحليم والكريم والعليّ والعظيم والرب، وهو أيضا مشتمل على ذكر الركوع والسجود وهو مشتمل أيضا على أسماء الذات والصفات والأفعال، وهو مشتمل أيضا على مراتب تجليات الحق جل وعلا، وهو مشتمل أيضا على السلام على المرسلين، وإن كان الأحوط تركه ولكن الأقوى جوازه، وهو مشتمل أيضا على الصلاة على النبي وآله عليهم السلام. فكأن هذا الدعاء باختصاره مشتملا على جميع الوظائف الذكرية للصلاة، ويمكن اثبات أفضليته بقول الفقهاء رضوان الله عليهم، إما بالتسامح في أدلّة السنن، وإن كان للكاتب فيه تأمّل وأمّا بالكشف عن



دليل معتبر لم يصلنا كما هو مبنى الإجماع في نظر المتأخرين.

ومن الأدعية الشريفة التي لها فضل عظيم وهو مشتمل أيضا على آداب مناجاة العبد الحق. ومشتمل على تعداد العطايا الكاملة الإلهية الذي يناسب حال القنوت وهو حال المناجاة والانقطاع إلى الحق مناسبة تامة وبعض المشايخ العظام رحمه الله كان مواظبا ومداوما عليه تقريبا، وهو دعاء "يا من أظهر الجميل". وهو من كنوز العرش وتحفة الحق تعالى لرسول الله ولكل من فقراته فضائل وثواب كثير كما في توحيد الشيخ الصدوق رحمه الله.

والأفضل للعبد السالك في أدب العبودية أن يراعي في حال القنوت وهو حال المناجاة والانقطاع إلى الحق في خصوص الصلاة التي كلها إظهار العبودية والثناء وفي هذه الحالة فإن ذات الحق المقدسة جل وعلا فتح باب المناجاة والدعاء على العبد خاصة، وشرّفه بهذا التشريف، أدبَ المقام الربوبي المقدس، ويراقب أدعيته لتكون مشتملة على تسبيح الحق تعالى وتنزيهه، ومتضمنة لذكر الحق وتذكّره ويكون ما يطلبه من الحق تعالى في هذه الحالة الشريفة من سنخ المعارف الإلهية وفتح باب المناجاة والأنس والخلوة والانقطاع إليه ويحترز عن طلب الدنيا والأمور الحيوانية الخسيسة والشهوات النفسانية لكي لا يعتريه الخجل في محضر الأطهار فيصبح بلا حرمة ووقار في محضر الأبرار.

أيها العزيز.. إن القنوت هو غسل اليد من غير الحق والإقبال التام على عزّ الربوبية ومدّ اليد الخالية وسؤال الغني المطلق وفي هذه الحالة من الانقطاع فإن الكلام عن البطن والفرج وذكر الدنيا منتهى النقصان وتمام الخسران.

أيا روحي.. حيث إنك الآن بعدت عن وطنك وهجرت مجاورة الأحرار وابتليت بهذه الدار المظلمة ذات التعب والمحن الكثيرة فلا تنسج حول نفسك كدود القزّ.



أيا عزيزي.. إن الله الرحمن قد خمّر فطرتك بنور المعرفة ونار العشق، وأيّدها بأنوار كالأنبياء وعشاق كالأولياء، فلا تطفئ هذه النار بتراب الدنيا الدنيّة ورمادها، ولا تكدّر ذاك النور بكدورة التوجّه إلى الدنيا وظلمتها وهي دار الغربة، فإنك إذا توجّهت إلى الوطن الأصلي وطلبت الانقطاع إلى الحق من الحق وعرضت عليه حالة هجرانك وحرمانك بقلب موجع وأظهرت حال مسكنتك واضطرارك وابتلائك، فيدركك الإمداد الغيبي وتنال المساعدة الباطنية وتجبر النقائص إذ من عادته الإحسان ومن شيمته التفضلّ، وإذا قرأت في القنوت من فقرات المناجاة الشعبانية لإمام المتقين وأمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام وهم أئمة المعارف والحقائق وخصوصا قوله عليه السلام: **"إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك.."** إلى آخره.. ولكن تقرؤه بحال الاضطرار والتبتّل والتضرّع، لا بقلب ميّت كقلب الكاتب فهو أنسب كثيرا لهذه الحال.

وبالجملة، مقام القنوت في نظر الكاتب كمقام السجود، فذاك توجّه وإقبال على ذلّ العبودية وتذكّر مقام عزّ الربوبية، وهذا إقبال على عز الربوبية وتذكّر عجز العبودية وذلّها وهذا بحسب مقام المتوسطين، وأمّا بحسب مقام الكمّل فكما أن السجود مقام فناء العبد وترك الغير والغيرية، فالقنوت مقام الانقطاع إلى الحق وترك الاعتماد على الغير وهو روح مقام التوكل.

وبالجملة، حيث إن القيام مقام التوحيد الإفعالي وهذا التوحيد يتمكن في الركعة الثانية ففي القنوت تظهر نتيجته فيقدم العبد كشكول التسول إلى الحق وينقطع عن الخلق ويفرّ منهم.



الفصل الثالث

في التعقيب

وهو من المستحبات المؤكدة ويكره تركه أيضا، ويتأكد استحبابه في الصبح والعصر، والتعقيبات المأثورة كثيرة: منها التكبيرات الثلاثة الاختتامية والمشايخ العظام يواظبون بأن يرفعوا أيديهم في كل تكبيرة منها إلى حذاء الأذن ويبسطون باطن كفهم حذاء القبلة كالتكبيرات الافتتاحية، واثباتها مشكل، وإن أمكن استفادة رفع اليد ثلاث مرات من بعض الروايات ولعله يكفي رفع اليد والتكبير ثلاثا وقراءة دعاء "لا إله إلا الله وحده" إلى أخره..

وإذا كان رفع اليد مستحبا كما يواظب عليه المشايخ فهو تمكين للأسرار التي ذكرناها.

ولعله إشارة إلى طرد صلاته وعباداته لئلا يتطرق العجب ورؤية النفس إلى قلبه. والتكبيرات الثلاثة لعلها إشارة إلى التكبير عن التوحيدات الثلاثة التي هي مقومة روح كل الصلاة، فالأدب القلبي لهذه التكبيرات هو أن يطرد المصلي في كل رفع لليدين توحيدا من التوحيدات الثلاثة ويكبر وينزه الحق جل وعلا عن توصيفات نفسه وتوحيداته ويعرض عجزه وذلّته وقصوره وتقصيره في المحضر المقدّس للحق جل وعلا، ونحن ذكرنا في رسالة سرّ الصلاة الأسرار الروحية لهذه التكبيرات، وذكرنا رفع اليد على نحو لطيف في تلك الرسالة وهو من ألطاف الحق تعالى لهذا المسكين وله الشكر والحمد.

ومن جملة التعقيبات الشريفة، تسبيحات الصديقة الطاهرة سلام الله



عليها التي علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله لتلك المعظمة وهي أفضل التعقيبات. وفي الحديث **"أنه لو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله فاطمة عليها السلام"**.

وعن أبي خالد القماط قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **"تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يوم في دبر كل صلاة أحب إلي من صلاة ألف ركعة في كل يوم"**.

والمعروف عند الأصحاب في ترتيبها التكبير أربعا وثلاثين مرة والتحميد ثلاثا وثلاثين مرة والتسبيح ثلاثا وثلاثين مرة، ولا يبعد أن يكون هذا الترتيب أفضل لا المتعين، بل الإنسان مخير في التأخير والتقديم في التحميد والتسبيح، بل لعله مخير في تأخير التكبير وتقديم التسبيح أيضا، ولكن الأفضل والأحوط هو الترتيب المشهور، وآدابها القلبية هي التي ذكرت في التسبيحات الأربعة والزائد عليها أن هذه الأذكار حيث أنها وردت بعد الصلاة والتسبيح فيها هو التكبير والتنزيه عن القيام بحق العبودية، وفي التكبير أيضا تنزيه وتكبير عن اللياقة للعبادة لمحضر قدسه، وأيضا تنزيه وتكبير عن المعرفة وهي غاية العبادة، فعلى العبد السالك أن يتفكر في تعقيب الصلاة في نقصه وعبادته وغفلاته في حال الحضور وهي بنفسها ذنب في مذهب العشق والمحبة ويتوجه إلى حرمانه من حظوظ الحضور والمحضر المقدس للحق جل جلاله ويجبره بالمقدار الميسور في التعقيبات التي هي فتح باب آخر الرحمة من الحق تبارك وتعالى، ويوصل هذه الأذكار الشريفة إلى القلب ويحيي بها قلبه فلعله تختم خاتمته بالحسن والسعادة.

وفي تحميد تسبيحات الصديقة عليها الصلاة والسلام يثبت هذه المحمدة - وهي القيام بالعبودية - للهوية الإلهية أيضا ويراها ويعدّها من توفيق وتأييد الذات المقدسة وحولها وقوّتها ويوصل حقائق هذه الأمور إلى سر القلب ويذيق الفؤاد سر هذه اللطائف ليحيي القلوب بذكر الحق



ويجد القلب الحياة الدائمة بالحق، وحيث أن الصبح افتتاح الاشتغال بالكثرات والورود على الدنيا، ويواجه الإنسان مخاطر الاشتغال بالخلق والغفلة عن الحق فيحسن للإنسان السالك اليقظان أن يتوسّل بالحق تعالى في ذلك الوقت الدقيق للورود في هذه الدار المظلمة وينقطع إلى حضرته، فإذا رأى نفسه غير وجيه في ذلك المحضر الشريف فيتوسل بأولياء الأمر وخفراء الزمان وشفعاء الأنس والجان أي الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، ويجعل تلك الذوات الشريفة شفيعا وواسطة، وحيث إن لكل يوم خفيرا ومجيرا فيتعلق يوم السبت بالوجود المبارك لرسول الله صلى الله عليه وآله، ويوم الأحد لأمير المؤمنين عليه السلام ويوم الاثنين للإمامين الهمامين السبطين عليهما السلام، ويوم الثلاثاء للحضرات السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، ويوم الأربعاء للحضرات الكاظم والرضا والتقيّ والنقيّ عليهم السلام، ويوم الخميس للعسكري عليه السلام، ويوم الجمعة لولي الأمر عجّل الله فرجه الشريف، فيناسب أن يتوسل بعد صلاة الصبح للورود في هذا البحر المهلك الظلماني والمصيدة المهيبة الشيطانية بخفراء ذلك اليوم ويسأل الحق تعالى رفع شر الشيطان والنفس الأمارة بالسوء بشفاعتهم فإنهم مقربون لجناب القدس ومحارم خلوة الانس ويجعلهم وسائط في الإتمام وقبول العبادات الناقصة والمناسك غير اللائقة، فالحق تعالى شأنه كما جعل محمدا صلى الله عليه وآله وأهل بيته وسائط الهداية وعيّنهم الهداة لنا ونجّى الأمة ببركاتهم من الضلالة والجهل فيرمّ بشفاعتهم قصورنا ويتمم نقصنا ويقبل إطاعتنا وعباداتنا غير اللائقة إنه ولي الفضل والإنعام.

والتعقيبات المأثورة مذكورة في كتب الأدعية فلينتخب كل ما يناسب حاله ويتم هذا السفر الشريف بالخير والسعادة.



اختتام ودعاء

كان من المناسب أن نتمم هذه الرسالة بذكر الموانع المعنوية للصلاة من قبيل الرياء والعجب وأمثالهما ولكن بما أنّا ذكرنا في كتاب الأربعين في شرح بعض الأحاديث شرحا لهذه الموضوعات.

والآن بسبب كثرة الاشتغال وتشتت القوى الفكرية أعتذر عن هذه الخدمة، فلذا أختم هذه الأوراق مع الاعتراف بالنقص والتقصير وأطلب من أهل النظر الطاهر العفو عن الخطأ وأنا المحتاج إلى دعاء الخير منهم والنفس الكريم لهم.

إلهنا أنت الذي ألبستنا نحن العبيد الضعفاء لباس الوجود بالتفضل والعناية ومحض الرحمة والكرامة من دون أن سبق خدمة وطاعة منا أو حاجة منك إلى عبوديتنا وعبادتنا، وشرّفتنا بأنواع النعم الروحانية والجسمانية وأصناف الرحمات الباطنية والظاهرية من دون أن يتطرق من عدمنا خلل في قدرتك وقوّتك أو أن يزيد بوجودنا شيء على عظمتك وحشمتك، فالآن وقد فار منبع رحمانيتك وتشعشعت عين شمس جمالك الجميل وأغرقتنا في بحار رحمتك ونوّرتنا بأنوار الجمال فاجبر أيضا نقائصنا وخطيئاتنا وذنوبنا وتقصيراتنا بنور التوفيق الباطني، والمساعدة والهداية السرية وأخلص قلوبنا التي كلها تعلّق من التعلقات الدنيوية وزيّنها بالتعلق بعز القدس.

إلهنا إنه لا يحصل من طاعتنا نحن الأقلّين بسط في مملكتك، ولا يعود إليك نفع من عذاب المذنبين وإيلامهم، ولا يحصل من العفو والرحمة للساقطين نقصان في قدرتك فالعين الثابتة للخاطئين طالبة للرحمة وفطرة الناقصين طالبة لتماميتهم، فعاملنا باللطف العميم ولا تنظر إلى سوء استعدادنا..

إلهي إن كنت غير مستأهل لرحمتك فأنت أهل أن تجود علي بفضل



سعتك.. إلهي قد سترت عليّ ذنوباً في الدنيا وأنا أحوج إلى سترها عليّ منك في الآخرة.. إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة.

ها هنا أختتم كلامنا بتقدير الله حامدا شاكرا على نعمائه مصليّا على محمد وآله الطاهرين في تاريخ يوم الاثنين من ربيع الثاني سنة ألف وثلاثمئة وإحدى وستين 1361 هـ. ق.



المعلومات

المحقق الكاشاني: لقب العالم المتألّه محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن القاشاني صاحب التصانيف الشهيرة كالوافي والصافي والشافي وعلم اليقين وعين اليقين وخلاصة الأذكار والمحجة البيضاء في إحياء الأحياء إلى غير ذلك مما يقرب من مئة تصنيف.

المجلسي: هو شيخ الإسلام والمسلمين العلامة المحقق المدقق محمد باقر بن محمد تقي بن المقصود علي المجلسي قدس الله أرواحهم. قال صاحب المستدرك المحدّث العلامة النوري قدس سرّه لم يوفق أحد في الإسلام مثل ما وفّق هذا الشيخ المعظم والبحر الخضم من ترويج المذهب واعلاء كلمة الحق وكسر صولة المبتدعين وقمع زخارف الملحدين واحياء دارس سنن الدين المبين ونشر آثار أئمة المسلمين بطرق عديدة وانحاء مختلفة. من أجلّ تأليفاته وأعظمها موسوعة بحار الأنوار مرقده الشريف ملجأ الخلائق بأصفهان في الباب القبلي من جامعها العتيق الأعظم ومن المجرّبات استجابة الدعوات عند مضجعة المنيف قدّس الله نفسه الزكيّة.

الكليني: هو الشيخ الأجل قدوة الأنام وملاذ المحدثين العظام ومروّج المذهب في غيبة الإمام عليه السلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي الملقب ثقة الإسلام ألّف الكافي الذي هو من أجلّ الكتب الإسلامية وأعظم المصنفات الإمامة. والذي لم يعمل للإمامة مثله. ألّفه في العشرين سنة ومات قدس الله سره ببغداد سنة 329 ودفن بباب الكوفة.

الامام العسكري: هو الإمام الحادي عشر وسبط سيد البشر ووالد الخلف المنتظر السيد الرضيّ الزكي أبو محمد الحسن علي العسكري صلوات الله عليه وعلى آبائه الكرام وخلفه خاتم الأئمة الأعلام. ولد عليه السلام بالمدينة الطيبة يوم العاشر أو الثامن من شهر ربيع الآخر وقيل في رابعة سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، وقبض عليه السلام بِسُرّ من رأى يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة ستين ومئتين (رس) وهو ابن ثمان وعشرين سنة ودفن في داره في البيت الذي دفن فيه أبوه عليه السلام بِسُرّ من رأى.

الامام الباقر: الإمام الخامس ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب باقر علم النبيين،



ولد بالمدينة يوم الاثنين ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة وقيل غرّة رجب ، توفي ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام بالمدينة يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة أربع عشرة ومئة (قيد) وله سبع وخمسون سنة ودفن في البقيع.

السيد ابن طاووس: ابن طاووس يطلق غالباً على رضي الدين ابي القاسم على بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحسيني السيد الأجل الاورع الازهد قدوة العارفين. قال العلامة في إجازته الكبيرة: وكان رضي الدين علي صاحب كرامات حكى لي بعضها وروى لي والدي رحمة الله عليه البعض الآخر.

قال المحدث النوري في المستدرك ، ويظهر في مواضع من كتبه خصوصا (كشف المحجة): "ان باب لقائه الإمام الحجة عليه السلام كان مفتوحا". توفي رحمه الله يوم الاثنين خامس ذي العقدة سنة 664.

أبو حمزة الثمالي: هو أبو حمزة ثابت بن دينار الثقة الجليل صاحب الدعاء المعروف في اسحار شهر رمضان . كان من زهّاد أهل الكوفة ومشايخها وكان عربيّا أزديّا ، روى عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الثقة يقول: سمعت الرضا عليه السلام يقول: أبو حمزة الثمالي في زمانه كسلمان الفارسي وذلك أنه خدم أربعة منّا علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمّد وبرهة من عصر موسى بن جعفر عليهم السلام. انتهى. عن علي بن ابي حمزة في خبر قال: قال الصادق عليه السلام لابي بصير: اذا رجعت إلى ابي حمزة الثمالي فأقرئه منّى السلام وأعلمه انه يموت في شهر كذا في يوم كذا. قال أبو بصير: جعلت فداك والله لقد كان فيه أنس، وكان لكم شيعة. قال: صدقت ما عندنا خير لكم. قلت: شيعتكم معكم؟ قال: ان هو خاف الله وراقب نبيّه وتوقى الذنوب فاذا هو فعل كان معنا في درجتنا. قال علّي: فرجعنا تلك السنة فلما لبث أبو حمزة الاّ يسيرا حتّى توفّي رحمه الله. مات في سنة خمسين ومئة)

الشهيد الثاني: هو الشيخ الأجل زين الدين بن نور الدين علي بن أحمد بن جمال الدين بن تقي بن صالح بن مشرف العاملي الجبعي أمره في الثقة والجلالة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحّر وجميع الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر. وُلِد الشيخ زين الدين ثالث عشر شوال سنة 911 وختم القرآن وعمره تسع سنين وقرأ على والده العربية وتوفي والده وعمره اذ ذاك اربع عشرة سنة. وارتحل إلى ميس وهو أول رحلته فقرأ على الشيخ الجليل علي بن عبد العالي الميسي الشرايع والارشاد وأكثر القواعد . توشح ببرد الاجتهاد الا أنه بالغ في كتمان أمره إلى أن أقام ببعلبك بعد رحلات سنة 953 يدرس في المذاهب الخمسة واشتهر أمره وصار مرجع الانام ومفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها وصار أهل البلد كلّهم في انقياده ورجعت إليه الفضلاء من أقاصي البلاد ثم انتقل بعد خمس سنين إلى بلده، بنيّة المفارقة وأقام في بلده مشتغلا بالتدريس والتصنيف. ومصنفاته كثيرة مشهورة أولها الروض وآخرها الروضة. ألّفها في ستة أشهر وستة أيام. خلّف ألفَي كتاب منها مئتا كتاب كانت بخطه الشريف.

الشيخ العطار: هو فريد الدين محمد بن ابراهيم النيسابوري المعروف بالشيخ العطّار صاحب الاشعار والمصنّفات في التوحيد والحقايق والمعارف وله اشعار في مدح مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام وفي ذمّ الدنيا. توفي سنة 427 بعد عمر طويل وقيل أنّه قُتل في فتنة التتر وقبره خارج نيسابور معروف.

محمد بن مفيد القُمّي: العالم الفاضل الحكيم المتشرع العارف الربّاني والمحقّق الصمداني من أعاظم علماء الحكمة والادب والحديث. انتهى اليه منصب القضاء في بلده قم.



كان من تلامذة المحقق الفيض الكاشاني والمولى عبد اللازّاق الاهيجي له مصنفات فائقة منها شرحه على كتاب توحيد الصدوق في مجلّدات والاربعينيّات وغير ذلك. وأشهر مصنفاته شرحه على التوحيد وهو مشتمل على الفوائد الكثيرة.

الامام الرضا: هو الامام الثامن من أئمة الهدى بضعة سيد الورى مولاي علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين المعصومين، ولد عليه السلام حادي عشر ذي القعدة يوم الخميس أو يوم الجمعة بالمدينة سنة 148 ثمان وأربعين ومئة بعد وفاة جدّه الصادق عليه السلام بأيام قليلة.

وقبض ابو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام في آخر صفر كما اختاره ابن الاثير والطبرسي والسيد الشبلنجي من سنة 203 ثلاثة ومئتين وهو ابن خمس وخمسين سنة.

الامام السجاد: هو الامام الرابع زين العابدين وسيد الساجدين ومصباح المتهجدين وقدوة المتّقين أبو محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ولد عليه السلام بالمدينة المنوّرة يوم النصف من جمادى الاولى سنة 36 ستّ وثلاثين يوم فتح البصرة ونزول النصر على أمير المؤمنين عليه السلام وغلبته على أصحاب الجمل. وقيل في الخامس من شعبان سنة 38. توفي عليه السلام يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت او مضت من المحرّم سنة 95 خمس وتسعين من الهجرة وله يومئذ سبع وخمسون سنة.

أبو الحسن: سعيد بن هبة الله بن الحسن العالم المتبحّر الفقيه المحدّث صاحب الخرائج والجرائح وقصص الانبياء ولب اللباب وشرح النهج وغيره وهو أحد مشايخ ابن شهر آشوب يروي عن جماعة كثيرة من المشايخ. توفي القطب 4 شوال سنة 573 كما في البحار نقلا عن خطّ الشهيد وقبره ببلد قُم في جوار الحضرة الفاطمية عليها السلام ، مزار معروف).

ابن عيينه (بضم العين): أبو محمد سفيان بن عيينه ابن ابي عمران الكوفي المكي تابعي التابعين ولد سنة 107 ذكره الخطيب في تاريخه وأثنى عليه، وقال: كان له في العلم قدر كبير ومحلّ خطير وأدرك نيّفاً وثمانين نفساً. ينقل منه بعض الكلمات الحكيمة التي ينبغي أخذها فان الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها. حكي أنه كتب إلى أخ له: أما أن لك يا أخي ان تستوحش من الناس ولقد أدركنا الناس وهم اذا بلغ أحدهم أربعين سنة جن (أي ستر) عن معارفه وصار كأنه مختلط العقل من شدّة تأهّبه للموت وكان اذا أعطاه الناس شيئا قال أعطوه لفلان فإنه أحوج مني.

وقال خصلتان يعسر علاجهما: الطمع فيما بأيدي الناس واخلاص العمل لله. ويقول: اذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل ماذا أصنع بالعلم الذي كتبت؟. توفّي في غرّة رجب سنة 198 بمكة ودفن بالحجون بتقدم الحاء المهملة على الجيم موضع بمعلاة مكة ومعلاة مقبرة بها دفنت خديجة رضي الله عنها)).

الامام موسى بن جعفر عليهما السلام. ولد عليه السلام بالابواء - منزل بين مكة والمدينة - يوم الاحد لسبع خلون من صفر سنة 128 ثمان وعشرين ومئة. حمله الرشيد من المدينة لعشر ليال بقين من شوال سنة تسع وسبعين ومئة وقد قدم هرون الرشيد المدينة منصرفا من عمرة شهر رمضان ثم شخص هرون إلى الحج وحمله معه ثم انصرف على طريق البصرة فحبسه عند عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ثم أشخصه إلى بغداد فحبسه عند السندي بن شاهك فتوفي في حبسه ببغداد لخمس ليال بقين من رجب سنة 183 ثلث وثمانين ومئة وهو ابن خمس أو أربع وخمسين سنة ودفن في مقابر قريش. ويقال في رواية أخرى أنه دفن بقيوده وأنه أوصى بذلك



فكانت إمامته خمسا وثلاثين سنة وشهورا.

الشاه آبادي: هو العارف الكامل والفيلسوف الحكيم المتألّه الشيخ محمد علي شاه آبادي أحد العلماء الكبار في عاصمة ايران وكان الامام الخميني قد تتلمذ عنده في الفلسفة والعرفان وكان معجبا به وبآرائه ويخاطبه في أكثر كلماته بالشيخ العارف الكامل روحي فداه .

السكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي المعتزلي الحنفي الملقب سراج الدين السكاكي صاحب كتاب مفتاح العلوم الذي لخّص القسم الثالث منه خطيب دمشق وشرحه التفتازاني بالمطوّل والمختصر توفي سنة 726 .

الشيخ الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي عماد الشيعة ورافع أعلام الشريعة. صنّف في جميع علوم الاسلام وكان القدوة في ذلك والامام تتلمذ على الشيخ المفيد والسيد المرتضى وكان فضلاء تلامذته الذين كانوا مجتهدين وأهل الاقتداء يزيدون على ثلاثمئة من الخاصة والعامة. ولد (ره) في شهر رمضان سنة 385 بعد وفاة السيد الرضى بسنتين. توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة 460 وكان مدة عمره الشريف خمسا وسبعين سنة ودفن في داره وقبره الان معروف في المسجد الموسوم بالمسجد الطوسي.

وأمّا مصنفاته الشريفة في علوم الاسلام فهي لشهرتها تغنينا عن إيرادها والتفسير الذي أشار إليه الامام الخميني هو البيان الجامع لعلوم القرآن وهو كتاب جليل عديم النظير في التفاسير وشيخنا الطبرسي في تفسيره من بحره يغترف وفي صدر كتابه بذلك يعترف فعليه رضوان الله الخبير اللطيف).

سيبويه: هو أبو الحسن أو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البيضاوي العراقي البصري النحوي المشتهر كلامه وكتابه في الآفاق الذي قال في حقه العلامة الطباطبائي بحر العلوم رحمه الله تعالى ان المتقدمين والمتأخرين وجميع الناس في النحو عيال عليه.كثرت كلمات علماء النحو في مدح كتابه المسمى الكتاب ولهم عليه شروح وتعليقات وردود نشأت من اعتنائهم واشتغالهم به.توفى حدود سنة 180 وقبره في شيراز، قال ابو الفرج ابن الجوزي توفي سيبويه سنة 194 وعمره اثنان وثلاثون عاما بمدينة ساوة وذكر خطيب بغداد عن ابن دريد ان سيبويه توفي بشيراز بمدينة ساوة وقبره بها . (انتهى)

المسعودي: شيخ المؤرخين وعمادهم ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي العالم الجليل الاملعي ذكره العلامة وقال له كتاب في الامامة وغيرها منها كتاب اثبات الوصية لعلي بن ابي طالب (ع) وهو صاحب مروج الذهب (انتهى) .

له كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان في ثلاثين مجلّدا لا يوجد منه الا جزء واحد وله أيضا ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور وكتاب في أخبار الامم من العرب والعجم وكتاب المقالات في أصول الديانات وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر وقيل انه بقي إلى سنة 345).

ابن خلكان: ابن خلّكان هو ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلّكان الاربلي البرمكي الشافعي صاحب كتاب التاريخ المشهور الموسوم بوفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان الذي تعرض فيه لذكر المشاهير من التابعين ومن بعدهم إلى زمان نفسه يشتمل على 864.

الميرداماد: هو السيد الأجل محمد باقر بن محمد الحسيني الاسترابادي المعروف بالميرداماد المحقق المدقق العالم الحكيم المتبحّر النقّاد ذو الطبع الوقّاد. له من المؤلفات القبسات والرواشح السماوية الصراط المستقيم



والحبل المتين وشارع النجاة وضوابط الرضاع وغير ذلك من الكتب الكثيرة وله حواش على الكافي والفقيه والصحيفة السجادية وغير ذلك وله ديوان شعر بالعربية والفارسية. وحكي أنه لم يأو بالليالي الى فراشه للاستراحة مدة أربعين سنة ولم يفت منه (ره) نوافله مدة تكليفه ذهب في آخر عمره الشريف من أصبهان برافقة السلطان شاه صفي الى زيارة العتبات العالية فمات (ره) هناك وذلك في 1041 ودفن في النجف الاشرف)

الخواجة نصير الدين الطوسي: هو حجة الفرقة الناجية الفيلسوف المحقق محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الجهرودي. ولد في 11جمادى الأولى سنة 597 بطوس ونشأ بها ولذلك أشتهر بالطوسي وصنّف كتبا ورسائل نافعة نفيسة في فنون العلم له تجريد الكلام وهو كتاب كامل في شأنه.

شرحه جمع من أعاظم العلماء أولهم آية الله العلامة (ره) وله كتاب التذكرة النصيرية في علم الهيئة الذي شرحه النظام النيسابوري والأخلاق الناصرية وآداب المتعلمين وأوصاف الأشراف وكتاب قواعد العقايد وتحرير المجسطي وتحرير أصوال الهندسة لاقليدس الى غير ذلك. توفي قدس سره في يوم الغدير سنة 673 ودفن في جوار الامامين موسى بن جعفر والجواد عليهما السلام في المكان الذي أعدّ للناصر العبّاسي فلم يدفن فيه.

الامام الهادي عليه السلام: هو الامام العاشر والبدر الباهر ذو الشرف والكرم والمجد والايادي أبو الحسن الثالث علي النقي الهادي. ولد عليه السلام بصريا من المدينة للنصف من ذي الحجة سنة 212 اثنتي عشرة ومئتين، وقيل يوم الجمعة ثاني رجب وقيل خامسه من تلك السنة. قبض عليه السلام مسموما بسرّ من رأى في يوم الأثنين ثالث رجب سنة 254 سنة أربع وخمسين ومئتين وله احدى وأربعون سنة وأشهر. وكانت مدة امامته ثلاثا وثلاثين سنة وأشهرا.

الشيخ البهائي: هو شيخ الاسلام والمسلمين محمد بن الحسين بن عبدالصمد الجبعي العاملي الحارثي قال صاحب السلافة في حقه ما ملخّصه هو علامة البشر ومجدّد دين الائمة على رأس القرن الحادي عشر اليه انتهت رئاسة المذهب والملة الى أن قال مولده بعلبك لثلاث عشر بقين من ذي الحجة سنة 953 وانتقل به والده وهو صغير الى الديار العجمية فنشأ في حجرة الاقطار المحمية وأخذ عن والده وغيره من الجهابذ حتى أذعن له كل مناضل ومنابذ . فلما أشتد كاهله وصفت له من العلم مناهله ولي بها شيخ الاسلام وفوّضت اليه امور الشريعة على صاحبها الصلاة والسلام.

له مصنفات فائقة مشهورة، منها: حبل المتين وشرق الشمسين والاربعين والجامع العباسي والكشكول والمخلاة والعروة الوثقى والصمدية وخلاصة الحساب وتشريح الافلاك والرسالة الهلالية ومفتاح الفلاح. وهذه الكتب كلها مطبوعة في ايران.

جابر الانصاري رضي الله عنه: جابر بن عبدالله بن عمرو بن خزام الانصاري. صحابي جليل القدر وانقطاعه الى أهل البيت عليهم السلام وجلالته أشهر من أن يذكر. مات سنة 78. حكي عن أسد الغابة أنه قال في جابر (رض) انه شهد مع النبي ثمان عشرة غزوة وشهد صفين مع علي بن أبي طالب وعميَ في آخر عمره وكان يحفي شاربه وكان يخضب بالصفرة وهو اخر من مات بالمدينة ممن شهد القعبة الى أن قال وكان من المكثرين للحديث الحافظين للسنن (انتهى). قال العلامة النوري في المستدرك في ترجمة جابر الانصاري هو من السابقين الأولين الذين رجعوا الى أمير المؤمنين وحامل سلام رسول الله الى باقر علوم الأولين والأخرين وأول من زار أبى عبدالله الحسين في يوم الأربعين المنتهي اليه سند أخبار اللوح السّمائي الذي فيه نصوص من الله رب العالمين على خلافة

الأئمة الراشدين الفائز بزيارته من بين جميع الصحابة عند سيدة نساء العالمين وله بعد ذلك مناقب اخرى وفضائل لا تحصى (انتهى).)

أبيّ بن كعب: أبيّ بن كعب صحابي شهد العقبة مع السبعين وكان يكتب الوحي شهد بدرا والعقبة الثانية وبايع رسول الله وكان من الاثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر خلافته وأرادوا تنزيله عن منبر رسول الله وكفى في فضله وجلالته ان الصادق عليه السلام ينقل الحديث عنه كما في مصباح الشريعة أن الصادق عليه السلام قال حسن الظن أصله من حسن ايمان المرء وسلامة صدره الى أن قال قال أبيّ بن كعب اذا رأيتم أحد اخوانكم في خصلة تستنكرونها منه فتأوّلوا لها سبعين تأويلا فإن اطمأنت قلوبكم على أحدها والا فلوموا أنفسكم حيث لم تعذروه في خصلة سترها عليه سبعين تأويلا وأنتم أولى بالأنكار على أنفسكم.) قال: "قرأت على رسول الله فاتحة الكتاب فقال : والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي أمّ الكتاب وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وعبده ولعبده ما سأل".

حذيفة بن اليمان: حذيفة بن اليمان العنسي من أصحاب رسول الله أحد الأركان الأربعة سكن الكوفة ومات بالمدائن وعن أسد الغابة أنه كان صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالمنافقين لم يعلمهم أحد الا حذيفة أعلمه بهم رسول الله (انتهى). وعن العلامة الطباطبائي أنه يستفاد من بعض الأخبار أن له درجة العلم بالكتاب ايضا وقال ايضا وعند الفريقين انه كان يعرف المنافقين بأعيانهم وأشخاصهم. توفي في المدائن بعد خلافة أمير المؤمنين (ع) بأربعين يوما سنة ست وثلاثين وأوصى أبنيه صفواناً وسعيداً بلزوم أمير المؤمنين واتباعه فكانا معه بصفين وقتلا بين يديه.

ابن عباس: عبدالله بن العباس بن عبد المطلب. قال العلامة كان محبا لعلي (ع) وتلميذه ، حاله في الجلالة والاخلاص لأمير المؤمنين أشهر من أن يخفى وقد ذكر الكشي أحاديث تتضمن قدحا فيه وهو أجلّ من ذلك وقد ذكرناه في كتابنا الكبير وأجبنا عنه (انتهى). ذكروا أنه ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وآله بالفقه والتأويل وكان حبر هذه الأمة وترجمان القرآن وكان عمر يقربه ويشاوره مع جملة الصحابة كف بصره في أواخر عمره وتوفي بالطائف سنة 68 وله تفسير مطبوع.

الشيخ الرئيس: هو أبو علي بن عبد الله بن سينا البخاري الشيخ الفيلسوف المعروف الملقب بالشيخ الرئيس كان أبوه من بلخ في شمال أفغانستان وسكن مملكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية فولد ولده بها وكان أعجوبة في الذكاء والحفظ أفتى على مذهب ابي حنيفة وهو ابن اثنتي عشر سنة وصنف القانون وهو ابن ستة عشر فمرض نوم بن منصور الساماني فجمعوا الاطباء لمعالجته فجمعوه معهم فرأوا معالجته خيرا من معالجات كلّهم فصلح على يديه فسأله أن يوصي خازن كتبه ان يعيره كلّ كتاب طلب ففعل فرأى في خزانته كتب الحكمة من تصانيف ابي نصر طرخان الفارابي فاشتغل بتحصيل الحكة ليلا ونهارا حتى حصّلها. قال فلما انتهى عمري الى أربع وعشرين كنت افكّر في نفسي ما كان شيء من العلوم انّي لا أعرفه. ويحكى أنه لم يكن في آن فارغا من المطالعة والكتابة وقليلا من الليل يهجع واذا تردّد في مسألة يتوضأ ويعزم جامع البلد ويصلّي فيه ركعتين بالخشوع ويشتغل بالدعاء والاستعانة الى أن ترتفع شبهته ومرت به طواري مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلى وله تأليفات مشهورة منها: القانون والشفا والاشارات وقد شرح القسم الالهيات من الاشارات الخواجة نصير الدين الطوسي والفخر الرازي وكتب القطب الرازي المحاكمات وهو شرح له حكم بينهما في شرحيهما على الاشارات

صدر المتألهين: محمد بن ابراهيم الشيرازي الحكيم المتأله المعروف كان عالم أهل زمانه في الحكمة متقنا لجمع الفنون له الأسفار الاربعة وشرح الكافي وتفسير بعض السور القرآنية وكسر الاصنام الجاهلية وشواهد الربوبية وغير ذلك . توفي بالبصرة وهو متوجه الى الحج سنة 1050.

محمد تقي المجلسي: هو والد المولى محمد باقر المجلسي كان وحيد عصره وفريد دهره اورع أهل زمانه وأزهدهم وأعبدهم استفاد العلم من شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ بهاء الدين العاملي والعلامة الزاهد المقدس الورع المولى عبدالله الشوشتري وبعد فراغه من التحصيل أتى النجف الاشرف واشتغل بالرياضات وتهذيب الاخلاق وتصفية الباطن. مصنفاته كثيرة منها شرحاه العربي والفارسي على كتاب من لا يحضره الفقيه كل منها يزيد على مئة ألف بيت وأرتحل إلى جوار رحمة الله تعالى في سنة 1070) .



کتاب آداب الصلوة

بسم الله الرحمن الرحیم الحمد لله رب العالمین والصلوة علی محمد وآله الطاهرین
ولعنة الله علی اعدائهم اجمعین من الآن الی قیام یوم الدین

خداوندا قدم ما بیچارگان از وصول بپایگاه قدس تو کوتاه است و دست طلب ما از دامن عزت تو قاصر حجابهای شهوت و غفلت بصیرت ما را از جمال جمیل تو محجوب کرده و پرده‌های غلیظ حب دنیا و سلطنت غضب ما را از توجه بعز جلال تو مهجور نموده راه آخرت تاریک و طریق انسانیت مسدود و ما بیچارگان چون عنکبوتان در فکر خود بسر برده‌ایم که چون کرم ابریشم از سلسله‌های شهوات و آمال بر خود تنیده و یک بهره از عالم غیب و معنویت نبرده جز آنکه تو با رحمت الهیه چشم دل ما را روشنی بخشی و از عقده‌های غیبیه ما را از خود بیخود فرمائی الهی هب لی کمال الانقطاع الیک وانر ابصار قلوبنا بضیاء نظرها الیک حتی تخرق ابصار القلوب حجب النور فتصل الی معدن العظمة وتصیر ارواحنا معلقة بعز قدسک و بعد اینجانب چند سطری سابق رساله فراهم آوردم که مقدار میسوری از اسرار صلوة در آن گنجانیدم و چون آنرا با حال عامه متناسب نیست بنظر گرفتم که سطری چند از آداب قلبیه این معراج روحانی را که سالک بحضرت ربوبیت است ثبت نمایم شاید برادران ایمانی را از آن تذکری و قلب قاسی خود را تأثری حاصل آید و بخدای تبارک و تعالی پناه میبرم از تصرف شیطان و وصول خذلان انه ولی قدیر و مرتب نمودم آنرا بر یک مقدمه و چند مقاله و یک خاتمه اما مقدمه در آنکه از برای نماز غیر از این !





خدمت و ما محض احتیاج به بندگی و عبادت با تقصیر و جنایت و محض رحمت و کرامت لباس هستی بر ما پوشانیدی
و به انواع نعمتهای روحانی و جسمانی و اصناف رحمتهای باطنی و ظاهری متنعم و مسرور فرمودی با اینکه از
نبود ما خللی در قدرت و قوت تو راه نیابد و از بود ما عظمت و حشمت تو چیزی افزوده نگردد
از چشمه رحمت تو جوشید و چشم خورشید جمال حمید تو درخشید و ما را به جای رحمت مستغرق
و به انوار جمال منور فرمود تقاصیر و خطیئات و گناهان و تقصیرات ما را نیز به نور توفیق باطنی
و دستگیری و هدایت شریعت جبران فرما و دل ما را با تعلق ما از تعلقات دنیا بریده
و به عشق و مهر قدس خود آراسته نما یا رب العالمین طاعت ما را جبران بسطی ده که از ما مقبول شود
و از هیچی ما نقصی در مملکت راه نیابد و از عذاب و شکنجه گناهکاران نفعی به تو عاید نگردد
و از بخشش و رحمت افتادگان نقصانی در قدرت تو حاصل نشود چون ثابت خطاکاران
طالب رحمت است و فطرت ناقصان طلبکار تمامیت تو خود به لطف عمیم ما را رفتار
فرما و به سوی سعادت ما نظر فرما الهی ان کنت غیر مستاهل لرحمتک فانت اهل ان تجود
علی بفضل سعتک الهی قد سترت علی ذنوبا فی الدنیا وانا احوج الی سترها علی منک فی الاخری
الهی هب لی کمال الانقطاع الیک وانر ابصار قلوبنا بضیاء نظرها الیک حتی تخرق ابصار
القلوب حجب النور فتصل الی معدن العظمة تا اینجا به حمد الله والمنه ختم شد حامداً
شاکراً مصلیاً مسلماً علی محمد و آله الطاهرین بتاریخ سه‌شنبه ده ربیع الثانی هزار و سیصد و بیست و یک قمری
۱۳۲۱





المحتويات



المقالة الأولى

في الآداب التي تكون ضرورية في جميع حالات الصلاة
بل في جميع العبادات والمناسك
وفيها اثنا عشر فصلا





المقالة الثانية
في مقدمات الصلاة
وذكر بعض آدابها القلبية وفيها عدة مقاصد

المقصد الأول
في الطهارة وفيه عدة فصول

المقصد الثاني
في نبذة من آداب اللباس وفيه مقامات



المقصد الثالث

في الآداب القلبية لمكان المصلّى وفيه فصلان

المقصد الرابع

في الآداب القلبية للوقت وفيه فصلان

المقصد الخامس

في بعض آداب الاستقبال وفيه فصلان





المقالة الثالثة:

في مقارنات الصلاة وفيها ثمانية أبواب

الباب الأول:

في بعض آداب الأذان والإقامة وفيه خمسة فصول

الباب الثاني:

في القيام وفيه فصلان

الباب الثالث

في سر النية وآدابها وفيها خمسة فصول



الباب الرابع

في ذكر نبذة من آداب القرءة وقطعة من أسرارها وفيه تفسير سورة الحمد المباركة ونبذة من تفسير سورة التوحيد وسورة القدر المباركتين وهو من أعز أبواب هذه الرسالة وفيه عدة مصابيح



الباب الخامس

في نبذة من آداب الركوع وأسراره وفيه خمسة فصول



الباب السادس

في الإشارة الإجمالية إلى أسرار السجود وآدابه وفيه عدة فصول

الباب السابع

في الإشارة الإجمالية إلى آداب التشهُد وفيه فصلان

الباب الثامن

في آداب السلام وفيه فصلان



خاتمة الكتاب

في آداب بعض الأمور الداخلة والخارجة للصلاة وفيه عدة فصول